الأمة

Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد الحادي والخمسون ـ السنة الخامسة ـ ربيع الأول ١٤٠٥هـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٤م

افتتاح المسجد الجامع في «الوكرة» بدولة قطر

خصائص الفكر التربوي الإسلامي

فقه المرحلة والانتقال من المبادئ إلى البرامج

في حوار مع الدكتور حسن الترابي

■ جامع الوكرة - قطر ■

تصوير : محمد زبير

12665958X

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة Al Ummah
اسلامية شهرية جامعة
تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر
An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

من الصدر

ساعة العسرة

■■ أعلن تقرير للأمم المتحدة ان مائة وخمسين مليوناً من البشر يعانون المجاعة وسوء التغذية ويُهدّدُ قسم كبير منهم بالموت بسبب الجفاف الذي يغتال كثيراً من الشعوب الأفريقية .. وقد صرح مندوب إسرائيل في الأسبوع الذي نظمته الأمم المتحدة لاستعراض المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن مشكلة الغذاء في افريقيا :

إن إسرائيل على استعداد لتقديم مساعداتها لأيّ بلد من البلاد الافريقية المتاثرة بالجفاف حتى ولو لم يكن ذلك البلد صديقاً لإسرائيل ؟!

والعالم النصراني استنفر المنظمات الدولية والإنسانية والتنصيرية لمساعدة اثيوبيا .. وتاتي امريكا على راس هذا العالم لتساهم باسطول من الطائرات يحمل المساعدات الغذائية لأثيوبيا ؛ وعلى الرغم من ان نظامها السياسي يحمل شارة الماركسية فإن المساعدات الامريكية لم تنقطع لحظة واحدة ؛ وقد صرح رئيس أثيوبيا والأمين العام للحزب الشيوعي فيها منغستو هيلا مريم بان اثيوبيا تواجه الزحف الإسلامي في إفريقيا ويجب على كل النصارى مساندتها .

اما السودان المسلم فهو اليوم ينوء بحمله ، ذلك ان قرى باسرها رحلت من اقاليم الجفاف في كردفان ودارفور إلى أم درمان والخرطوم ، إلى جانب مئات المخيمات ومئات آلاف اللاجئين من تشاد وافريقيا الوسطى وأريتريا والحبشة واوغندا والصومال الذين نزحوا إليه .. وقد يكون الامتحان النفسي اشد حيث يترافق ذلك مع التوجه الإسلامي الذي اعلنه السودان .. فاين حكام المسلمين ؟ واين اغنياء المسلمين ؟ واين الشعوب الإسلامية ؟ واين الأموال الإسلامية التي يعبث بها المترفون ؟ اين الشعوب الإسلامية توقف فسق المترفين وتستشعر مسؤوليتها تجاه السودان بشكل خاص وافريقيا بشكل عام وتغلق هذه الثغور التي تتسلل منها الصهيونية والصليبية والاستعمار إلى افريقيا المسلمة ؟

ونستطيع ان نقول : إن فضول أموال أغنياء العالم الإسلامي كافية لحل المشكلة ، لكن اين المسلم الذي لا يُسلم أخاه ويستشعر حقوق الأخوة الإسلامية ؟

والرسول ﷺ يقول فيما يرويه ابو سعيد الخدري : « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .. قال ابو سعيد : فذكر رسول الله ﷺ اصنافاً من المال حتى راينا أن لا حقَّ لأحدنا في فضل .. إنه يحرم على المسلمين الادخار في فترات الشدة وساعات العسرة ؛ وإنَّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله سيُطوَّقون ما بخلوا به يوم القيامة .

وإن الحصانة الإسلامية ضد المبادىء والأفكار الهدامة سوف لا تتاتى باستعارة الإسلام والمبادىء الإسلامية كشعار يرفع في المناسبات ويكون وسيلة للوصول إلى السلطة او الاحتفاظ بها ، ولا بإطعام فقراء المسلمين في المواسم الدينية أو إطعامهم الخطب والمواعظ والوعود ، وإنما بمعالجة الأسباب التي تستدعي هذه المبادىء إلى عالم المسلمين وتقديم المساعدات الإنتاجية ، وإيقاف الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي ليعيش المسلمون في المجتمع المتكافل الذي اراده الإسلام .. والأمر قد لا يخصّ الأغنياء وحدهم ؛ وإن كانت مسؤوليتهم اشد فالرسول ﷺ يقول : « درهم سبق الف درهم .. » ، ولنتذكر مجتمع الصحابة القدوة عندما اشترك العشرة منهم في امتصاص التمرة الواحدة في جيش العسرة فكان ذلك التكافل شرطاً في النصر وسبباً في توبة الله عليهم ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة : ١١٧) ■■

ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

المشرف العام
عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود
President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبدالرحمن المظفر
Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنه
Editonal Director
Ummar Ubaid Hasna

التحرير والإدارة
Editorial Offices & Administration

هاتف - (بدالة) : ٤٤١٥١٠
رئيس التحرير : ٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير : ٤٤١٨٣٠
القسم الفني : ٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير : ٤٤٧٣٠٠
تلكس : ٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقياً : الأمة الدوحة
ص . ب : ٨٩٣ الدوحة - قطر

Tel.: (PABX) 441510 DOHA
Chief Editor 447022
Editorial Director 441830
Editing Staff 441887
Editor Staff 447300
Telex: 4999 Al Ummah DH
Cables: Al Ummah DOHA
Mailing Address:
P. O. Box 893 DOHA QATAR

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

صـــورة الغـــلاف

■■ الدكتور حسن الترابي يعتبر بحق أحد شيوخ الدعوة الإسلامية ومنظريها المعاصرين ذلك أن أصوله العلمية الشرعية وثقافته العصرية ومعرفته لعديد من اللغات الأجنبية وتقلبه في مواقع علمية وثقافية وسياسية وقضائية إلى جانب الابتلاءات المتنوعة التي تعرضت لها الحركة الإسلامية في السودان والعالم أكسبته قدراً من البصارة والنفاذ أو ما يمكن أن نسميه بـ « فقه المرحلة » ، إنه يمتلك نظريات هامة في قضية التجديد والاجتهاد لا بد أن تخضع للحوار والمناقشة للانتقال من الصالح إلى الأصلح ومن النافع إلى الأنفع .

من هنا تأتي أهمية هذا الحوار الذي يشكل النافذة الأمينة لرؤية التوجه الإسلامي في السودان من الداخل والعقلية التي تتعامل مع هذا التوجه .... (ص : ٣٣) ■■

□ الغلاف بريشة : الفنان عصـــام عزوز □

الإخراج الفني مجدي نجيب

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفـــراد

- في قطـر ٣٠ ريـالاً قطريـاً .
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً أو ١١ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها .
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها .

- Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.
- America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

- في قطـر : ٧٥ ريـالاً قطرياً
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً أو ٢٢ دولاراً امريكياً
- في الأمـريكيتـين واوروبـا واستـراليـا : ٢٥ دولاراً امـريكيـاً .

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
«	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤ العين
«	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
«	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
«	□ « « «	الدمام
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص . ب ١٠١١ مطرح سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
«	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد - الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨ — ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
	ISLAMISCHES ZENTRUM	BILAL MOSCHEE 51 AACHEN W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات	لبنان	٢٠٠	قرش
السعودية	٣	ريالات	مصر	٢٠٠	مليم
الكويت	٢٠٠	فلس	السودان	٢٠٠	مليم
البحرين	٢٠٠	فلس	ليبيا	٢٠٠	درهم
الامارات	٣	دراهم	الجزائر		ديناران
عمان	٢٠٠	بيسة	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس	المغرب		درهمان
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس	دول آسيا وأفريقيا		نصف دولار امريكي
العراق	٢٠٠	فلس			
الأردن	٢٠٠	فلس			
سوريا	٢٠٠	قرش			

● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي أو ما يعادله .

في هذا العدد

● كلمـــــة الأمـــــــــة ٤
● واقع الأدب الإسلامي والالتزام .... الدكتور عباس محجوب ٨
● اقتصـــاد الأمـــة .. قـــوة ضاربـــة
.... اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ ١٠
● حديقـــــة الأمـــــــة ١٤
● ظاهرة الرشوة في المجتمعات الإسلامية ..... الدكتور رفيق المصري ١٦
● ماذا أقول في مولد الرسول ﷺ (شعر) .... محمد حوطر ٢١
● دور الإسلام والنصرانية في أفريقيا
في نظر الكتّاب الغربيين .... الدكتور محمود سلام زناتي ٢٢
● الجهاد الإسلامي والسلام العالمي .... بدر الحسن القاسمي ٢٧
● جناية القصـة على المجتمع الإسلامي .... مأمون فريز جرّار ٣٠
● فقه المرحلة والانتقال من المبادىء إلى البرامج في
حـــوار مع الدكتور حسن الترابي ...... أجراه: عمر عبيد حسنة ٣٣
● المسجد الجامع في الوكرة بدولة قطر ٤٠
● بطاقــة من قـــارىء ٤٣
● خصائص الفكر التربوي الإسلامي .... محمد الصالح عزيز ٤٤
● العلـم والحيـــــاة ٤٨
● أراك على الأفق ... شمس اخضرار (شعر) الدكتور سعد دعبيس ٥١

● (رســائل جامعيــة):
الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية
في أفريقيـــــا .... عرض: أحمد زرزور ٥٢
● تصـــــورات أوليـــة .... عبد الرحمن بن عقيل ٥٦
● (الأســرة المسلمــة):
المحاضـــــــرة .... أمة الله الودود ٥٨
● رجل فقدنـــاه ... المجاهد البحاثـة محمد عزة دروزة
.... إسماعيل الكيلاني ٦١
● تصريحـــات وأقـــوال ٦٤
● هـكذا الإســـلام (شعر) .... أحمد محمد الصديق ٦٥
● مكتبـة الأمـــة ٦٦
● (استطـــــلاع):
المسلمون في الصين بخير ... ولكن !! .... علي ماهر ٦٨
● نصيحــة من القلــب إلى المدخــن ...
ما لا يعرفه الناس عن التدخين .... الدكتور فاروق مساهل ٧٤
● (صفحــة من كتــاب):
في النظـــام الإســـلامي .... الدكتور محمد سليم العوا ٨٠
● بريــد الأمــــــة ٨١
● بأقـــلام القـــــراء ٨٤
● شـؤون المسلمين في العـــالم ٨٥
● مع الصحافـــة في العـــالم ٩٢
● مسابقة العدد الحادي والخمسين،
وحل مسابقة العدد التاسع والأربعين وأسماء الفائزين ٩٤
● (خواطــر وأفكــار):
حاجتنا إلى دعاة قادرين .... الدكتور عبد الجليل شلبي ٩٦

خصائص الفكر التربوي الإسلامي

■ خصائص الفكر التربوي الإسلامي هي التي دفعت بالمسلمين إلى طرق أبواب المعرفة بأنواعها ولم يقتصروا على علم دون آخر فبرز منهم عظماء في شتى مجالات المعرفة والعلوم، ولم يشعروا لحظة بانفصال الدين عن الحياة وعلوم الدنيا عن علوم الدين.

لذلك كانت محاولات احتواء هذا الفكر وإفراغه من مضامينه الأصلية وخصائصه المتميزة من أخطر الأمور التي ركز عليها الاستعمار الثقافي في البلاد الإسلامية .... (ص: ١٠) ■

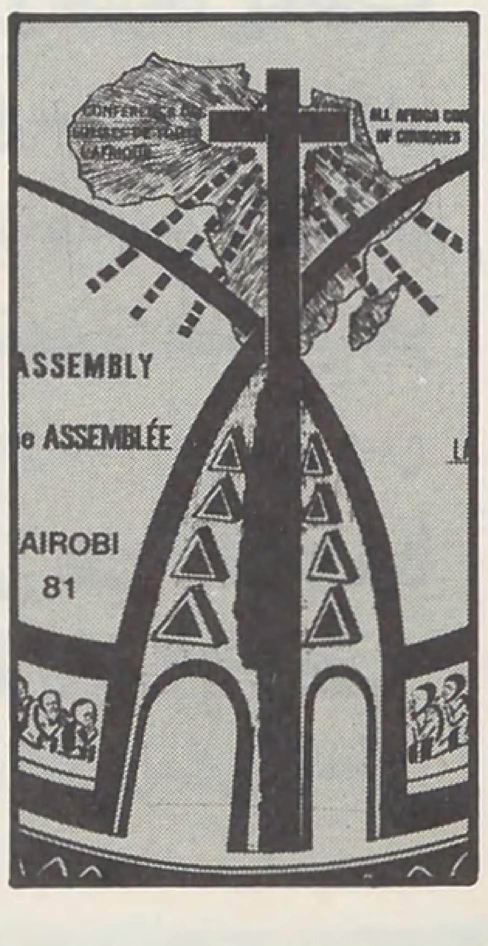

دور الإسلام والنصرانية في أفريقية

■ كثير من الرجال الذين يعدون أنفسهم نصارى طيبين لن يخطر ببالهم الإقرار بالزمالة مع النصارى من سود البشرة، أما المسلمون فلا يفرقون.

يأخذ الإسلام بيد الأفريقي ويمنحه المساواة مع كل الرجال الآخرين، فمنذ اليوم الأول الذي يعتنق فيه الوثني الإسلام لا يستطيع أي مسلم من السابقين أن يزعم لنفسه سمواً اجتماعياً عليه .. فالإسلام بالنسبة للزنجي هو الاتجاه نحو مفهوم أسمى للوجود حيث يوحي له بالثقة في مصيره .... (ص: ٢٢) ■

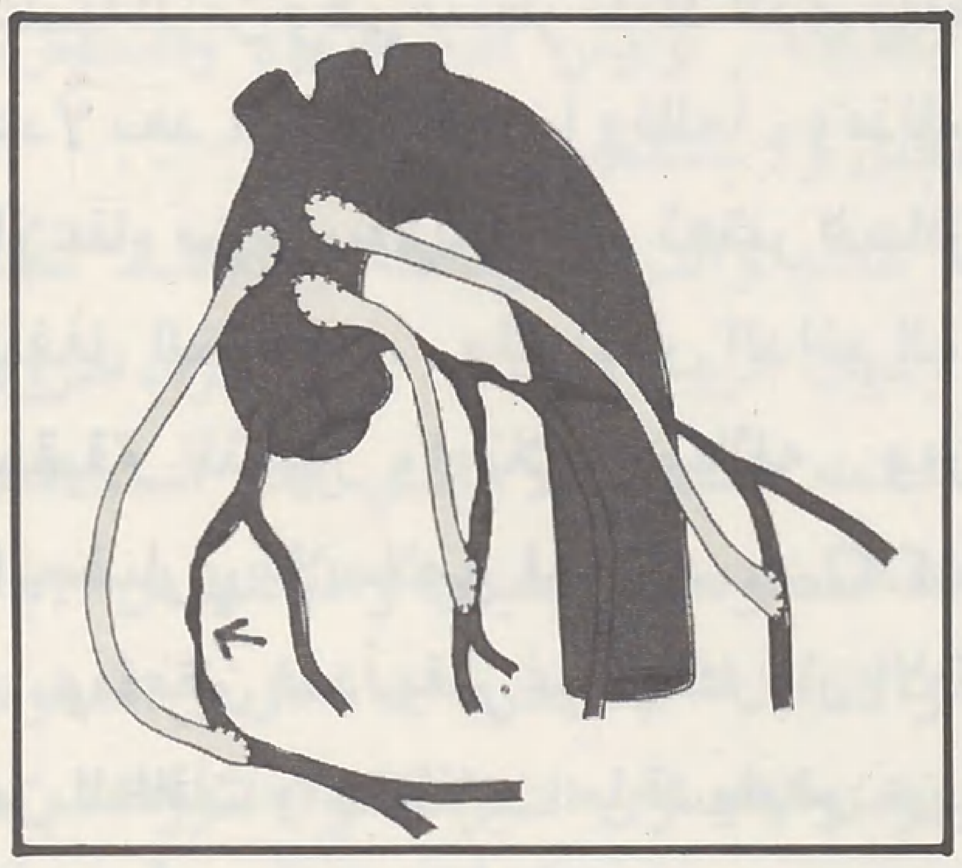

ما لا يعرفه الناس عن التدخين

■ يتوهم بعض المسؤولين أن حصيلة المال العائد من الضريبة على الدخان هي زيادة في الدخل القومي، بينما أضعاف أضعاف هذا المال يفقد بانخفاض الإنتاج العام للدولة بسبب إجازات المدخنين المرضية والعجز الواضح الناتج عن أمراض التدخين وزيادة نسبة الوفيات الناشئة عن هذه الأمراض .... (ص: ٧٤) ■

كلمة الأمة

قبسات

□□ إن الجهود والإمكانات والدعوات إلى النهوض بالأمة المسلمة إذا لم تتوفر لها الشروط الفنية اللازمة من الحسابات الدقيقة، والإدراك الواعي، والاختبارات الدائمة، والبصارة النافذة للواقع وكيفية التعامل معه لتحقيق الأهداف... سوف تنقلب إلى جهود ضائعة، وإمكانات مبعثرة، وحركات غير مجدية تساهم بشكل أو بآخر في تكريس تخلف المجتمع، وتجديد أخطائه، وتبديد طاقاته، وتضييع أجياله، والدوران في حلقة مفرغة - وإن ترافق ذلك مع سلامة النية والإخلاص، والمزيد من الحماس والتوثب الروحي، في كثير من الأحيان - إنه الإخلاص السلبي الذي لا يفتح البصيرةَ ولا يحقق ملكة الفرقان، ولا تدرك أبعاده ومستلزماته فينقلب إلى مهرب وجداني، وقد يحقق لصاحبه سعادة ومتعة ذاتية تبقى حسيرة وعاجزة عن المساهمة بأي تغيير وأي نهوض بالأمة المسلمة، أو أي شحذ لفاعليتها وحل لمشكلاتها المتراكمة التي تطاول عليها الزمن وهي تنتظر المنقذ الذي يهبط عليها ليملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً وظلماً، وبذلك توقع لنفسها وثيقة الإعفاء من المسؤولية التي تعتبر الحافز والشرط الضروري للفعل الحضاري، والهاجس الدائم الذي يدفع إلى استكناه حقيقة التغيير وامتلاك وسائله، ومن ثم تحقق البعث الحضاري الإسلامي المنشود... □□

وما نظن أحداً يقدر على الإنكار بأن الأمة المسلمة اليوم تمتلك من الطاقات والإمكانات، ما قد يفيض عن احتياجها، لكن الذي تفتقده: القدرات المختصة والشروط الفنية لتوظيف هذه الطاقات والإمكانات وحملها لتصب في مسارها الصحيح والسليم، إننا - من بعض الوجوه - كالأطفال الذين تمتلئ جيوبهم بالمال ولكنهم يفتقدون القدرة العملية والعقلية الراشدة لتوظيفه، وكالجاهل الذي يمتلك القنبلة، كسلاح فعَّال، لكنه لا يدري أي شيء عن شروط استعمالها، ولا عن المدى الذي يمكن أن تحققه، ولا العدو الذي يجب أن توجه إليه، إنه والحالة هذه قد يكون أقرب إلى تدمير نفسه من تدمير عدوه، ذلك أنه مالك للطاقة، لكنه فاقد للشروط الفنية في توظيفها واستخدامها...

ومن الضياع والضلال أن نعتقد أن سبب هذا الضياع والضلال تتحكم به كله أسباب خارجة عن الذات المسلمة، ونظل نلقي بالتبعة على الماسونية والصهيونية والصليبية والإلحاد لنعفي أنفسنا من المسؤولية عن قضايانا، ونتهرب منها بطفولة محزنة،

ذلك أن الشجرة ذات الجذور الضاربة في الأرض، القوية في ذاتها لا تقتلعها الرياح، ولا تجتثها العواصف، إن استمرارية العداوة لهذا الدين لم تتوقف تاريخياً، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٧) لكنها تختلف في تأثيرها بحسب قوة المسلمين الذاتية أو ضعفهم، وغفلتهم أو صحوتهم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ... ﴾ (النساء: ٧١) وقال تعالى: ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً... ﴾ (النساء: ١٠٢).

والأمر الخطير في الموضوع اليوم أن الأمة المسلمة التي ورثت النبوة ورحلة النبوة وتجربة النبوة من لدن آدم عليه الصلاة والسلام تعيش خارج نطاق كتابها الذي قص عليها وحمل إليها رصيد التجربة البشرية من عوامل قيام الأمم ونهوضها، وسبب دمارها وانقراضها، وكان نداؤه الخالد لها: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (الحشر: ٢) ففقدت الاعتبار وأصيبت بعطالة الإبصار وعدم إدراك البصائر؛ وتعيش خارج سيرة نبيها ﷺ، وتعجز عن تعدية الرؤية وتحقيق العبرة، ولم يبق لها من تاريخها نصيب إلّا بما يحقق لها من طرب بسبب عظمة يعجز الوريث أن يتلمس أسبابها...

إن التاريخ في مثل حالنا الذي نحن عليه يصبح عبئاً على الإنسان الكَلّ بدل أن يكون حادياً وهادياً للإنسان العدل..

١ من موقع القدوة

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل : ٧٦) .

ومن الأمور التي أصبحت حقيقة لا مراء فيها أن نهضة أي مجتمع متخلف لا يمكن أن تتم إلاَّ من خلال الظروف والشروط العامة التي تم فيها ميلاده ، وهذا يعني أن أية محاولة للنهوض وإعادة بناء المجتمع الإسلامي الجديد لا يمكن أن تتحقق بالقفز من فوق الشروط الفنية والظروف العامة والبنية الأساسية التي تشكلت خلالها الفكرة الإسلامية والتجربة التأسيسية للمجتمع الإسلامي الأول .

إن مجتمع الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام هو وحده محل القدوة لمجتمع العودة بعد الانسلاخ عن الإسلام : ولقد أدرك الإمام مالك رضي الله عنه هذه الحقيقة عندما قررها في القرن الثاني للهجرة وقد بدأ يلمح نذر التراجع ، بقوله : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها » .

إن هذا القول ـ فيما نحسب والله أعلم ـ لا يعني بحال من الأحوال الاقتصار على استحضار القيم والمبادىء والتحقيق في صحتها ونقلها من جيل إلى جيل فقط ، وإغفال الشروط العامة والظروف التي رافقتها وكيفية التعامل معها ، وأصول الدعوة ووضوح أهدافها وفقه مراحلها ؛ إن استحضار القيم لتصبح شعارات ترفع بالمناسبات وتعلن على المنابر ، وتردد بالاحتفالات ، وإن إغفال الظروف والشروط العامة والمناخات التي ترجمتها إلى قيم فاعلة ، وعدم رسم طريق العودة ومراحله بدقة وتدرج يعني مزيداً من الارتكاس والتعثر ، ولا نظن أن أحداً من المسلمين اليوم بات ينكر صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، وخلود الإسلام وصدق مبادئه وقدرته على استئناف حضارة إنسانية وسعادة بشرية ، إلى آخر هذه التعميمات التي أصبحت أقرب إلى المسلمات ومع ذلك لم يتبدل معها الواقع ، إنها شعارات محفوظة ومصدقة من كل المسلمين .

لقد تجاوزت الأمة المسلمة اليوم مرحلة الاقتناع بمصداقية الإسلام وضرورة العودة إليه ، وأصبح المطلوب البحث عن كيفية تطبيق مبادئه ، وتنزيل شرائعه على واقع الناس ، وتجسيد قيمه في حياتهم . وهذا لن يتأتى ما لم نعد إلى الاقتباس من المجتمع الأول . فكيف نخترق الحواجز القائمة ونحدد مراحل رحلة العودة لاستئناف الحياة الإسلامية التي بشرنا بها الخطباء والوعاظ والمتحدثون ؟ وما هي المداخل الحقيقية لشحذ فاعلية الأمة من جديد وتبصيرها بمراحل طريقها ؟ ولا نعني بذلك مزيداً من التوثب الروحي والحماس الملتهب ـ كما أسلفنا ـ والذي قد يكون أفقدنا ـ في كثير من الأحيان ـ الرؤية المتوازنة والحسابات الدقيقة ، ووظف من قبل أعداء الإسلام لتصفية حساباتهم ونحن ما نزال نظن أننا نحسن بذلك صنعاً ؛ ولعلّ في حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه زياد بن لبيد دلالة على ما نحن بصدده :

أخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده ، وابن ماجه بإسناد صحيح من حديث زياد بن لبيد ، قال : ذكر النبي ﷺ شيئاً ، فقال : « وذلك عند ذهاب العلم » قال : قلنا : يا رسول الله ، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونُقرئه أبناءنا ، وأبناؤنا يُقرئُونه أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ فقال : « ثكلتك أُمك يا زياد ، إنْ كنتُ لأراك من أفقه رجل بالمدينة ، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون منهما بشيء ؟! » .

إن ذهاب العلم والدراية والفقه ، وافتقاد ملكة الفرقان ، وغياب الروح الفاعلة ، وعدم إدراك شروط وظروف مجتمع النبوة ، لا يجدي معه استحضار القيم وحفظ النصوص وتحفيظها وانتقالها من الآباء إلى الأبناء والأحفاد !! لقد حذَّرنا الله تعالى من السقوط في علل اليهود والنصارى الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها ، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة : ٥) إنه حمل القيم ونقلها والعجز عن تمثلها ...

لقد كانت رحلتنا شاقة أدمت أقدامنا ، وسَيَّرتنا في دروب مظلمة ، وشعاب وعرة عندما جرينا وراء التغريبيين ، وظننَّا أن نهضة مجتمعنا الإسلامي ، أو تأسيس نهضة ، يمكن أن يتم

قبسات

بقيامه على أصول غريبة بعيداً عن الظروف والشروط التي رافقت ميلاد المجتمع الإسلامي الأول ، وكَلَونٍ من الافتتان بالغالب ومحاكاته ، حاولنا تأسيس نهضتنا على الأصول الغريبة الغربية فازددنا سقوطاً بتتبع سنن الأمم الأخرى والعدول عن سنننا ، فأضعنا النهضة وأضعنا الأصول جميعاً ... قال رسول الله ﷺ : « لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى إنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » .

من هنا فنحن مدعوون دائماً للعودة للتاسي والاقتباس من المرحلة التاريخية التي تم فيها ميلاد المجتمع الإسلامي الأول - مرحلة السيرة - وإدامة النظر في الظروف والمراحل والشروط التي تم فيها ذلك الميلاد ؛ لنؤسس على ذلك نهوض مجتمعنا من جديد ... إن تحول سيرة الرسول ﷺ عند كثير منا إلى مناسبات وأعياد واحتفالات ومواسم وموالد تنسج حولها الخرافة ، وتمجد فيها البدعة ، وتهزم معها الحقيقة ، وتغيب عنها السيرة الصحيحة وتوليد العزمة الصادقة مؤشر واضح على الهبوط والانحدار ؛ وقد لا تختلف موالدنا الحديثة (من اجتماعات ومناسبات واحتفالات) عن تلك الموالد الخرافية الشعبية من حيث الأثر والنتيجة .

من هنا نقـول ، ونحن على أبواب شهر ربيع الأنور : إن المطلوب من المسلمين الآن أكثر من أي وقت مضى ، إدامة النظر في السيرة العملية ، والقَبْس من مواقع الاقتداء حيث البيان الميداني التطبيقي لِتَنَزُّلِ آيات القرآن على واقع الناس .

لا بـد من تحديد الظروف والشروط والمراحل والخطوات التي تمت فيها ولادة المجتمع الإسلامي الأول ليكون ذلك أنموذجاً لا بديل عنه للنهوض والارتقاء ؛ ولا نريد بذلك مزيداً من الكتب التي تسرد علينا السيرة النبوية ، كمرحلة تاريخية من مراحل تاريخ الأمة المسلمة ، أو مزيداً من الموالد الشعبية أو الرسمية والاحتفالات ، وإنما الذي نعني بإدامة النظر : الدراسة التحليلية التي نستطيع من خلالها أن نمتلك الرؤية الإسلامية الشاملة العملية الميدانية التي تكسبنا القدرة على إنزال النصوص والقيم الإسلامية على واقع الناس ؛ الدراسة التي نمتلك من خلالها الوقوف على منهج أصول الدعوة الإسلامية في العصر الحالي وفقه مراحلها وأهدافها ومقاصدها العامة ؛ لتكون ضوابط للسلوك ، وكوابح لردود الأفعال ، فلا تغيب الأهداف ولا تُفْتَقَد الحِكَمُ من خلال دفقات الحماس ، واهتياج العواطف ، وضغوط الصور غير الإسلامية على أعصابنا وعدم الإغراق في النظرات المثالية إلى مجتمع الميلاد الأول .

إنه مجتمع البشر الذين يخطئون ويصيبون ويحملون معهم بعض أمراض مجتمعاتهم الجاهلية السابقة عن الإسلام ، ذلك أن النظرة المثالية التي انتهى إليها وأكدها بعض الدارسين أصبحت من العوائق والمثبطات ... من هنا نقول : إن ميلاد المجتمع الأول هو قدوة مجتمع النهوض .

إن النظرة إلى السيرة عند بعض دارسينا ومؤلفينا لا تخرج عن كونها مرحلة تاريخية تسرد حوادثها بالصورة ، وبالطريقة نفسها ، والنتائج نفسها التي تحكم الفترات التاريخية كلها في حياة الأمة ، وعند بعضهم الآخر لا ينظر إليها إلَّا من خلال ما يمكن أن يستنبط منها من فقه تشريعي ، حتى جاءت بعض المؤلفات تسرد حوادث السيرة ثم تُلحق ذلك بمجموعة أحكام فقهية مستنبطة .

إن هذه النظرة لم تقتصر على السيرة النبوية ، وإنما كانت النظرة نفسها إلى آيات القرآن الكريم ، فقد اقتصر بعضهم في ذلك على استنباط الأحكام الفقهية التشريعية ، أو ما سمي بآيات الأحكام التي أوصلها بعض العلماء إلى خمسمائة آية أو يزيد ، وكأن آيات الشورى والعدل والتربية ، وسنة انقراض الأمم وبناء الإنسان ، وسنن حكم الحياة والأحياء ليست هي مقصودة في التنزيل ، وعلى الرغم من الاستبحار العظيم والفائدة الكبيرة التي تحصلت من هذه الثروة الفقهية التشريعية ، إلَّا أن الجوانب الأخرى ليست أقل أهمية ، بل قد تأتي من الأهمية في المقام الأول ، إذ لا بد من بناء الإنسان القادر على فهم مناخه وتاريخه وعلاقاته الاجتماعية ، وسنن الحياة والأحياء ليكون بحق محلاً سليماً لتطبيق الأحكام ، فما قيمة تقرير الأحكام بغياب الإنسان ؟!

أما ما يمكن أن يتحصل من فقه حضاري يمكّن من النظر في قيام الحضارات وسقوطها ، والعلل التي تتسلل إلى الأمم وتؤدي إلى

١ من موقع القدوة

انقراضها ، وفقه الحركة التاريخية ودور الإنسان وفاعليته فيها ، والفقه السياسي والإداري والمالي ، والفقه الاجتماعي واكتشاف السنن والقوانين التي تحكم حركة المجتمعات البشرية ، فيكاد الإنسان لا يجد لها المساحة التي تتناسب مع أهميتها وخطورتها ...

من هنا تختلف السيرة ـ كمحضن اكتمل خلالها ميلاد المجتمع الإسلامي ـ عن التاريخ الإسلامي بشكل عام ، إنها مصدر للتشريع ومصدر لاستبانة أهداف الدعوة ووسائل العمل ، ومصدر للتربية والإعداد والمجاهدة والجهاد وكيفية التعامل مع الأعداء في الظروف والمناسبات ، ووسائل إيضاح ومعالم هدىً لا بد من استيعابها من حياة ومواجهات الداعية القدوة عليه الصلاة والسلام للمواقف المتنوعة والمختلفة من امتحانات النصر وامتحانات الهزيمة على حد سواء ، لأن الحياة ليست إلَّا مجموعة انتصارات ومجموعة هزائم ، والله تعالى يقول : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (آل عمران : ١٤٠) وقد يكون مستغرباً إلى حد بعيد أن نقول : لا بد من إدامة الدراسة لإيضاح أهداف الدعوة ومقاصدها العامة بعد هذه القرون المتطاولة ، والعودة بين الحين والآخر لاختبار سلامة السير ومدى انطباقه على منهج أصول الدعوة ، وتحقيقه لأهدافها ، وانضباطه بمقاصدها ، والقضاء على الجنوح والخروج الذي يكمن في طبيعة البشر ، والخروج من صور التعميمات والضبابيات التي تساهم بالضياع أكثر من مساهمتها بتحديد الخطوة وتصويب السير ورسم طريق العودة بعد الاتفاق والاقتناع بضرورة هذه العودة ...

وليست السيرة مصدراً للفقه التشريعي فقط ، إنها مصدر للحياة الإسلامية والتعرف على الحلول المنضبطة برعاية الوحي وحراسة السماء .

أما التاريخ الإسلامي فلا يصل بحال من الأحوال إلى هذه الدرجة ، إنه محاولات بشرية تخطىء وتصيب ، إنه ساحة ومختبر للدروس والعبر وليس مصدراً للتشريع ...

ولا شك أن العناية بالسنة ، صحيحها وضعيفها ، صادقها ومكذوبها ، والتأصيل لعلم « مصطلح الحديث » وقواعد الجرح والتعديل حمل لنا الخير الكثير من الحفظ والاطمئنان لهذه الثروة الهائلة من النصوص الإسلامية والأحكام التشريعية ، وسلامة النص الديني من أي تحريف أو تعديل ؛ الأمر الذي افتقدته الأديان السماوية السابقة عن الإسلام .. لكن يبقى المطلوب أن تأخذ السيرة العملية القدر نفسه من الدراسة والفقه ، لأنها المحل الرئيس لفقه الحركة والسلوك .

إن علم « مصطلح الحديث » وكل القواعد والدراسات التي أوصلت إلينا السنة صحيحة ، كانت مقدمة لا بد منها ، لكن لا يجوز أن تنتهي المهمة عند ذلك الإثبات ، بل قد يكون هذا الإثبات وسيلة للوصول إلى الثمرات والأهداف التي من أجلها كان هذا الإثبات ؛ وهي صياغة السلوك الإسلامي وفق مقتضيات الشرع .

والوقاية من أمراض الأمم : المفاخرة بالتراث والعجز عن تمثله والإفادة منه ، والمفاخرة بالماضي والعجز عن إسقاطه على الواقع وإضاءته للمستقبل ، إنه الانتصار العاطفي الذي لا يسمن ولا يغني من جوع .

إن أصول الدعوة ووسائلها وأهدافها ومقاصدها وتحديد الفهم الصحيح لها مركوز في السيرة العملية ، فهي المعين الذي يمد الدعوة ويحصن الدعاة بدروس الصبر وضوابط الظفر والانتصار ، ولعل في توقف الرسل واستمرار الرسالة وخلودها معنىً واضحاً على استمرارية المعاني والعبر لتستوعب وتشمل كل المواجهات التاريخية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، إنها الحقائق المجردة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان ؛ وهذا يعني من بعض الوجوه : القدرة الإسلامية على تنزيل وإسقاط ذلك على الحركة التاريخية والتحكم بمسارها في كل زمان ومكان من خلال الرصيد الكبير من التجارب والدروس التي شهدها عصر الرسول ﷺ .

وسوف نعرض في العدد القادم ـ إن شاء الله ـ لبعض المواقف من السيرة العملية وحياة الأصحاب ، ونلقي عليها بعض الأضواء التي نرجو أن تكشف لنا شيئاً من الطريق ، وتحدد لنا بعض المعالم من خلال المعاناة والتعثر التي يعيشها مسلم اليوم ؛ ولله الأمر من قبل ومن بعد .

بقلم : الدكتور . عباس محجوب

واقع الأدب الإسلامي والالتزام

■ التزام الأديب المسلم بمجتمعه لا يقوم إلَّا على الصورة المثلى التي يرجوها لهذا المجتمع .. أما صورة التخلف والمخالفة للإسلام .. فهو يرفضها ويحاول جهده تغييرها إلى الأفضل .

إن الأدب العربي يجب ألَّا يكون أدباً انطوائياً تجريدياً قائماً على الإحساس الفردي والانفعال الوقتي والعاطفة الدفاقة ، بل لا بد من أن ينفعل بالأحداث ويعايشها .

ومع أن الأدب ـ كما هو معلوم ـ تعبير عن ذات الإنسان ، إلَّا أنه لا ينعزل عن واقع المجتمع الذي يعيش فيه الأديب ، ولا عن تراثه الحضاري وقيمه الموروثة وتاريخه ، وعلى هذا فإن قضية الالتزام لم تكن مجال أخذ ورد في الأدب الإسلامي ؛ لأن الأديب المسلم إنسان ملتزم بمجتمعه ، وبواقع أمته المسلمة ، وبقيمها ومبادئها المستمدة من دينها ، فهو وثيق الصلة بالمجتمع يكتسب مكانته وقدره من إبداعه في فنه وتناوله لمشكلات مجتمعه ، الأمر الذي يجعل واجب المجتمع أيضاً حيال الأديب أن يحقق له أهدافه ، ويمهد له طريقه ، ويمكنه من أداء رسالته في المجال الاجتماعي الذي يعيش فيه ، والإنساني الذي ينتمي إليه .

وليس معنى هذا أن الأديب المسلم ملتزم بواقع مجتمعه المتخلف البعيد عن منهج الله ونظامه ، المعطل لشريعته وأحكامه ، وإنما هو ملتزم بواقع مجتمعه كما يجب أن يكون عليه المجتمع المسلم . فإذا كان المجتمع بعيداً عن واقعه الذي أراده الله له ، فإن التزامه يتجسد في محاولته تغيير الأوضاع المخالفة للإسلام ، والشرائع السائدة في المجتمع ، والتخلف الذي يكبله بالأغلال والقيود ، والمعوقات التي تقف في طريق تطلعات الأمة وآمالها نحو حياة أفضل في ظل المنهج الرباني ، وهو في مثل هذا الموقف داعية إلى التغيير من أجل تبديل صور الحياة الجاهلية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، واضعاً نصب عينيه تأمين الحرية في مفهومها الأكبر الخاضع للعبودية لله وحده ؛ لأن التحقق بالعبودية لله هو منتهى الحرية وهي تعني التخلص من جميع مظاهر العبودية الأرضية .. ويتطلب ذلك أيضاً تأمين حرية الوطن الإسلامي والفرد المسلم في تحقيق مظاهر الحرية التي منحها الله له وطالبه بالحفاظ عليها .

فإذا كان المسلمون اليوم يعانون من أوضاع الفقر والتخلف والظلم والاستبداد والتسلط والطغيان والكفر والإلحاد والتشكيك في العقيدة والدين ، فإن الالتزام من الأديب هو مواجهة هذه الأوضاع لتغييرها إلى الأفضل والأمثل والتخلص من قيود المرض والجهل والتمييز الطبقي والطائفي ، والتفتح على قيم الإسلام وتراثه والارتفاع بمستوى المجتمع والأمة لتتناسب أوضاعها مع مبادىء الإسلام التي يؤمن بها والفكر الرباني الذي يدين به .

■■ يفرِّق الأدباء بين واقعين يستمد منهما الأديب صوره وهما الواقع الحسي والواقع المادي ، فالانبهار بالحدث ثم ترجمته إلى عمل أدبي هو تعبير عن الواقع الحسي لا يزيد كثيراً عن الصورة التي تنقلها آلة التصوير ، أما معايشة الحدث والتأثر به والانفعال المباشر به فهو تعبير عن الواقع المادي ؛ لأنه تعبير حقيقي عن الواقع معتمد على رؤية واضحة لها ارتباط بأصول الحدث وجذوره ، ولهذا كان اهتمام الأدباء دائماً بتصوير الأحداث في واقعها العام والتجربة الشخصية ، ومن هنا كان الجمال الأخاذ لأدب الرحلات المستمد من الواقع المادي ، فالتعبير الأدبي المادي هو الذي نشتم فيه أريج الأزهار ونشم منه رائحة الدم ونسمع هدير السيول وخرير المياه .

ولذلك كان أدب المعارك الإسلامية أدباً يستمد صوره من جذور المعركة ومعايشة التجربة والصدق الذي ينقله إلينا الأديب بأسلوبه الغني بالعاطفة . فالأديب أو الشاعر المسلم كان يستمد شعره من لهيب المعارك ومعاناة الحروب والامتزاج بالواقع الذي يصوره مما جعل معايشته للأحداث بفكره وقلبه ووجوده وتصويره ذلك في قصيدة أو فن من فنون الأدب جديراً بالاستمرار والبقاء . ■■

■ الأدب الملتزم أدب إبداعي يقوم على المبادىء والنظرة الإنسانية الفاضلة .. يكتسب منهما صفة الفعالية والاستمرار والخصوبة .. إن الأديب الملتزم هو روح الأمة وضميرها الحي ..

إن الأديب لا يقل دوره عن رجل الحرب والسياسة ، فعليه ألَّا يغفل واجبه الأساسي الملتزم مع مجتمعه وأمته وتطلعاته وطموحاته والدفاع عن حريتها وحقها في الحياة الكريمة ، وتبصيرها بالواقع ، والصدق مع النفس ، والتجاوب العاطفي والوجداني مع المشكلات الحياتية النابعة من ممارسات الواقع .

والالتزام الذي يجعل الأديب منطلقاً من حريته المسؤولة هو الذي يجعله مجاهداً في صفوف المجاهدين ، وعاملاً من أجل تغيير البنية المادية والنفسية للأمة ، وفرق بين الالتزام والإلزام ، فالالتزام ارتباطٌ حرٌ بقضايا المصير ، وفعالية في تطور المجتمع وإسهام في أداء الأمة مسؤولياتها ، فهو داعية إلى التضامن والتكاتف والوحدة ، رافض لأنواع القهر والاستبداد والاستغلال ، قائد للأمة إلى أهدافها الرئيسة في الحياة ؛ لأن الالتزام أيضاً حالة اختيارية فإنه ضد القسر والإلزام ، وهذا يقتضي أن يترفع الأدب عن تقديم قصائد الشعر المتخمة بالمبالغة والكذب والثناء والإطراء في بلاط الملوك والأمراء والساسة والرؤساء ؛ لأن فيها امتهاناً لدور الأدب وإذلالاً لمكانته ، كما أن قسر الشعراء على كتابة الأناشيد والقصائد التي تمجد الديمقراطية الزائفة والاشتراكية ليردد ذلك العمال والفلاحون ، يعد أدنا أنواع الاضطهاد للأدب والأدباء والمفكرين .

إن الأدب الذي يأتي للتملق والزلفى أو نتيجة القسر والضغط يكون أدباً ميتاً لا يتعدى في تأثيره حدود زمانه ومكانه لأنَّه أدب طبول دعاية ونفاق وتملق وتزييف وتدليس للسلطة والأمة .

وأدب الالتزام أدب إبداعي يقوم على المبادىء والنظرة الإنسانية ، يكتسب منهما صفة الفعالية والاستمرار والخصوبة .. وهو الذي يرتفع بمستوى الأمة في تربية ذوقها وإرهاف حسها ؛ لأن الأديب الملتزم روح الأمة وضميرها الحسي ؛ ولذلك كان على السلطة الحاكمة تهيئة الجو المناسب له والمناخ الذي يبدع فيه ، والحرية التي لا تحد من حدوده وطاقاته ، ما دامت في حدود الالتزام بالدين والأخلاق والمثل التي تعيش الأمة لها وتعمل على نشرها وتأصيلها ، ولا يمكن للأديب أن يقوم بهذا الواجب إلَّا إذا توفرت له الوسائل المادية والمعنوية التي تساعده على عملية الإبداع والإنتاج وعلى رأس هذه الوسائل قضية النشر لإنتاج الأدباء وأعمالهم ، إلى جانب كفالة الحرية للكلمة المكتوبة ، لأن قيام الدولة بمسؤولية النشر هي التي تشجع الأدباء والمفكرين وتثري الحركة الفكرية وتمدها بأسباب البقاء والاستمرار .

بقلم: اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

اقتصاد الأمة قوة ضاربة

■■ الأخطار المحدقة باقتصاد الأمة

الحرب في عصرنا، لاتقف عند خط جبهة القتال، بل تتجاوزه إلى «عمق» الدولة بكل ما فيه من منشآت ومرافق وتجمعات سكانية، وقد أصبح هذا العمق من الأهداف التي «تتلقى الضربات» مع الجيوش المحاربة وربما قبلها.. وذلك لأن عمق الدولة هو «المستودع الرئيسي» للقوة بكل عناصرها المادية والمعنوية، وهو الذي يمد القوات المسلحة باحتياجات المعركة، ويقويها على «الصمود» وعلى «الاستمرار» في القتال.. من أجل ذلك أصبح نجاح الدولة في تحقيق أهدافها وإحراز النصر على أعدائها يتوقف إلى حد كبير على نجاحها في الاحتفاظ لهذا المستودع - رغم ظروف الحرب وأخطارها - بأسباب الحياة والقدرة على العطاء■■

والأمر الذي يستحق الانتباه أن «الضرب المباشر» ليس هو الخطر الوحيد الذي يتعرض له هذا المستودع الكبير، بل هناك أخطار أخرى تدخل في إطار ما يسمى بالحرب الاقتصادية[1] نذكر من أهمها الحصار الاقتصادي الذي يشكل عاملاً من عوامل الضغط لإحداث الأزمات الاقتصادية وشل فعالية البناء الاقتصادي، ولاينحصر الحصار الاقتصادي - كما قد يفهم بعضهم - في منع وصول الامدادات إلى الدولة بضرب القوافل البحرية مثلاً، لكنه عمل ينطوي على أعمال عديدة نذكر منها:

تقييد عمليات التصدير والاستيراد - تقييد حركة الأرصدة المالية أو تجميدها - مراقبة الاتفاقيات التجارية واتفاقيات التسليح والعمل على التقليل منها أو إيقافها - مراقبة الشحن البحري أو الجوي أو البري - استخدام القائمة السوداء لإرغام الشركات والمؤسسات على قطع تعاملها مع الدولة - منع تهريب السلع المختلفة إلى الدولة ...الخ.

توجيهات الإسلام:

وأمام هذه الأخطار فإن الأمة الإسلامية لاينبغي أن تقف مكتوفة الأيدي، فلها في توجيهات دينها ما يمنحها القدرة على مواجهتها والتغلب عليها.

والأمر الذي يستحق التأمل حقاً، أن توجيهات الإسلام لاتكفل احتفاظ القاعدة الاقتصادية بالقدرة على أداء دورها رغم ظروف الحرب فحسب، بل إنها تجعل من اقتصاد الأمة الإسلامية «قوة ضاربة» تساهم مع «القوة المسلحة» في ردع العدو وقمع عدوانه، وذلك ما نوضحه باختصار فيما يلي:

أولاً: الربط الوثيق بين العسكرية والاقتصاد

● يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠) فهذه الآية الكريمة ذكرت ما تحتاج إليه القوة من مال وإنفاق، فضلاً عن أنها ذكرت لفظ «قوة» مطلقاً بغير تحديد ليشمل القوة الاقتصادية والقوة العسكرية وغيرهما من عناصر القوة.

● وتكليف الجهاد في سبيل الله يشمل الأموال والأنفس، بل لقد ورد الجهاد بالمال في أغلب آيات الجهاد مقدماً على الجهاد بالنفس تأكيداً لأهميته كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (التوبة: ٢٠) وكما في الحديث: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم» (رواه أحمد والنسائي وصححه وغيرهما)

● والتهاون في إنفاق الأموال والاستعداد للقتال قبل قوعه يعرض الأمة للهلاك يقول الله تعالى:

■ توجيهات الإسلام تجعل من اقتصاد الأمة قوة ضاربة تساهم مع القوة المسلحة في ردع العدو وقمع عدوانه .

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٥)

● ومقتضيات الربط بين العسكرية والاقتصاد تشمل مايلي :

١ ـ عند التخطيط للتنمية الاقتصادية في الأمة الإسلامية ، يجب ان تراعى الاعتبارات الاستراتيجية العسكرية ، ويعتبر هذا الأمر من مسؤولية اعلى قيادة سياسية وعسكرية في الدولة (القيادة العليا) فهي التي تباشر تنسيق وتوجيه جميع امكانات الدولة نحو تحقيق القدرة الدفاعية والنصر في الحرب ، ويتطلب ذلك ان يشمل تنظيم الدولة الأجهزة والمجالس المشتركة للتنسيق بين خطط التنمية الاقتصادية ومتطلبات الاستراتيجية العسكرية ، ووضع الخطط الكفيلة بتزويد القوات المسلحة باحتياجاتها كافة وقت الحرب .

٢ ـ في وقت الحرب فإن اقتصاد الأمة الإسلامية «يتقرر كلية» وفقاً للمطالب العسكرية أي يتحول إلى «اقتصاد حرب» ، ومن أهم أسباب النجاح في هذا التحول ان يكون البنيان الاقتصادي أصلاً «قادراً على التكيف» مع متطلبات الحرب ، ومن ذلك مثلاً تحويل المصانع المدنية إلى الصناعة الحربية وزيادة القدرة الانتاجية ..

٣ ـ والذي نتصوره أنه يجوز لولي الأمر ان يأخذ من أموال الناس وقت الحرب ما تدعو إليه الحاجة : ومن أمثلة ذلك ما يدخل في إجراءات التعبئة العامة (النفير) من الاستيلاء على بعض سيارات النقل المدنية ، او السفن التجارية ، أو المباني او بعض المساحات من الأراضي لصالح المجهود الحربي . مع مراعاة توزيع الأعباء حسب الاستطاعة وضمن حدود العدالة .

ثانياً : ضرورة احراز التفوق الاقتصادي

مادام الاقتصاد عنصراً من عناصر الصراع ، وله حسابه الكبير في موازين القوى ، فإن الإسلام يوجه إلى أن يكون اقتصاد الأمة الإسلامية متفوقاً ، وذلك مايفهم من أن انفاق المال من مقومات الردع الإسلامي كما تشير الآية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ...﴾ فالاقتصاد المتفوق هو الذي يكون له قوة الردع وإيقاع الرهبة في قلب العدو ، وذلك لأن العدو إذا رأى أنه سوف يواجه قوة عسكرية وراءها قاعدة اقتصادية متينة ولديها القدرة على تزويدها باحتياجاتها « مهما طال امد الحرب » ، فسوف لايستهين بالمسلمين ، ولايعلق أمله على التغلب عليهم مما يدفعه إلى التخلي عن فكرة العدوان عليهم أصلاً او إلى عدم الاستمرار في الحرب .

ثالثاً : الاكتفاء الذاتي وعدم الاعتماد على الغير

ومادامت القوة (بما فيها الاقتصاد) التي امر الإسلام بإعدادها هي القوة الرادعة التي ترهب الأعداء ، فإن ذلك لايتحقق إلا إذا كانت للأمة الإسلامية « قدراتها الذاتية » ، لأن اعتمادها على غيرها من الأمم يضعها في مهب عواصف التغيير والتقلب في السياسات والمصالح وموازين القوى العالمية .

ولكي تحقق الأمة أكبر قدر من الاكتفاء الذاتي فإن الإسلام يوجهها إلى مايلي :

١ ـ التكامل الاقتصادي

الأمة الإسلامية أمة واحدة ، فلابد أن يقوم نظامها الاقتصادي على أساس التكامل بحيث تصب الروافد الاقتصادية لدولها في مجرى واحد لتحقيق القوة التي يخشاها الأعداء . يقول الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٧١)

٢ ـ التقنية الإسلامية

وينبغي أن يكون للأمة الإسلامية التقنية (التكنولوجيا) الخاصة بها والمناسبة لظروفها والناتجة من عقول ابنائها وتعد من أسرارها .

وإذا كان «نقل التكنولوجيا» عملاً حكمت به ظروف كثير من البلاد الإسلامية ، فلابد ان يكون ذلك في اضيق الحدود ، وان تتخلص الأمة من هذه التبعية لتحقق لنفسها القدرة الذاتية . ففي المجال الحربي على سبيل المثال علينا أن نعرف أن « تصميم » الأسلحة والمعدات الحربية

يخضع لعوامل كثيرة، مثل: طبيعة الأرض والمناخ وتسليح العدو والامكانات الاقتصادية وسياسة الدولة الحربية وغيرها من الاعتبارات الاستراتيجية، فنحن حين نستورد السلاح، نأخذ ما يصلح لغيرنا ولايصلح بالضرورة لنا، فضلاً عن ان أسراره تكون معلومة لغيرنا ولانستثني منهم العدو!

من أجل ذلك ينبغي أن تكون للأمة صناعتها الحربية الخاصة التي تكون من أبرز خصائصها توافقها مع طبيعة البلاد الإسلامية وظروفها الاستراتيجية، وأن يكون أساس بنائها «إسلامياً» خالصاً في كل مراحلها ابتداء من «التصميم» إلى نهاية التنفيذ، و«بالامكانات الإسلامية» من مواد خام وأيدي عاملة ورؤوس أموال وإشراف واختبار.

والأمة الإسلامية قادرة على تحقيق ذلك إذا احسنت الإفادة من ثرواتها وما تملكه من حشد كبير من العلماء والخبراء والمتخصصين والفنيين، تستطيع بهم إيجاد «المراكز الإسلامية للبحوث والتصميم»[٢]، والدخول «في قلب» العملية الصناعية وليس «بالدوران حولها» أو النظر إليها، فذلك هو السبيل لبلوغها مرحلة «السيادة التقنية» وهي جوهر القدرة الذاتية.

٣ ـ التكافل العلمي

ولعل المطلب الأول لبناء تقنية إسلامية وتطويرها هو تعاون الدول الإسلامية في مجالات العلوم والتدريب الفني، فالتكافل في هذا المجال «واجب شرعي»، فلقد هدد الرسول ﷺ الأشعريين وهم قوم فقهاء، لأنهم لا يُفقّهون جيرانهم من الأعراب، كما هدد أولئك الأعراب أيضاً لأنهم لم يسعوا إلى الفقهاء ليتعلموا منهم. فقال عليه الصلاة والسلام: «مابال أقوام لايفقهون جيرانهم ولايعلمونهم ولايعظونهم، ولايأمرونهم ولا ينهونهم، ومابال أقوام لايتعلمون من جيرانهم ولايتفقهون؟ والله ليعُلِّمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم، وليعلمن قوم من جيرانهم يتفقهون ويتعظون، أو لأعاجلنهم العقوبة»، كما قال عليه الصلاة والسلام: «العالم والمتعلم شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس بعد» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

رابعاً: الوقاية من الأزمات الاقتصادية

ان مطالب الجيوش من المؤن والذخائر والأسلحة والوقود تزيد وقت الحرب، وهي لاتحتمل ـ بحكم ظروف المعركة ـ التأجيل أو التعرض للأزمات والاختناقات، من أجل ذلك يحرص الإسلام على وقاية الأمة من التعرض للأزمات الاقتصادية التي تنشأ نتيجة لتدمير المنشآت الاقتصادية أو الحصار الاقتصادي أو الاحتكارات العالمية، فيوجه المسلمين إلى مايلي:

١ ـ تخزين المواد الاستراتيجية والاحتياجات:

وتظهر هنا أهمية «التخطيط الاقتصادي» و«مضاعفة الانتاج» لتوفير فائض من هذه المواد يتم تخزينه في المستودعات، يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (يوسف: ٤٦ ـ ٤٩)

٢ ـ ضبط الاستهلاك ومحاربة الإسراف:

فذلك من أهم ما يساعد على تكوين فائض من السلع والمواد لمواجهة الأزمات والمطالب المضاعفة وقت الحرب، يقول الله تعالى: ﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَاتُسْرِفُوا إِنَّهُ لَايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١) ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾ (الأسراء: ٢٧) ويقول الرسول ﷺ: «الاقتصاد نصف المعيشة» (رواه البيهقي والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما). ويقول: «التبذير انفاق المال في غير حقه» (أخرجه ابن المنذر وغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه)

٣ ـ تحريم الاحتكار واستغلال ظروف الحرب:

ويحرم الإسلام احتكار الأقوات واستغلال ظروف الشدة والحرب لتحقيق الارباح برفع الأسعار والغش في المعاملات، ويصف الله التجار الأمناء الذين يقومون بواجبهم نحو الله والناس ولاتشغلهم اعمالهم عن الله فيقول: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَابَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَاعَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (النور: ٣٧ ـ ٣٨)

ويقول الرسول ﷺ:

- «التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء» (رواه الترمذي والحاكم).
- «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» (رواه ابن ماجة والحاكم عن عمر رضي الله عنه).
- «من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء الله منه، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى» (رواه أحمد).
- وأنذر عليه الصلاة والسلام التجار الذين يغالون في الأسعار فقال: «من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم، كان حقاً على الله أن يقذفه في جهنم رأسه أسفله (أي مُنكّساً)» (رواه الحاكم واللفظ له وأحمد والطبراني).
- كما نهى عن الغش في المعاملات فقال: «المسلم أخو المسلم، لا يحل لمسلم باع من أخيه بيعاً وفيه عيب إلا بيَّنه» (رواه ابن ماجة والطبراني وغيرهما).

٤ ـ مواجهة النقص في الأيدي العاملة:

المعروف أنه عند اعلان التعبئة العامة وقت الحرب، فإن كثيراً من العاملين في المزارع والمصانع وغيرها من مصادر الانتاج يطلبون للقتال[٣] فيصبح من الضروري أن تظل هذه المصادر محتفظة بطاقاتها الانتاجية ان لم يتطلب الأمر أن «تضاعف» من انتاجها، وهنا تظهر توجيهات الإسلام في التخطيط والإعداد

والاستعداد ، حيث ترشد إلى الطريقة التي يمكن بها سد الفراغ وتجنب الأزمات ومن ذلك مثلاً التدريب الجيد للعاملين الجدد ليحلوا محل من استدعي للقتال ، وبرفع كفاءة جميع العاملين ، وتحسين وتطوير إجراءات وأساليب العمل إلى غير ذلك من التدابير .

خامساً : التعبئة الاقتصادية فريضة وتكليف

وعلى أساس أن التكليف بالجهاد هو تكليف بالجهاد بالأموال والأنفس فان الإسلام يوجه المسلمين إلى مايلي :

١ - إذا أعلن نفير الجهاد ، وجب على المسلمين أن يستجيبوا له «بالأموال» و «بالأنفس» ، وقد يكون الطلب على الأموال أكثر من الطلب على الأنفس ، إذ انه يمكن الاكتفاء من الرجال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو كان يكون جيش المسلمين ضعف جيش العدو أو ثلاثة أضعافه ، أما المال فلا حدود لطلبه ، فالمال «عصب الحرب» كما يقولون ، ومعنى ذلك :

- **أن غير القادرين على الجهاد «بالنفس» لعذر من الأعذار كالضعف أو المرض أو بسبب بعدهم عن مكان المواجهة مع العدو ، عليهم أن يساهموا في المعركة بقدر استطاعتهم بالمال او مايقوم مقامه كالمؤن والبترول والسلاح والذخيرة وغيرها .**

٢ - المؤمنون يستجيبون للنفير بأموالهم وانفسهم « لايستأذنون » فيما هو فريضة وتكليف كما يفهم من قول الله تعالى : ﴿ لَايَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ، إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُم فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (التوبة : ٤٤ - ٤٥)

٣ - المساهمة بالأموال في المعركة « لا تحتمل » أن تاخذ صفة «التبرعات » أو الهبات او التراحم ، بل هي « تكافل عام» مفروض على ابناء الأمة الإسلامية جميعاً .. فالأمر - في مجال التراحم وفي صدقات البر والتطوع - موكول إلى الضمائر ، أما في التكافل العام ، فالإسلام يفرض الزكاة ركناً من أركان الدين الخمسة ، ويفرض الجهاد على القادرين من ابناء الأمة تكليفاً ملزماً ، من نكص عنه ، ظلم نفسه وعق دينه وامته .

سادساً : المحافظة على أسرار الاقتصاد

نخطىء كثيراً إذا تصورنا ان « الأسرار » تتعلق فقط بالنواحي العسكرية ، فالحق ان المعلومات التي تتعلق باقتصاد الأمة يجب ان تعامل معاملة المعلومات العسكرية سواء بسواء ، ولعلنا بعد ان عرفنا اهداف الحرب الاقتصادية ووسائلها ، ندرك ان هذه الحرب لايمكن ان يخطط لها العدو أو يقوم بها إلا على اساس ما يحصل عليه من معلومات عن كل ما يتعلق بالاقتصاد لدينا : الموازنات - الاعتمادات المالية التصدير والاستيراد - ارصدة النقد الأجنبي - الاتفاقيات الاقتصادية - المنشآت والمستودعات طاقاتها ومواقعها - المشكلات الاقتصادية - مواعيد وحمولات ووسائل الشحن وقوافل النقل البحري والبري والجوي ... الخ .

من اجل ذلك ينبغي ان يتسلح ابناء الأمة بقدر كبير من وعي الأمن وكتمان الأسرار ، فضلاً عما تتخذه الدولة من اجراءات الأمن الوقائي لمنع كشف أسرارها ومنع العدو من الحصول عليها ، فإن من اهم حقائق عصرنا ان الأمم التي تكتم أسرارها هي الأمم التي يمكن ان تنتصر .

■ إن من أهم حقائق عصرنا أن الأمم التي تكتم أسرارها الاقتصادية والعسكرية هي الأمم التي يمكن أن تنتصر .

الهوامش

١ - الحرب الاقتصادية يقصد بها التدابير التي تتخذ لإنزال الهزيمة بالعدو وحرمانه من الوسائل المادية للمقاومة وتخريب اقتصاده القومي كي لايستمر في الحرب ، وقد شاع استعمال هذا الاصطلاح في العلاقات الدولية قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية مباشرة لاسيما في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، وكانت بريطانيا أول من استعمل هذا الاصطلاح واعتبرته انعكاساً للتطورات في الآراء والنظريات القديمة لمفهوم « الحصار البحري » Beockade .

٢ - لكي نوضح مدى عناية الدول المتقدمة بالبحث العلمي والتقني نورد بعض الاحصائيات : فإن نصيب الفرد من ميزانية البحث العلمي والتكنولوجي في سويسرا هو ١٧٨ جنيهاً استرلينياً في السنة وفي المانيا الغربية ١٣٧ وفي الولايات المتحدة ١٢٣ وفي السويد ١١٣ وفي هولندا ١٠٢ وفي فرنسا ٩٣ وفي اليابان ٨٦ (بلغت ميزانية البحث العلمي في اليابان عام ١٩٨٢ واحداً وثلاثين بليون دولار) .

٣ - المعروف أن الجنود الذين تنتهي مدة تجنيدهم في الجيش يعودون إلى أعمالهم المدنية على أن يظلوا تحت الطلب عدة سنوات تحددها قوانين كل دولة بحيث يستدعون للخدمة فترات قصيرة للتدريب وقت السلم ، أو للقتال وقت الحرب ويطلق عليهم « القوات الاحتياطية » وهي الرصيد الحقيقي لقوة الدولة العسكرية ، هذا فضلاً عن أنه وقت الحرب يُطلب الشباب للتجنيد ثم المساهمة في القتال بعد تدريبهم .

حديقة الأمّة

من نور كتاب الله

﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الأنفال : ٢٤ ـ ٢٥)

من وصايا لقمان الحكيم ...

- قال لقمان لابنه : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن :

لا يعرف الحليم إلا عند الغضب .

ولا الشجاع إلا في الحرب .

ولا تعرف أخاك إلا عند الحاجة إليه . . .

- وقال له أيضاً : يا بني ، إيَّاك والكسل والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤدِّ حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق . . .

[البيان والتبيين]

العقل والهوى ...

الهوىٰ عن الخير صادّ (مانع وصارف) وللعقل مضادّ ، لأنه يُنْتِج من الأخلاق قبائحها ، ويظهر من الأفعال فضائحها ، ويجعل سِتْرَ المروءة مهتوكاً ، ومدخَلَ الشر مسلوكاً .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : الهوىٰ إلٰه يعبد من دون الله ، وتلا : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ .

وقال عكرمة (مولى ابن عباس) في قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ يعني بالشهوات ، ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ يعني بالتوبة ، ﴿ وَارْتَبْتُمْ ﴾ يعني في أمر الله ، ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ﴾ يعني بالتسويف ﴿ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ يعني الموت ، ﴿ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ يعني الشيطان .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « طاعة الشهوة داء وعصيانها دواء » .

[أدب الدنيا والدين]

الكل في مقاصدهم على حقّ ...

. . . ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية ، وهي مقتضى العصبية ، كان طريقهم فيها : الحق والاجتهاد ؛ ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي ، أو لإيثار باطل ، أو لاستشعار حقد ، كما قد يتوهمه متوهم وينزع إليه ملحد ، وإنما اختلف اجتهادهم في الحق ، وسفه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه ، وإن كان المصيب علياً فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل ، وإنما مقصده الحق وأخطأ ، والكل كانوا في مقاصدهم على حق . . .

(ابن خلدون ـ المقدمة)

الملك ثلاثة

الملك ثلاثة : ملك دين ، وملك حزم ، وملك هوى . . .

فأما ملكُ الدين ، فإنه إذا أقام لأهله دينهم ، فكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ، ويلحق بهم ما عليهم أرضاهم ذلك ، وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم .

وأما ملكُ الحزم ، فإنه به تقوم الأمور ، ولا يسلم من الطعن والتسخط ، ولن يضرّه طعنُ الضعيف مع حزم القوي .

وأما ملكُ الهوىٰ ، فلعب ساعة ودمار دهر . . .

[عيون الأخبار لابن قتيبة]

من آداب المتعلم

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما لابنه : يا بني ، إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ؛ وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت ؛ ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك .

وقال الشعبي رحمه الله : جالسوا العلماء ، فإنكم إن أحسنتم حمدوكم ، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم ، وإن أخطأتم لم يعنفوكم ، وإن جهلتم علموكم ، وإن شهدوا لكم نفعوكم .

[جامع بيان العلم وفضله]

القصـــــد والاعتـــــدال ...

قال أعرابي للحسن : علمني ديناً وسوطاً ، لا ذاهباً شطوطاً ، ولا هابطاً هبوطاً . . .

فقال الحسن : لئن قلت ذاك ، إن خير الأمور أوساطها .

وجاء في الحديث الشريف : خالطوا الناس وزايلوهم .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كن في الناس وسطاً وامش جانباً .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : . . . وخير الأمور أوساطها ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ؛ نفسٌ تنجيها خير من إمارة لا تحصيها . . .

وكانوا يقولون : اكره الغلوَّ كما تكره التقصير . [البيان والتبيين]

حســــرة ونـدامــــة

روى أبو نعيم في « الحلية » أن العباس عم النبي ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال له : أمِّرني . فقال له النبي ﷺ : « يا عباس ، يا عم النبي ، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها ، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة » .

وروى البخاري في « صحيحه » أن النبي ﷺ قال : « إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة » وقال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : أي لمن لم يعمل فيها بما ينبغي .

وروى الطبراني من حديث زيد بن ثابت يرفعه : « نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها ، وبئس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها ، تكون حسرة يوم القيامة » .

وروى مسلم في « صحيحه » عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، ألا تستعملني ؟ قال : « إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلاَّ من أخذها بحقها وأدى الذي عليه منها » .

سياسة الدنيا وسياسة الدين

قال أبو العباس محمد بن يزيد :

قسَّم كسرىٰ أيامه فقال :

يصلح يوم الريح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس لقضاء الحوائج .

قال الحسين بن خالويه : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون ، ولكن نبينا ﷺ قد جزَّأ نهاره ثلاثة أجزاء : جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ؛ ثم جزَّأ جزأه بينه وبين الناس ، فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي ، فإنه من أبلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر .

[زهـر الآداب]

ليس مع الجـزع فائـدة ...

كان أبو بكر رضي الله عنه إذا عزىٰ رجلاً قال :

ليس مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة ، الموت أشد ما قبله وأهون ما بعده . . . اذكروا فَقْد رسول الله ﷺ تهن عندكم مصيبتكم ، صلى الله على محمد وعظم الله أجركم . . .

[البيان والتبيين]

كيــف عقلـــه ؟

روىٰ أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : أُثْنِيَ على رجل عند رسول الله ﷺ بخير ، فقال : كيف عقله ؟

قالوا : يا رسول الله ، إن من عبادته . . . إن من خُلُقه . . . إن من فضله . . . إن من أدبه . . . فقال : كيف عقله ؟

قالوا : يا رسول الله ، نثني عليه بالعبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله ؟

فقال رسول الله ﷺ : إن الأحمق العابد يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر ، وإنما يَقْرُبُ الناسُ من ربهم بالزُّلَف (ج زلفة ، وهي القربة) على قدر عقولهم .

[أدب الدنيا والدين]

بقلم : الدكتور رفيق المصري

■■ سمعت مرة عميلاً لأحد المصارف يردُّ متذمراً على أحد الموظفين ، ويبدو أنه رفض قبول الرشوة أو الهدية : لقد حيرتمونا والله ، إن دفعنا لا نُخلّص ، وإن لم ندفع لا نخلّص . يعني بهذا التخليص تخليص المعاملة من العوائق ، وبالأول تخليص نفسه من الورطة إذا وقعت ■■

ظاهرة الرشوة في المجتمعات الإسلامية

قد يكون هذا الموظف أميناً ، وهذا العميل جاهلاً بطرق الرشوة ومسالكها . لكن الرشوة على أية حال قد تفشت وانتشرت ، حتى ضيَّق كثير من الورعين أعمالهم ، كي لا يقعوا في إثمها ، وأما غيرهم فقد راحوا يزايدون فيها ، لكي يرسو المزاد على أعلاهم سعراً .

وإن كثيراً من الناس ليتضايقون كلما كانت لهم معاملة مع الجهات الرسمية أو غيرها ، لأنهم يعرفون أنهم سيذهبون وسيجيئون ، ويضيعون الوقت ، وينفد (بالدال المهملة) صبرهم . وحتى لو دفعوا المال فإنهم غير مطمئنين إلى مصير المعاملة ، لأن المرتشين كذَّابون ، ولأن هناك من يدفع إليهم اكثر ، فيلقى منهم أولوية في العناية .

وربما تورط في الرشوة بعض المتدينين ، أو بعض الطيبين ، ظناً منهم أن الضرورة أو الحاجة أو المصلحة لا بد داعية إلى ذلك ، وأن الحقوق نفسها لم تعد تُنال إلا بالرشاوى ، فدفعها يؤدي إما إلى القبول ، وإما إلى الإسراع في البت ، وكسب الوقت والجهد . أما المال المدفوع فيعوَّض ، ذلك أن التجار الفجار إنما يضحون بالقليل ليدر عليهم الكثير .

ولكثرة ما انتشرت هذه الآفة وتفشت ، فإننا لم نعد نستطيع معاقبة مرتكبيها بما يجب أن يعاقبوا به في الأصل . فقد وقع لي أن أحد الطلاب عرض عليَّ مبلغاً كبيراً من المال ، يريد مني مساعدته في الامتحان ، بتعيين بعض الأسئلة الهامة ، فرفضت ، واكتفيت بتنبيهه ، كي لا يعود إلى مثلها ابداً ، وكي يجد ويجتهد ، فلا ينفعه عندي إلا هذا ، فتعجب من أمري ، كأني أعيش في مجتمع ، وهو في مجتمع آخر ، وقال لي : انظر إلى فلان وفلان من أساتذة ومديرين ، فإنهم لم يُثروا ولم تكن لهم سيارات وعمارات وأعمال رائجة إلا بهذا !!

وذات مرة أصر أحدهم على إهدائي بعض منتوجاته ، فرفضت ، فتابع الإلحاح يريد إقناعي بأن مثل هذه الهدايا إنما يقدمها لكل الناس الذين يتعرف عليهم للدعاية لمنتجاته ، ولست أنت إلا واحداً منهم ، فإن لم تذهب إليك ذهبت إلى غيرك ، وأنت أولى بها كي تقف على شهرة سلعنا ومدى جودتها ورواجها في الأسواق ، ومثل هذه المعلومات داخلة في صلب عملك . فقلت له : تهدي هذه الهدية إذن إلى كل زملائي في الجهة التي أعمل فيها ، ففعل ... غير أني ندمت على ذلك بعدها ، لأن الهدية لها مفعول فردي ومفعول جماعي لدى كل الموظفين ، فينال هذا الزبون من العناية ما لا يناله غيره ، كما أن كل الناس لا يقدمون على ما أقدم عليه ، ولو فتح الباب لصارت مزايدة .

لا اقول هذا تزكية لنفسي ، بل سرداً لمشاهدة عيان . وهي على كل حال أمور مضت ، وإني أسأل الله تعالى أن يثبتنا جميعاً على الإيمان فيما يأتي من الأيام ، لأن الأعمال بخواتيمها ، والقلوب بين يدي الرحمن يقلبها كيف يشاء .

وهذا الذي وقع لي لا بد وأنه يقع في كل يوم لموظفي المالية ، والمصارف ، والجمارك ، والقضاء ، والتعليم ...

حتى صرنا نسمع أن فلاناً وفلاناً من رجال الأموال والأعمال يدفعون سراً رواتب شهرية منتظمة لبعض الموظفين في كل الجهات التي يحتاجون إليها لـ « تزييت » المعاملات ، وتسريب المعلومات ، وإفشاء الأسرار ، وشراء الضمائر . بل إنهم قادرون على توظيف بعض الأشخاص في الوظائف التي يريدون ، وعلى تسريح الشرفاء ، أو تنحيتهم عن الوظائف الفاعلة ، أو الضغط عليهم لتهجيرهم وتنفيرهم .

ومن الرشوة ...

- **ما يدفعه المتخاصم إلى القُضاة أو الحكام ، ليكون الحكم له وهو على باطل ، ومن لم يحكم بالحق الذي أتت به الشرائع فهو ظالم ، فاسق ، كافر ، كما ورد في سورة المائدة .**
- **وما يدفعه التاجر إلى أحد الموظفين في**

■ إن شيوع الرشوة والفساد من أخطر العوامل المساعدة على تثبيت حالة التخلف والضياع التي تعاني منها مجتمعاتنا . ■

■ « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً ، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » ■ [حديث شريف]

مصرف ، للحصول على تسهيلات أو قروض ليست من حقه ، أو للحصول على ما يزيد على حقه .

● وما يدفع إلى موظفي الجمرك ، للإعفاء من الرسوم ، أو لتخفيضها .

● ومن الرشوة المتبادلة (التراشي) أن يستغل بعض العلماء أو الكتّاب أو المتنفذين مراكزهم الاجتماعية أو وظائفهم ، لتمرير بعض المقالات أو الأبحاث في الصحف وغيرها ، على سبيل تبادل المنافع الشخصية بينهم . ومنها أن يقول عنه « عَلَّامة » ليقول الآخر عنه « عَلَّامة » كذباً وتضليلاً .

● وما يدفعه مخالفو أنظمة السير إلى شرطة المرور ، لتفادي مبلغ المخالفة أو تخفيفها .

● وإلى موظفي المالية ، للإعفاء من الزكاة أو التكاليف ، أو لتخفيضها .

● وما يدفعه الطالب إلى أستاذه ، لكي ينجح في امتحان أو مسابقة أو بعثة أو منحة ، بغير حق ، أو ليحصل على رتبة أو أولوية في النجاح ليست له . وقد تكون الرشوة في صورة دروس خصوصية بأجور باهظة .

● وما يدفعه التاجر إلى لجان المناقصات وغيرها ، ليفوز بالمناقصة ، برغم أن سلعته فاسدة أو أقل جودة .

● وقد تقع الرشوة على مستوى دولي ، فتعقد صفقات للاستيراد أو التصدير على عقود توريد المعامل والآلات والطائرات والسيارات والأسلحة .

● وقد تبذل الرشاوى لشراء أصوات الناخبين ، فيفوز مرشح لا أهلية له من دين أو علم أو خبرة .

● وما يدفعه الباعة والتجار إلى أعضاء لجان المبايعات ، لإغرائهم بشراء سلعة رديئة أو غالية نسبياً .

● وما يدفعه أحد الأشخاص للحصول على عمل داخل بلده أو خارجه ، أو للحصول على تاشيرة دخول أو خروج ، خارج نطاق الرسوم المقررة .

● وما يبذله أحد الموظفين لرئيسه أو مديره ، تقرباً إليه ، بغرض الحصول على امتيازات لا ينالها زملاؤه ، أو على ترقيات معنوية أو مادية ، أو إجازات ، أو للتغاضي عنه عند التقصير أو التعدي أو الهرب من العمل أثناء الدوام الرسمي ، للقيام بأعمال أخرى لزيادة دخله ، وما شابه ذلك .

● وما يدفعه أحدهم إلى المحامي ، من اتعاب واجور ، لكي يكون وكيلاً له في قضية يعلم أنه مبطل فيها ، فعليه أن يستفتي قلبه ، وأن لا يتعلق بفتاوى المفتين وقضاء القضاة إذا علم أنه مُبطل . فقد روي عن مجاهد وعكرمة وقتادة أنهم قالوا : « لا تُخاصِم وانت تعلم أنك ظالم » (مختصر تفسير ابن كثير ١/١٦٨) . « فالحرام لا يصير حلالاً بقضاء القاضي ، لأنه إنما يقضي بالظاهر » (القرطبي ٢/٣٣٨) . قال رسول الله ﷺ : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فاقضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار » رواه الجماعة (نيل الأوطار ٨/٣١٤) .

قال في المنار ٢/٢٠٠ : « في آية البقرة ١٨٨ والحديث المذكور عبرة لوكلاء الدعاوى (بالياء أو الألف المقصورة وجهان) الذين يُدعون بالمحامين ، فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقبل الوكالة في دعوى يعتقد أن صاحبها مبطل ، ولا أن يستمر في محاولة إثباتها إذا ظهر له بطلانها في أثناء التقاضي . وإننا نراهم يعتمدون على خِلابتهم (خداعهم) في القول ، ولحنهم (تنميقهم) في الخطاب ،

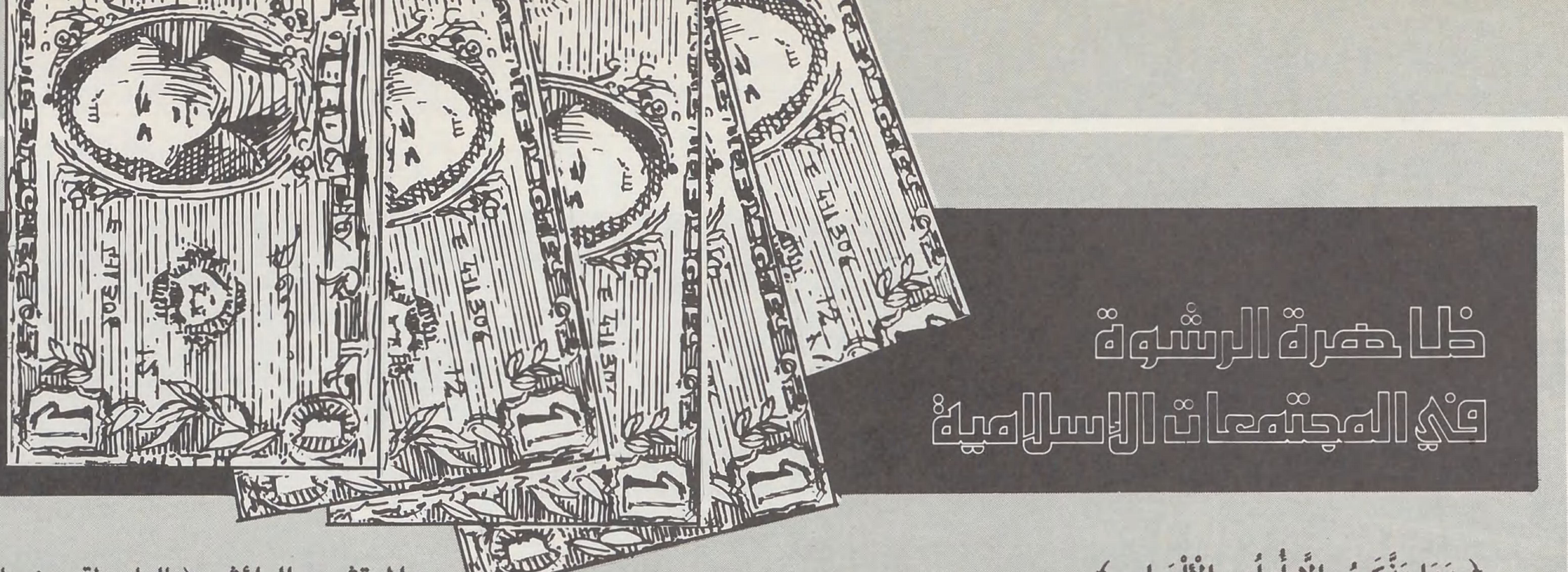

ظاهرة الرشوة في المجتمعات الإسلامية

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُو ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ . وانظر تفسير ابن كثير ، أو مختصره ١/١٦٨ ـ ١٦٩ .

- **ومن الرشوة ما يدفعه أحدهم إلى مُفْتٍ رسمي أو شعبي ، للحصول على فتوىً يستغلها وينتفع بها في ترويج تجارته أو باطله .**
- **وما يقبضه للإعطاء من أموال الوقف أو الزكاة أو الصدقة وسائر انواع المال العام إلى غير المستحقين .**
- **وما يقبضه أعوان الحكام والمتنفذين من ضباط أو غيرهم ، وافراد حاشيتهم ، من أموال ، أو ما يعود عليهم من خدمات أو هدايا أو منافع ، بدعوىٰ إيصال مظالمهم وتبليغ شكاياتهم ، والقيام بدور الشفاعة .**

وكثير منهم كذَّابون أفاكون ، يستغلون مراكزهم تحت سمع وبصر أوليائهم ، وربما بأكثر مما يريد لهم هؤلاء ، ومما يُسكتهم عنهم انهم أرذلُ منهم ، وسادرون في غيهم وضلالاتهم .

وربما كان هؤلاء المتنفذون وأعوانهم شركاء لكبار التجار في البلد ، في تجارات مربحة محظورة ، كالتهريب والبغاء والقمار واللهو . وحصتهم في الشركة لا مال ولا عمل ، بل مجرد استغلال النفوذ ، لتسهيل معاملات شركائهم ، وتأمين التراخيص اللازمة لهم . ومما ساعد على انتشار الرشوة في هذا المجال هو شدة احتجاب أولي الأمر عن أهل الحاجات ، واتخاذهم الحُجَّابَ الفساق والخونة والمعربدين (انظر نيل الأوطار ٨/٣٠٣ و ٣٠٥) ، حتى صارت أبوابهم لا يفتحها بقدمه إلا من هم أعلى منهم ، أما من هم أدنى فلا يرونها ، ولا يَرُدُّ عليهم في شكوى أو هاتف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله المنتقم الجبار .

تعريف الرشـوة ..

لا أظن أحداً يجهل الرشوة ، فكل الناس يعرفونها ، ويخفونها (ولعل في آية البقرة ١٨٨ ما يوحي بهذا المعنى أيضاً) ، لأنها إثم ، لا يريدون أن يطلع عليه الناس .

والرشـوة ما يُستكره الناس على دفعه من نقود أو عروض أو خدمات أو منافع ، في صورة هدايا أو غيرها ، على سبيل الملاطفة والمصانعة والاستمالة بقصد المحاباة : إحقاق باطل ، أو إبطال حق . وربما تؤخذ على واجب يلزمه أداؤه ، أو باطل يلزمه تركُه . وقد تؤخذ الرشوة بالإكراه ، كما تقدم ، أو بالتواطؤ والتراضي بين الراشي والمرتشي لتحقيق مصالحهما الشخصية المنافية لمصلحة الجماعة .

قال ابن العربي : **« الرشوة كل مالٍ دُفع ليبتاع به من ذي جاه ، عوناً على ما لا يحلُّ »** ، (فتح الباري ٥/٢٢١) .

وعرفها **الغزالي في الإحياء ٥/٩١٧ ـ ٩٢١ بانها بذل المال لغرض عملٍ محرم ، أو واجبٍ متعين** (نقلته من كتاب تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية لعبد الغني النابلسي ، نشر وزارة الأوقاف الكويتية ، ص ١٩١ ، وقد عدتُ إلى الإحياء فوجدت التعريف منقولاً بمعناه لا بحروفه) .

هذا وقد تأخذ الرشوة عند الناس أسماء أخرى ، كما هو شأن المحرمات دائماً ، كالبِرْطيل ، وأصله الحجر المستطيل يُلقمه الراشي للمرتشي كي يُخرسه عن الحق ، وكالهدية ، والإكرامية ، والأتعاب ، والعمولة ، والأجرة ، والجعالة ، والضيافة ...

حكم الرشـوة ...

- **الرشوة حرام في حق الراشي والمرتشي والرائش (الواسطة بينهما)** ، إذا كانت للإعانة على الظلم ، وهضم حقوق الآخرين ، فهي في هذه الحالة ما يدفع طلباً لباطل . قال القرطبي في التفسير ٦/١٨٢ : **« ولا خلاف بين السلف أن أخذ الرشوة على إبطال حق ، أو ما لا يجوز ، سحتٌ حرام »** ، وانظر كتاب تحقيق القضية السابق ذكره ، ص ١٩٩ .
- **وقد تكون حراماً في حق المرتشي ، مباحةً للراشي أو مكروهة ، إذا خاف على نفسه أو عياله أو ماله** ، وقصد بها رفع الظلم عن نفسه (طلب حق أو دفع باطل) ، انظر القرطبي ٦/١٨٣ وتحقيق القضية ١٧٧ ، وإن كان الأفضل التنزه عنها كلما أمكن ، حتى لا يُعَان المرتشي على الرشوة ، وحتى لا تنتشر آفتها في المجتمع . وقد أنكر الشوكاني في نيل الأوطار ٨/٣٠٣ هذا التمييز ، واعتبر الرشوة حراماً عليهما في الحالين .
- **ولا شك أن إثم أخذ الرشوة لباطلٍ أكبرُ من إثم من امتنع عن الحق إلا بها .** انظر تحقيق القضية ١٩٩ .

وعلى هذا فإن الرشوة لا يجوز دفعها ولا قبضها ، وإذا قُبضت فلا يجوز الانتفاع بها ، بل يجب ردها إلى بيت المال وصرفُها في مصالح المسلمين ، عقوبة لهما . وربما جاز ردُّها إلى أصحابها ، إذا دفعوها للحق مكرهين ، وأمكنت معرفتهم ، فإذا لم تمكن تُصرف إلى الفقراء .

وسيفتضح أمر المرتشين على رؤوس الأشهاد في يوم القيامة ، معاملةً لهم بنقيض قصدهم في الدنيا ، لأن الجزاء من جنس العمل . فقد كانوا يريدون الثراء والجاه ، وكانوا يخفون مبالغ الرشوة وهداياها .

الدليل النقلي على تحريم الرشوة

١ ـ قال تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا

■ مما ساعد على انتشار الرشوة شدة احتجاب أولي الأمر عن أهل الحاجات حتى صارت أبوابهم لا يفتحها بقدمه إلَّا من هو أعلى منهم .. أما من هم أدنى منهم فلا يرونها .. ■

مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (**البقرة:١٨٨**) .

وفي **القرطبي ٢/٣٣٩ ـ ٣٤٠** :

« قيل : **المعنى لا تصانعوا بأموالكم الحكام وترشوهم ، ليقضوا لكم على أكثر منها** .

قال ابن عطية :

وهذا القول يترجح ، لأن الحكام مظنَّة الرشاء إلا من عصم ، وهو الأقل ، وأيضاً فإن اللفظين متناسبان : تُدلوا : من إرسال الدلو ، والرشوة من الرشاء ، كأنه يمد بها ليقضي الحاجة » .

٢ ـ وقال تعالى في ذم اليهود :

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (**المائدة:٤٢**) . (السحت) : الرشوة ، أو كلُّ كسبٍ لا يحل (زاد المسير ٢/٣٦٠) .

وعن **ابن مسعود** أنه قال :

السحت أن يقضي الرجل لأخيه حاجة ، فيهدي إليه هدية فيقبلها .

وقال **ابن خُوَيْزمَنْدَاد** :

من السحت أن يأكل الرجل بجاهه (قارن بمقدمة ابن خلدون ص ٣٨٩ : في أن الجاه مفيد للمال) ، وذلك أن يكون له جاه عند السلطان ، فيسأله إنسان حاجة ، فلا يقضيها إلا برشوة يأخذها (القرطبي ٦/١٨٣) .

أما أهل الجاه اليوم فتكاد لا تجد عندهم فسحة لقضاء حاجتك ، لتكاثر حاجاتهم ورغبتهم في تمريرها واحدة بعد أخرى كلما سنحت لهم فرصة مع السلطان .

٣ ـ وقال تعالى :

﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ ﴾ (**الأعراف:١٦٩**) . قال في شرح السنة ١٠/٨٧ : « **أي يرتشون في الأحكام** » . وقال في زاد المسير ٣/١٧٠ : « وفي وصفه بالأدنى قولان ، أحدهما أنه من الدنو ، والثاني أنه من **الدناءة** » . وقال **الرازي** في تفسيره ١٥/٤٤ : « وفي قوله (هذا الأدنى) تخسيس وتحقير ، والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب ، وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها . والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام على تحريف الكلام . ثم حكى تعالى عنهم أنهم يستحقرون ذلك الذنب ، ويقولون : **سيغفر لنا** » .

٤ ـ استعمل **النبي ﷺ** رجلاً من الأزْد ، يقال له **ابن اللتبية** ، على الصدقة ، فلما قدم قال : **هذا لكم ، وهذا أهدي إلي . فقام رسول الله ﷺ** ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولَّاني الله ، فيأتي فيقول : **هذا لكم ، وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه** ، حتى تأتيه هديته ، إن كان صادقاً ؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفنَّ أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رُغاء ، أو بقرة لها خُوار ، أو شاة تَيْعَر ، ثم رفع يديه حتى رُئي بياضُ إبطيه ، يقول : اللَّهم هل بلغت ؟ رواه البخاري ومسلم وأبو داود (جامع الأصول ٤/٦٤٦) .

وهذا الحديث من أبلغ الضوابط التي يحفظها المسلمون في التعبير عن حقيقة الرشوة .

٥ ـ قال **رسول الله ﷺ** :

« **من استعملناه على عمل ، فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غُلولاً ، يأتي به يوم القيامة** » ، رواه مسلم وأبو داود (جامع الأصول ٤/٦٤٧ و٢/٧١٦) .

الغلول : أصلُه الخيانة في الغنيمة ، ثم أطلق على كل خيانة .

وقال أيضاً : « **من استعملناه على عمل ، فرزقناه رزقاً ، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول** » ، رواه أبو داود بإسناد صحيح ، باب في أرزاق العمال ، وانظر شرح السنة للبغوي ١٠/٨٧ .

وعن **معاذ بن جبل** : قال : **بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقال : لا تصيبنَّ شيئاً بغير إذني ، فإنه غلول** (فتح الباري ١٣/١٦٧) .

وفي حديث **عبادة بن الصامت** :

« **إياكم والغلول ، فإنه عارٌ على أهله يوم القيامة** » ، رواه أصحاب السنن ، أي يفتضح يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، وهو معنى قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (**آل عمران:١٦١**) .

٦ ـ قال **رسول الله ﷺ** : « **لعن الله الراشي ، والمرتشي ، والرائش الذي يمشي بينهما** » ، حديث صحيح رواه أحمد في مسنده (انظر الجامع الصغير للسيوطي ٢/٤٠٦) .

وقال : « **لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم** » ، حديث صحيح رواه **أحمد** في مسنده ، **والترمذي** ، **والحاكم** في مستدركه (الجامع الصغير ٢/٤٠٥) .

الدليـل العقلي . . .

من المعلوم عقلاً ، والمشاهد حساً وتجربة ، أن للرشوة آثاراً نفسية واجتماعية وخلقية واقتصادية وسياسية وخيمة ، لا بد وأن تجعل العقلاء والمصلحين حرباً عليها ، مثلما نزلت الشرائع السماوية بتحريمها ولعن آكليها وطردهم من رحمة الله وإنزال العقوبات بهم .

● فإذا كان الراشي يدفع الرشوة ، وهو كاره ، للحصول على حقه في استجلاب منفعة ، أو استدفاع مضرَّة ، فإنه بلا شك يتأذى بدفعها ، ويشعر بالإهانة والذل ، مما يولد في نفسه الحقد والضغينة على المرتشي الدنيء النفس الساقط الهمة المريد الثروة من أقرب طريق وأخسِّه ، وعلى المجتمع الذي يسمح بوجود مثل هذه الطغمة الفاسدة .

● وإذا كان يدفع الرشوة بالتراضي مع المرتشي ، لظلم الناس أو أكل حقوقهم وإلحاق الأذى بهم ، فإن هؤلاء الناس لا بد أنهم سيثأرون ، وربما أدى ذلك ، والقضاءُ فاسد

ظاهرة الرشوة في المجتمعات الإسلامية

والمؤسسات مَؤُوفة ، إلى أن يأخذ كل منهم حقه بنفسه ، ولو أدى إلى القتل والإيذاء انتقاماً .

● وهذا ما يؤدي إلى انعدام المودة والألفة والتعاون ، والإخلال بتماسك الجماعة ، وتدهور الأخلاق في المجتمع ، وانغماس الجميع في الجري وراء الدنيا ومتاعها الفاني ، وعدم الاكتفاء بالحلال والدخول المشروعة ، والاستزادة من المكاسب ، ولو عن طريق الجرائم وانتهاك النظام العام والآداب الاجتماعية . وهذا ما يفضي بدوره إلى اضطراب الأمن في المجتمع ، وفقدان الاستقرار ، والثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم ، وحدوث اضطرابات وثورات يصعب بعد ذلك التحكم بها وإيقافها .

● فإذا شاع كل هذا الفساد ، فلا أدري بعد ذلك ما فائدة التربية والتعليم ، ولماذا ننفق على التعليم في المدارس والجامعات ، وعلى إرسال البعثات ..

إن على العلماء الشرفاء أن يراقبوا الجهال والعلماء المزيفين ، الراشين والمرتشين ، وأن يصمدوا ، وأن يجاهدوا . فالعلم أمانة ومسؤولية يُبتغى بها وجه الله لا حطام الدنيا ومتاعها .

● بما أن الرشاوىٰ تدخل سهلة تُنال بلا عمل وبلا مال ، باستغلال السلطة والنفوذ والجاه ، فإنها تنهال بسرعة وتؤدي إلى تفاحش **التفاوت بين الدخول والثروات** في المجتمع .

● الرشوة بما لها من تأثيرات اقتصادية ، إذا دفعها التجار أضافوها إلى الأسعار . وبما أنها دفع مال يقصد منه أحياناً التخلص من أعباء التكاليف المالية كلياً أو جزئياً ، فإنها تقلل حصيلة الموارد المالية للدولة ؛ وبما أن الرشوة دفع مال لا في مقابلة إنتاج فإنها تؤدي بلا شك إلى إضعاف الحوافز وإحداث التضخم أو الإسهام في زيادة حدَّته ، هذا في الوقت الذي ترفع فيه مجتمعاتنا شعار ربط الأجر بالإنتاج .

إن للأخلاق الحسنة تأثيراً على الاقتصاد ، ومن الواجب كلما أمكن أن تصاغ هذه الأخلاق قوانين ، لأن سوء الخلق يُفقد فاعلية كل قانون ونظام .

● إن شيوع الرشوة والفساد من أخطر العوامل المساعدة على تثبيت حالة التخلف والضياع التي تعاني منها مجتمعاتنا .

إننا نحتاج إلى الرقابة والصرامة ، ولم نعد بحاجة إلى المجاملة والتراخي . ومصيبتنا أننا خلَّفنا فضائلنا العربية والإسلامية ، وعمينا عن فضائل المجتمعات المتقدمة ، وتهالكنا على رذائلهم . إنهم يتقهقرون ، ولكنا أسرع منهم تقهقراً . وبذلك يبقون متقدمين ، ونبقى نحن متخلفين . والسعيد من تمسك بطاعة رب العالمين ، وأعتقد اعتقاداً راسخاً أن الرزق والفلاح من الرزاق ذي القوة المتين . والشقي المحروم من سلك سبل الشياطين .

(الرشوة والتأليف)

قال لي : إن الرشوة جائزة ، ألا ترى كيف اباح الإسلام تأليف قلوب الناس بالمال ؟ اليس ما أفعله أنا نوعاً من تأليف القلوب ، اتألف قلوب الناس واستميلها كي أصل إلى تيسير أعمالي ، وإصابة هدفي ، وتوفير وقتي وجهدي ومالي ، أمام هذه الإجراءات الشكلية المطولة التي لا يكاد يصبر عليها إلا مضطر .

قلت له : الفرق بينهما من وجوه :

١ ـ التأليف : سواء كان للكفار أو للمسلمين ، يُرجى به إسلام المؤلَّف ، وربما إسلام من وراءه من قوم وعشيرة ، أو يرجى به ثباتهم على الإسلام ، أو يرجى به كفُّ شر أحدهم وشر من معه ، أو يرجى به تشجيع المقاتلين للدفاع عمن وراءهم من المسلمين (انظر القرضاوي في فقه الزكاة ٢/ ٥٩٤ فما بعدها) .

وعلى هذا فإن التأليف إنما يكون موقف بذل واستعلاء لنصرة الإسلام والمسلمين ، بخلاف الرشوة فإنها تعبِّر عن موقف بذل واستخذاء يكون من شأنه إضعاف الإسلام والمسلمين .

٢ ـ التأليف وسيلة إلى إحقاق حق ، وإبطال باطل . بينما الرشوة ذريعة إلى إحقاق باطل ، وإبطال حق . الأول يراد منه نشر رسالة الحق والعدل والخير ، بتقوية المسلمين ، وإضعاف غيرهم . والثانية يراد منها أكل أموال الناس بالباطل ، والوصول إلى حق ليس له . ولذلك رخَّص العلماء بالرشوة عندما تكون سبيلاً إلى الحصول على حقه ، ولم يستطع ذلك بغيرها . ومن هذه الناحية إذا اعتبرت الرشوة تأليفاً ، فالخَطْبُ يسير ، لأن الحكم فيهما عند ذلك يكون واحداً ، وهو الرخصة والجواز .

٣ ـ تأليف القلوب أجازته الشريعة ، وجعلته أحد مصارف الزكاة ؛ والرشوة أبطلتها الشريعة ، وجعلتها من السحت ، ولعنت آخذها ، والمتوسط بينهما (الراشي ، والمرتشي ، والرائش بينهما) .

٤ ـ الرشوة تخرب النفوس والضمائر ، وتضعف الإنتاج ، لأنها تدفع الناس للاكتساب بغير عملٍ مشروع . والتأليف يحيي النفوس ، ويوقظ الضمائر ، ويقوي العمران ، ويرفع راية الإسلام ؛ وهو محبة الخير لأخيك كما أحببته لنفسك .

٥ ـ في التأليف يقصد بالدفع (دفع المال) إعزاز الإسلام ، فإذا تحقق الإعزاز بالمنع ، وجب المنع . وفي الرشوة لا يجوز ، لمن قدر على عدم دفعها ، وكان مرهوب الجانب ، أن يدفعها .

مــاذا أقــول .. فــي مــولــد الــرســول ؟

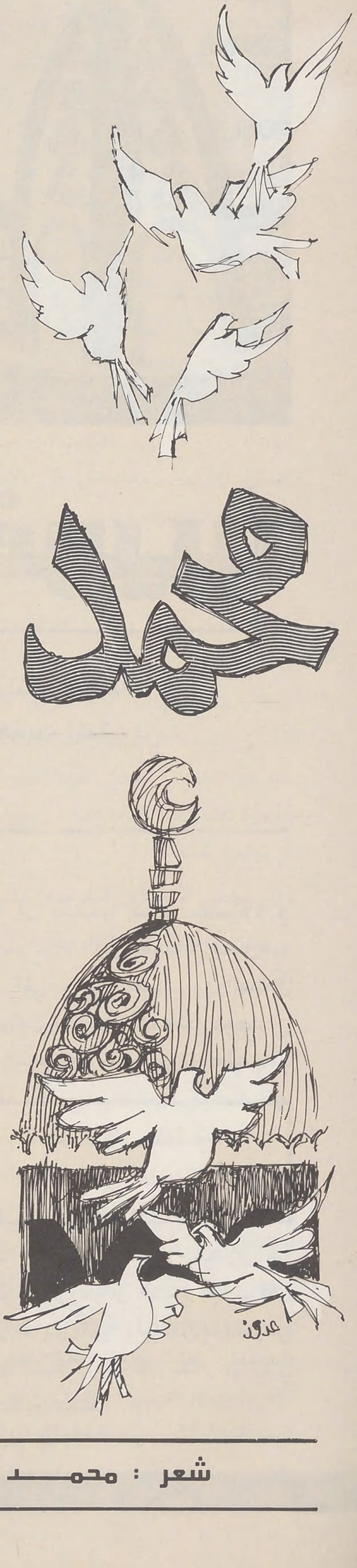

مــاذا أَقُولُ وفي نَفْسي مِنَ الأَلَمِ   ما قَدْ يُفَجِّرُ بُرْكاناً مِنَ الحُمَمِ ؟
أَشكو إلى اللّهِ أَشْجاني ، وما برحَتْ   تُـؤرِّقُ الجَفْنَ في ليلي فَلَمْ أَنَمِ
وهَـلْ يَنـامُ قَـريـرَ العَيْنِ مُكْتَئِبُ   وكيف يَهْنَـأُ في دُنْياهُ ذو سَقَمِ ؟
بـاللّهِ يـا صاحبي عَطْفاً وَمَرْحَمَـةً   وَلاَ تَصُـدَّنَّ عَـنْ قَـولي ولا تَلُـمِ
انظرْ بعَيْنَيْكَ علَّ الدَّمْعَ يَشْفَعُ لي   ولا تَمُـدَّنَّ لـي حَبْـلاً مِنَ التُّـهَمِ
في كُلِّ شِبْرٍ بِأَرْضِ المُسْلِمينَ دَمُ   وَكَمْ نَـدِمْنا ولا جَـدْوىٰ مِنَ النَّدَمِ
هٰذي العُيونُ عيونُ القَوْمِ قَدْ عَمِيَتْ   هٰذي المَسَامِعُ لا تُصْغي مِنَ الصَّمَمِ
هٰذي العُقولُ عُقولُ القَوْمِ قَدْ فَرَغَتْ   وليسَ إلاَّ خَـرابُ القَلْـبِ والـذِّمَمِ
سَلوا الشَّبابَ شَبابَ العَصْرِ كَمْ حَفِظوا   مِنْ سورَةَ العَصْرِ أو مِنْ سورَةَ القَلَمِ
وكَمْ حَديثاً لِخَيْرِ الخَلْقِ قَدْ فَهِمـوا   وَهْوَ المصَدَّقُ - بَعْدَ الوَحْيِ - في الكَلِمِ
وَالرَّاشدونَ نَسُـوا أسماءَهُمْ وهمـو   كالشَّمْسِ في الغَيْمِ أو كالبَدْرِ في الظُّلَمِ
وفي المقاهي جُموعُ لا تُصَـدِّقُهـا   وفي المَساجِدِ لا تَلْقىٰ سِوىٰ الهَرِمِ
إبْليسُ زَخْرَفَ دُنْيا اللَّهْـوِ مَصْيَدَةً   كالشَّوْكِ في الوَرْدِ أو كالسُّمِّ في الدَّسَمِ
يـا أُمَّـةً نَـزَلَ القُـرْآنُ يَـرْفَعُهـا   عِـزّاً وَمَجْداً وَتَفْضيـلاً علىٰ الأُمَمِ
سَلُـوا الجُيُوشَ وَكَمْ نَصْـراً لِأمَّتِنَـا   والقُدْسُ يَشْهَدُ ما لِلْعُرْبِ مِنْ هِمَمِ
يـا أُمَّـةَ الحَقِّ والأسْيافُ تَنْصُـرُهُ   ماذا دهاكِ ؟ أَجيبي ، وارْحَمي أَلَمي
هل نام قومي كأهْلِ الكَهْفِ ، ما بُعِثُوا   مِنْ فَجْوَةِ الكَهْفِ أو مِنْ رَقْدَةِ العَدَمِ ؟
هـل اسْتَرَاحَتْ لِعَارِ الجُبْنِ أُمَّتُنـا   أَوْ قَدْ أُصيبَتْ بِصَدْعٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ ؟
هَلِ انْحَرَفْنَا عَنِ الإسْلامِ فَانْحَرَفَتْ   سَفينَةُ النَّصْرِ أو غاصَتْ وَلَمْ تَعُمِ ؟
هَلِ الضَّياعُ ضياعُ النَّفْسِ في فِتَنٍ   أو الضَّيَاعُ ضَيَاعُ الحُكْمِ والنُّظُمِ ؟
هَلِ الصِّراعُ على الكُرْسِيِّ فَرَّقَنـا   وأيُّ عَرْشٍ وَلَوْ في السُّحْبِ لَمْ يَدُمِ !
هَـلِ النَّعيمُ احتوى قومي فَنَعَّمَهُمْ   وكَمْ يكون الشّقا في كثرة النِّعَمِ ؟
هَلْ مَرَّ (قارونُ) في قومي بِزِينَتِهِ   فَأَصْبَحَ المَالُ رَبَّ النَّاسِ كَالصَّنَمِ ؟
هَلِ اسْتَخَفَّ بنا (فرعونُ) فاسْتَمَعَتْ   لَهُ العُقُولُ ، فساقَ الشَّعْبَ كالغَنَمِ ؟
هل جَيْشُنا اثنانِ : سَيْفُ قُدَّ من خَشَبٍ   أو خطبَةٌ أُلْقِيَتْ في (هيئة الأمَمِ) ؟
وهَـلْ سَتُصْبِحُ إسْرائيلُ مَمْلَكَـةً   مِنَ الفُراتِ لِوادي النِّيلِ لِلْحَرَمِ ؟
وَهَـلْ تُـلامُ ذِئـابٌ وَهْيَ جـائِعَـةٌ   إذا تَغَذَّتْ بـأَشْتـاتٍ مِنَ الغَنَمِ ؟
يـا قُـوَّةَ اللّـهِ شُـدِّي أزْرَ أُمَّتِنَـا   وَسَدِّدي سَهْمَها في الحَرْبِ والسِّلْمِ
يا قُوَّةَ اللّهِ صُوغي النَّصْرَ مَلْحَمَةً   نُـذِيقُ أَعْـدَاءَنا فيها لَظَى النِّقَمِ

شعر : محمد حوطر

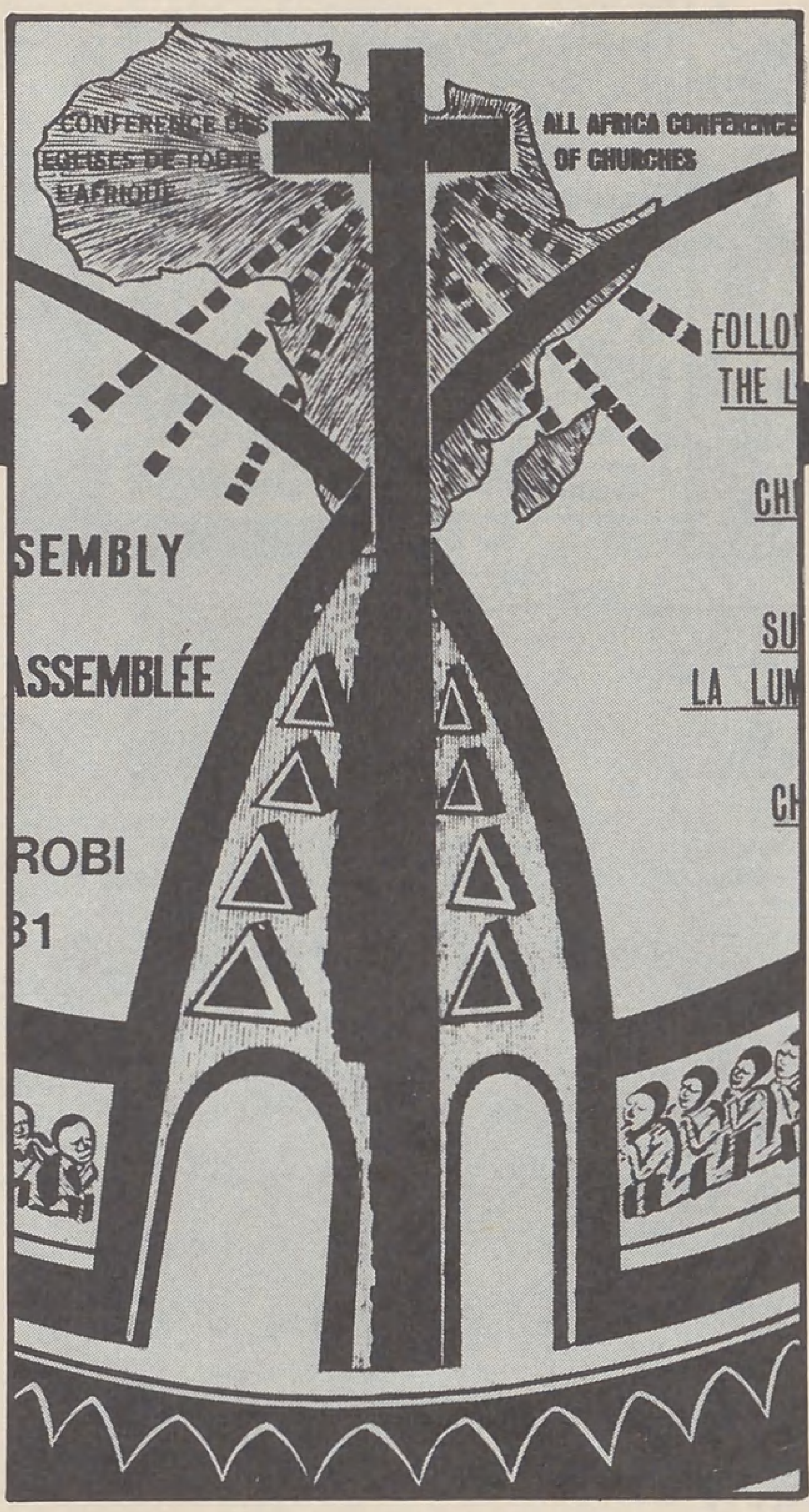

دور الإسلام والنصرانية في أفريقية

في نظر الكتاب الغربيين

■ انتشر الإسلام في أفريقية ولايزال ينتشر . ولقد أدهشت سرعة انتشار الإسلام في أفريقية موظفي الدول التي كانت تستعمر أجزاء من هذه القارة ، كما أدهشت المبشرين ، والكتاب والباحثين ■

نجاح الإسلام في أفريقيا

من الممكن قياس نجاح الاسلام الحديث في افريقية السوداء من بعض الوقائع التي تلتقي جميعها عند نقطة واحدة . فطبقاً لترمنجهام (Trimingham) كان هوسا نيجيريا الشمالية في سنة ١٩٠٠م قد اعتنقوا الاسلام بنسبة ٥٠٪ وأصبحت هذه النسبة ٨٠٪ في عام ١٩٥٢م .

وفي السنغال يتجه السرير (Sereres) ، الذين ظلوا فترة طويلة ملتصقين بالوثنية ، أو اعتنق القليل منهم النصرانية ، في الوقت الحاضر إلى اعتناق الاسلام بصورة جماعية . وقد أظهر بحث أجري **في سنة ١٩٥٩م** من أجل خطة التنمية ، على اثنتين وعشرين قرية من قرى السرير اختيرت اختياراً عشوائياً ، أن **٦٧,٥٪ من سكانها مسلمون ، في مقابل ٢٧,٥٪ من الوثنيين ، و٥٪ من الكاثوليك** .

في شمال داهومي قدم **في سنة ١٩٤٩م** إلى إحدى قرى الباريبا الوثنيين رجل دين غيور . **وفي سنة ١٩٥٢م** خلفه أحد المرابطين . وبعد عشر سنين لم يكن هناك أكثر من عشرة أشخاص جرى تعميدهم (اعتنقوا النصرانية) بينما اعتنق نصف سكان القرية الاسلام .

وفي أبريل سنة ١٩٦١م في مؤتمر عقد في مدينة أبيدجان صاح الشيخ تسوري « منذ عشر سنين فقط ، ما كان من الممكن للموسي (Mossi) أن يسمحوا لمسلم بالصلاة في واجادوجو ، والا الزموه عندئذ أن يحمل معه الأرض التي سيسجد عليها . وفي السنغال الوثنيون من عشرين سنة مضت ، يرفضون أعطاء المسلم كوب ماء يروي به عطشه » .

الإسلام ينتشر برجال بسطاء

وزاد من دهشة هؤلاء المبشرين أن الاسلام ينتشر رغم أن الدعوة اليه لم تكن تقف وراءها دول قوية ، لها نفوذها السياسي ومكانتها المادية ، وإنما كان ينتشر على أيدي رجال عاديين بسطاء .

وقارنوا في هذا الخصوصب بين الدعوة

بقلم : د. محمود سلام زناتي

الاسلامية وما تحققه من نجاح مذهل والدعوة النصرانية وماتلقاه من فشل ذريع . وقد راعهم بطء انتشار النصرانية رغم ما كان يلقاه دعاتها من دعم مادي وتأييد سياسي .

وتناول بعض الباحثين الغربيين هذه الظاهرة بالدراسة وعرضوا ما توصلوا إليه من نتائج في كتب ومقالات . وفي وسع من تتاح له فرصة الاطلاع على هذه المؤلفات أن يتبين تفاوتا في تقييم هؤلاء الكتاب للدعوة الاسلامية في أفريقية . فمن هؤلاء من تتسم كتاباته بروح التعصب للنصرانية ، والتحيز للثقافة الغربية ، والتحامل على الاسلام ، والكراهية لاتباعه . ومنهم من تتسم كتابته على العكس بشيء من الحيدة وقدر من الانصاف .

وقد رأيت أن أعرض على القراء مقتطفات من كتابات هؤلاء الباحثين على اختلاف مشاربهم . والهدف أن يتعرف القارىء العربي المسلم على وجهة نظر قوم يختلفون عنه في الحضارة والدين فيما تنطوي عليه الدعوة الاسلامية في أفريقية من جوانب قوة أو نواحي ضعف .

رأي بعض الباحثين الغربيين المنصفين

يقول سميث (Smith) في كتابه « المقعد الذهبي »[1] .

« ينبغي الاعتراف بأن الاسلام ينطوي على قوة جذب . وكون أن نسبة بهذا الحجم من الأفريقيين قد اعتنقت هذه الديانة لدليل على ذلك . فليس من المقنع تفسير اعتناقه على أساس أن الافريقيين قد أرغموا على اعتناق الاسلام لأن ذلك ليس صحيحا بالنسبة للغالبية . وليس من المقنع القول بأن الاسلام يكتسب أنصاراً بتملق شهواتهم الحسية . كما ليس من الممكن القول بأن الافريقيين قد اختاروا الاسلام لأنه لم يكن لديهم بديل آخر عن ديانتهم الوثنية التي

■ كثير من الرجال الذين يعدون أنفسهم نصارىٰ طيبين لن يخطر ببالهم الإقرار بالزمالة مع النصارىٰ من سود البشرة . ■

■ لم أدخل مرة مسجداً دون أن يعتريني شعور دافق ، بل لعلّي أقول : دون أن يعتريني شعور ما بالأسف لأنني لست مسلماً .. ■ [رينان]

لم تعد ترضيهم ، ففي زنزيبار أتيحت للأهلين فرصة المقارنة بين النصرانية والاسلام على مدى ستين عاما ومع ذلك ظلوا في معظمهم مسلمين .

وتكمن قوة الإسلام في قوة العقيدة التي يمنحها . فالمسلم يعتقد في اله واحد . ويوما بعد يوم يتردد صدى الاعلان المؤثر عن الايمان ، في الدعوة إلى الصلاة : « الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله » . قد يشير رجال الدين النصراني إلى بعض جوانب سلبية في العقيدة الإسلامية ، لكن الافريقيين ليسوا رجال لاهوت . فتفكيرهم يتجه إلى التوحيد ، وتأكيد المسلمين الواثق بأنهم يعبدون الهاً واحداً يجد قبولا كبيرا لديهم .

وفضلا عن ذلك فان الدعوة إلى الاسلام في أفريقية لايتولى أمرها رجال بيض غرباء يمارسون تقاليد اجتماعية مغايرة ، وانما رجال من اللون الافريقي نفسه (أو من لون قريب منه) كما ان الداعية المسلم وان كان ذا مستوى حضاري اسمي بشكل ظاهر ، فهو ليس على مسافة بعيدة إلى درجة مستحيلة كما هو الحال بالنسبة للأوروبي . فليس ثمة هوة بين الداعية المسلم ، سواء كان تاجراً أو واعظاً ، وبين الأفريقي كتلك الهوة التي بين الداعية النصراني والأفريقي .

وكثير من الرجال الذين يعدون أنفسهم نصارىٰ طيبين ، لن يخطر ببالهم الاقرار بالزمالة مع النصارىٰ من سود البشرة . أما المسلمون فلا يفرقون . فالعرب والزنوج والبربر والهنود اخوة في الدين . ولايختلط بعضهم ببعضهم الآخر في العبادة فحسب . وانما يعاون بعضهم بعضاً عن طيب خاطر في شؤون الحياة اليومية .

والحياة القبلية تتفسخ تحت تأثير الحضارة الأوربية . لكن عندما يعتنق القبليون الاسلام يجدون طريقهم إلى نظام عظيم للدين والأخلاق ، ويجدون جزاءات خلقية عِوَضاً عن تلك التي عفى عليها الزمن . وفي غرب افريقية وحَّد المسلمون القبائل المتناثرة في ممالك قوية شغل فيها الزنوج مناصب رفيعة » .

ويقول ميك (Meek) في كتابه « القبائل الشمالية في نيجيريا »[2] .

« وهكذا ففيما يتصل بالجانب الروحي ليس الاسلام في نيجيريا سوى محاكاة متواضعة للديانة السامية التي جاء بها النبي ﷺ . وإذا نظرنا إلى الاسلام كعامل سياسي واجتماعي واقتصادي فإن الامر يختلف كثيراً . فقد أتى الاسلام بالمدنية إلى قبائل بربرية ، وأحال جماعات وثنية منعزلة إلى أمم . وجعل التجارة مع العالم

دور الإسلام والنصرانية في أفريقية

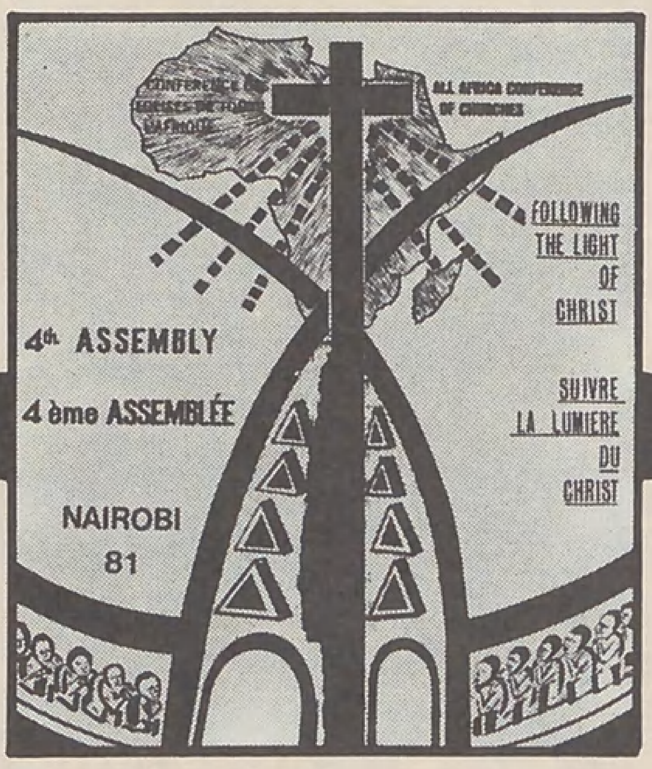

في نظر الكتاب الغربيين

الخارجي أمراً ممكناً . وكان من ثم أداة رئيسة في تنمية الغريزة التجارية التي جعلت من الهوسا والنومى واليوربا والبري - بري تجاراً مشهورين ، ووسَّع من الأفق ، وأضفى على أتباعه الكرامة واحترام النفس واحترام الآخرين . وسُموّ الجماعات الاسلامية ثقافيا وسياسياً يرجع أساساً إلى الدين . فقد أدخل الإسلام إليها القراءة والكتابة ، وبتحريمه الخمر وأكل لحوم البشر والثأر والعادات البربرية الأخرى مكَّن الزنجي من أن يصبح مواطناً عالمياً .

ويشرح **ميك** وسائل انتشار الإسلام في **نيجيريا** فيقول :

« وترتب على وجود وسائل المواصلات أن شرع الوثنيون والمسلمون يتصلون ببعضهم بعضاً اتصالاً مستمرا . فالوثني الذي يترك موطنه يجد أن من المناسب اعتناق مفهوم المسلمين وأسلوبهم في الحياة . ويتبين سريعاً ضيق ديانته بالمقارنة بعالمية الاسلام . فضلا عن أن الانتقال من الوثنية إلى الإسلام ينطوي على صعوبة . فباتساع أفقه يدرك الافريقي وجود إله أعظم واحد . وأعتقاده في الأرواح الشريرة لا يتأثر بما يحدث من تغيير خارجي في العقيدة . كما يتبين أن المسلمين متسامحون وأن مساكنهم أفضل من مسكنه ، وثيابهم أفضل من ثيابه ، وأن نظرتهم إلى العالم أفضل من نظرته . وكثيراً ما يقيم المسلمون مع الوثنيين . وهؤلاء المستوطنون ليسوا شذاذ آفاق بصفة خاصة ، يستهدفون الحياة السهلة عن طريق استغلال الوثنيين الجهلة السذج . وانما أهدافهم في الغالب شريفة . وهم يصبحون أصدقاء للوثنيين وسرعان ما يكتسبون نفوذا عليهم لايسيئون استغلاله . وأكبر عقبة في سبيل انتشار الاسلام هو تحريم الخمر . فالخمر بالنسبة للوثني ليست مجرد كأس يبهج (ويسكر) وانما هي أيضاً طعام يغذي .

ويعرض مورل وجهة نظره بالنسبة لاثر اعتناق الاسلام الافريقي فيقول :

« يأخذ الإسلام بيد الافريقي ويمنحه المساواة مع كل الرجال الآخرين . فمنذ اليوم الذي يعتنق فيه الوثني الاسلام ، لا يستطيع مسلم من الساميين أن يزعم لنفسه سمواً اجتماعياً عليه . فالاسلام بالنسبة للزنجي هو الاتجاه نحو مفهوم أسمىٰ للوجود ، حيث يوحى له بالثقة في مصيره ، ويشرب روحه بإيمان قوي في نفسه وجنسه » .

ويقول بلايدن في كتابه « الاسلام في السودان الغربي »[٣] :

« ويتحتم عليَّ الاعتراف بأنني حيثما شاهدت هؤلاء الرجال (الدعاة المسلمين) وهم يعملون ، وكثيراً ما شاهدتهم ، وقارنت بين جهودهم الحماسية ، وإنكارهم للذات ، وعدم مبالاتهم باعتراف الناس بجهودهم أو بالثناء عليهم ، وبين الدعاة المسيحيين وماكانوا عليه من تهيب وتردد واعتماد كلي على العون والتأييد الخارجي ، كان يعتريني شعور مماثل لذلك الشعور الذي قال رينان (Renan) إنه كان يعتلج في صدره في كل مرة يشاهد فيها الصلاة اليومية للمسلمين « لم أدخل مرة مسجداً دون أن يعتريني شعور دافق ، بل لعلي أقول ، دون أن يعتريني شعور ما بالأسف لانني لست مسلماً » .

ويقول وسترمان في كتابه « الأفريقي اليوم وغداً »[٤] :

« وحقيقة إن الاسلام يمثل في أفريقية أنموذجاً للحضارة يجعل من السهل أن نفهم لِمَ يتمتع بالاحترام والتعاطف من جانب كثير من الاوروبيين ، وفي بعض الاحيان يوصى به بوصفه الدين الأكثر ملاءمة للافريقي . ومع ذلك فإن أولئك الذين يعتنقون هذا الرأي ينبغي لهم الايتجاهلوا حقيقة أن الاسلام له بعض الجوانب السلبية . ومن المشكوك فيه أنه بحضارته الاسمى قد أدخل أخلاقاً أسمى » .

آراء بعض المتعصبين للنصرانية

ويعرض كاربنتر تقييمه لما ينطوي عليه دور الاسلام في أفريقية من ايجابيات وسلبيات في بحث له بعنوان « دور المسيحية والاسلام في أفريقية المعاصرة » . والمنشور في كتاب « أفريقية اليوم »[٥] .

يقول **كاربنتر** في بحثه المشار إليه :

« ماذا يعني اعتناق شعب أفريقي الاسلام بالنسبة لقدرته على الافادة من إمكانيات الحضارة الغربية والاستمرار في طريق التطور الذي فتح أمامه الباب للاتصال بالعالم الخارجي ؟ يبدو أن أثر الاسلام في هذا الخصوص سلبي تماماً . فالاسلام يضع في طريق التقدم عقبة كؤودا . ولعل هذه هي أخطر نتيجة ترتبت على انتشار الاسلام في القرن الماضي . ولذلك أسباب متعددة :

١ ـ فالاسلام يتسم بجمود بالغ : ذلك أن العبقرية الخلاقة التي كانت له في القرون الأولى ، تركت مكانها منذ أمد طويل لقَدَرية تسلم بأن كل شيء انما هو جزء من إرادة الله . وهو يجعل من هذا التسليم فضيلة ، كما ينظر إلى الرغبة في

التغيير بمثابة عصيان لله . وهو بتمثله ما تنطوي عليه الحضارة الافريقية من شعائر ومعتقدات وتقاليد يسبغ عليه طابعه الرسمي ، ومن ثم يكفل لها الدوام ، ولهذا فان الجماعة التي اعتنقت الاسلام تكون أكثر تعصبًا على التغيير من الجماعة التي لم تعتنقه .

٢ ـ التعليم الاسلامي محدود في غايته ومحتواه : فالمدارس المزعومة في الجهات الاسلامية من أفريقية من النادر أن تفعل شيئاً أكثر من تعليم التلاميذ تلاوة القرآن عن ظهر قلب باللغة العربية . وفي الغالب لا قيمة لها إطلاقاً بوصفها أداة لتأهيلهم لمواجهة الحياة الحديثة بصورة أكثر فعالية .

٣ ـ الاسلام علم رجال ، مكانة المرأة فيه شديدة الانحطاط : ويعني ذلك أن البيت والحياة الأسرية مجردة من كل تأثير تحرري ، وتتجه فحسب نحو استمرار ركود الماضي وأوضاعه الخرافية .

٤ ـ يتجه العالم الاسلامي إلى النظر للغرب بعين الكراهية والارتياب ، دون أن يخلو ذلك من الحسد . ولهذا فان الاسلام في أفريقية يقدم نقطة التقاء لأولئك الذين يعارضون ، أيا كانت الاسباب ، نفوذ الغرب أو نشاطه أو سلطته .

٥ ـ الاسلام يقوي خطوط التفرقة ويديمها ، لا سيما بين الجماعات الدينية ، بدلا من أن يعمل على تحقيق اندماج أعم وأشمل . فهو يسلم بوجود الأقليات ، بوصفها جماعات لها أحكامها الدينية وقوانينها الجنائية ، وخاضعة من الناحية السياسية للدولة الاسلامية . ولايعترف بأية حرية للفرد في الاختيار بين هذه الجماعات ، أو الانفصال عن الجماعة التي ولد بها ، فيما عدا الحق في أن يعتنق الاسلام . فالحرية الشخصية الدينية أو السياسية لا وجود لها في النظام الاسلامي .

واعتناق شعب افريقي للإسلام يشكل في الوقت الحاضر على الاقل اختيارا لا رجعة فيه لصالح الاساليب القديمة وضد الأساليب الحديثة .

غير أن الوضع هنا ليس قاتماً تماماً ، فالاسلام ككل مواجه بالتقدم التكنولوجي والاجتماعي الغربي ، وهو مضطر إلى أن يحقق استجابة ديناميكية اذا أراد البقاء .

ولايمكن القول بأن عملية البعث هذه واضحة في الوقت الحاضر في الاسلام الافريقي ، اذا استثنينا ربما بضعة مفكرين تقدميين في بعض الجهات . غير أن وجودها ذاته أمر مشجع ، لان الضرورات التي تعكسها لن تغيب طويلا عن ادراك أولئك الافريقيين الذين يزداد اتصالهم يوما بعد يوم بالثقافة الغربية والتقنية الغربية والذين سوف يتساءلون بالضرورة عما اذا كانت العقيدة الاسلامية سوف تحول دونهم والمزايا التي يتمتع بها جيرانهم .

وثمة مجال آخر يشكِّل تجديد الاسلام فيه من الداخل أمراً أساسياً وهو قدرته على تنمية شعور الانتماء إلى وطن بالمعنى الحديث ، وقدرته على تنشئة رجال دولة قادرين على قيادة مثل هذه الاوطان . فالطابع المميز للدولة الاسلامية كان الاستبداد الفردي الذي يستند الى ولاء جماهيري يعتمد على الدين أو الرهبة أو القوة العسكرية . ومثل هذه الدول قلما تبلغ حجماً كبيراً أو تعمر طويلاً أو تحقق استقراراً داخلياً دائماً . كما أنها ليست فعالة في تحقيق رفاهية الشعب . وهذا الطابع لا يتناسب على الاطلاق مع البنية الادارية المعقدة والتخصص التقني المتنوع الذي تقتضيه الوظائف المتعددة للدول الحديثة . ولايستطيع خلق ولاء وطني يرتفع فوق الاختلافات الدينية والثقافية ، ولايستطيع أن يوفر مجالا لقادة . إنه يكفل الأمان للعاملين الأكفاء بالدولة . وإلى أن تتحقق للاسلام القدرة على تنمية فلسفة سياسية أكثر ملائمة ، فان الدول الاسلامية سوف تظل عاجزة عن بلوغ النضج والاستقرار .

اعتراف ببعض إيجابيات الإسلام

ومع ذلك فان للاسلام قيماً حضارية ايجابية ينبغي عدم اغفالها :

■ في الواقع الحالي ٨٥٪ من العمل التعليمي الذي يجري في أفريقيا بين أيدي قوى النصرانية .. ■

■ في السنغال يتجه (السرير) ـ الذين ظلّوا فترة طويلة ملتصقين بالوثنية أو اعتنق القليل منهم النصرانية ـ إلى اعتناق الإسلام بصورة جماعية في الوقت الحاضر . ■

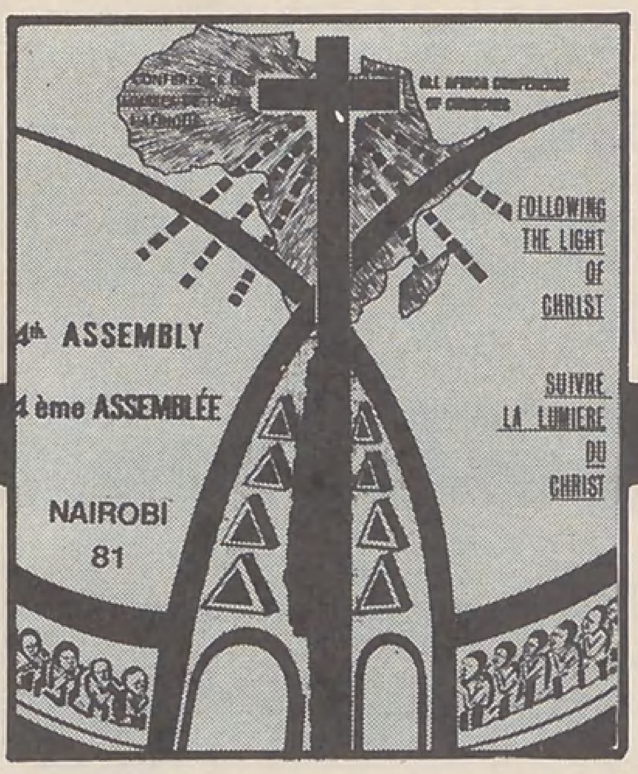

دور الإسلام والنصرانية في افريقية

في نظر الكتاب الغربيين

١ ـ الاسلام ينمي الولاء للجماعة بين أعضائها ولا يسمح بأية عوائق بسبب اللون أو الجنس بأن تنال من الأخوة العالمية بين المسلمين جميعاً. وفيما يتصل بالتميز داخل الجماعة فان ما يجري عليه المسلمون أفضل مما يجري عليه كثير من المسيحيين، أما فيما يتعلق بالحواجز بين الجماعات فالامر ليس حسناً إلى هذا الحد.

٢ ـ وعي الاسلام بالله وعي عميق. فاصراره على وحدة الله وعظمته وقدرته تخلق احساساً بتبعية المخلوق يدعمه الالتزام الشعائري بأداء صلوات عدة. وهذا الوضوح والتحديد يتعارض مع ما تنطوي عليه المسيحية من غموض. لكنه كما يمثل قوة يشكل ضعفاً. لأنه يُعَوِّد الانسان على قَدَرِيَّة، ويهدم المبادرة والمسؤولية الشخصية.

٣ ـ اصراره على الاعتدال والحلم وكرامة الانسان عنصر قوة. فحياة المسلمين التي تتسم بالاعتدال تناقض حياة الطوائف الاجتماعية الاخرى، بما فيها المسيحيون.

٤ ـ عالمية اللغة العربية كوسيلة تخاطب خلال العالم الاسلامي، تشكل نواة لترابط ثقافي أكثر أهمية، تدعمها جزاءات دينية قوية.

وفي تعليقها على البحث السابق تقول جلورا ويزنر[٦]:

« في تلخيص وتأكيد بعض النقاط التي أوردها كاربنتر، وربما اضافة بعض النقاط الأخرى، علينا أن نستظهر آثار الاسلام في افريقية ومقارنتها بآثار المسيحية فيها:

١ ـ بينما يعمل الاسلام على الحد من الاسراف في تعدد الزوجات فإنه يقرُّبه. وتعدد الزوجات هو أمر لا زالت الكنيسة المسيحية في أفريقية تكافح بالنسبة له. فهي تصر على وحدة الزوجة. لكن وحدة الزوجة تثير الكثير من المشاكل الخطيرة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الأفريقي.

٢ ـ حيثما يذهب الاسلام تنتشر المدارس القرآنية. وفي كثير من الجهات انجذب الأفريقيون إلى الاسلام بسبب رغبتهم الشديدة في تعلم القراءة والكتابة. فقد تأثر الأفريقيون بسموّ المسلم الذي يعرف القراءة والكتابة وعلى درجة من العلم. **وقد اهتمت المسيحية منذ أيامها الأولى في أفريقية ببرنامج تعليمي أكثر شمولاً من البرنامج الاسلامي**. وفي الواقع ان حوالي ٨٥٪ من العمل التعليمي الذي يجري في أفريقية بين أيدي قوى النصرانية.

وعلينا أن نسلم بأن كثيراً من هذه المدارس متواضع يقتصر على تعليم مبادىء القراءة والكتابة. لكن الغالبية العظمى من المدارس الاسلامية متواضعة للغاية، فهي تقدم بعض المعرفة عن اللغة العربية، وتعلم التلاميذ حفظ القرآن عن ظهر قلب. أما التعليم النصراني فعلى العكس أوجد بعض مدارس ممتازة. وتجاوز بمسافة بعيدة المدارس الاسلامية فيما يخص المساهمة في تطوير الشعوب الأفريقية.

ويرجع ما ينطوي عليه الإسلام من جاذبية بالنسبة للافريقي إلى أن تقديمه إلى الافريقيين، قد تم بواسطة افريقيين، وهو ينظر إليه بوصفه ديانة أفريقية، بينما ينظر إلى النصرانية بوصفها ديانة « أجنبية ». ومع ذلك فإن النصرانية في أحسن أحوالها قد أثارت رغبة البحث في الثقافة الأفريقية، وشجعت على انتاج الأدب بلهجات أفريقية، وسعت إلى تأكيد أفضل ما في الحياة الأفريقية. وبصيرورة النصرانية ديانة أهلية فعلاً سوف تقع على عاتقها مهمة أجل مما يقع على عاتق الإسلام.

والاسلام قد دخل حياة المجتمع الأفريقي دون أن يحدث خللا بهذه الحياة. ومن ثم فهو لم يحدث خللا بواحدة من أكبر مظاهر قوة الأفريقي الا وهي الجماعة. أما النصرانية فبسبب تركيزها على الطابع الفردي للديانة كثيراً ما كانت عاملاً في تفسخ حياة الجماعة.

والإسلام يجذب الأفريقي لأنه يخلو من أي تمييز عنصري. فأيا كان لون بشرة الرجل، وأيا كان مركزه الاجتماعي، وأيا كان وضعه الاقتصادي، يكون دائماً موضع ترحيب للصلاة في المسجد والاختلاط بإخوانه المسلمين. ولا يمكن للنصرانية أن تدَّعي شيئاً مماثلاً في ممارسة عقيدتها.

هوامش

(1) Smith (Edwin W.), The golden stool, London 1922, P. 226-230.

(2) Meek (C.K.): The Northern Tribes of Nigeria, Landan 1925, Vol. II, P. 10.

(3) Blyden, Islam in West Sudan, in Journal of the African Society No. V. 1902, P.

(4) Westermann (D.), The African to-day and to-morrow, London 1949, P. 278.

(5) Carpenter (G.W.), The rol of Christianity and Islam in contemprary Africa, in Africa to-day, 3rd ed. 1959.

(6) Wysner (G.M.), Commentary in Africa today, P. 113-117.

□□ لقد شرع الله القتال لإقامة السلام العالمي وحماية الحرية الإنسانية ، والمحافظة على المثل الأخلاقية العليا ، والقيم الرفيعة وإخماد سائر أنواع الفتن والكوارث . ولا غرو في ذلك فإن اصلاح البشرية يبتنى على الجهاد في بعض الأحيان ، فلا يكون نظام الحياة عادلاً إذا لم يكن فيه علاج للنفوس الانسانية المستعصية التي تصبح وبالاً للمجتمع الانساني وسبباً لإثارة الفتن ، فالشريعة التي تكون كاملة تامة والناموس الذي لا حكم فيه بالجهاد لأجل رفع راية الحق فهو ناموس غير كامل □□

الجهاد الإسلامي و السلام العالمي

يقول الإمام ولي الله الدهلوي :

« فالرحمة التامة الكاملة بالنسبة إلى البشر أن يهديهم الله إلى الاحسان ، وأن يكبح ظالمهم عن الظلم ، وأن يصلح ارتفاقاتهم وتدبير منزلهم وسياسة مدينتهم ، فالمدن الفاسدة التي تغلب عليها نفوس سبعية ويكون لهم تمنّع شديد إنما هو بمنزلة الأكلة في بدن الإنسان ، لا يصح الانسان إلاَّ بقطعها ، والذي يتوجه إلى إصلاح مزاجه وإقامة طبيعته لابد له من القطع ، والشر القليل إذا كان مفضياً إلى الخير الكثير واجب فعله » .

(حجة الله البالغة للإمام الدهلوي ج٢ ص١٧٠)

ويقـــول :

إن النبي ﷺ بعث بالخلافة العامة ، وغلبة دينه على سائر الأديان لا تتحقق إلاَّ بالجهاد وإعداد آلاته ، فإذا تركوا الجهاد واتبعوا أذناب البقر أحاط بهم الذل ، وغلب عليهم سائر الأديان .

(حجة الله البالغة للإمام الدهلوي ج٢ ص١٧٣)

بقلم : بدر الحسن القاسمي

الاســـلام دين السَّـلام ..

الاسلام دين السلام والأمن فلا يأمر بالقتال لبسط السيطرة والاستيلاء على الأراضي واستعمار البلاد والأمصار وإنما يأمر بالجهاد لحماية الحرية الانسانية الفطرية في اختيار العقيدة والرأي ، وحينما بعث محمد ﷺ دعا النَّاس إلى الهدى وإلى دين الحق ، وخاطب العقول بالحجج والبراهين ، فبدأ المشركون من قريش يعارضونه ويمنعونه من نشر العقيدة الاسلامية وبث الخير والفضيلة في المجتمع ، وإسقاء النَّاس دواء شافياً من الأمراض الخلقية والاجتماعية ، ومن خلع ربقة العبودية ، ومن إخراج النَّاس من عبودية العباد إلى عبادة الله ، ومن الظلمات إلى النور ، ولم يكتف الأمر بالمعارضة ، بل بدأت قريش تحاربه وتصب عليه وعلى الذين اعتنقوا الدين الاسلامي الحنيف أنواعاً من المصائب ، وتمارس ضدهم أساليب متنوعة وقاسية للتعذيب والتنكيل حتى ألجأتهم إلى الخروج من وطنهم والعيش حياة الجلاء والتشرد ، ونكتفي هنا بما رواه ابن هشام في سيرته عما لقي رسول الله ﷺ من قومه في بداية دعوته :

« ثم ان قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم ، فأغروا به سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به ، مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص :

■ « إقامة حد من حدود الله خير من مطر أربعين يوماً » .
[حديث شريف]

■ لم يفرض الجهاد لعينه ، إذ هو إفساد في نفسه ، وإنما فرض لإعزاز دين الله عز وجل ودفع الشر عن العباد .

الجهاد الاسلامي و السلام العالمي

حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : **ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا وسب آلهتنا . لقد صبرنا منه على أمر عظيم .**

فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ . فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : **« أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح » .**

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلَّا كأنما على رأسه طير واقع ، حتى ان أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى ان يقول : **يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولاً .**

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا ما بدأكم بما تكرهون تركتموه .

فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ـ لما يقول من عيب آلهتهم ودينهم ـ فيقول رسول الله ﷺ : نعم أنا الذي أقول ذلك .

قال : **فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه ، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه ـ وهو يبكي ـ ويقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .**

ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً نالوا منه قط .

(سيرة ابن هشام ص٦١ ـ ٦٢)

الإذن بالقتـــال بعد الهجـــرة ..

هاجر المسلمون مع النبي ﷺ إلى المدينة المنورة بعد ما ضاقوا ذرعاً من طول المعاناة مما عاملهم به المشركون طوال ثلاثة عشر عاماً ، انهم ظلموا واضطهدوا وذاقوا مرائر التعذيب والتنكيل ما يتندى له جبين الانسانية حياء ، وما نقموا منهم إلَّا أن آمنوا بالله العزيز الحميد ، هاجروا إلى المدينة غير أن المشركين وأعداء الدعوة الاسلامية ما زالوا يتربصون بهم الدوائر ، ويتآمرون للقضاء على العصابة المؤمنة ، فلما بلغ السيل الزبى ، وعيل صبرهم ، فخاطبتهم الرحمة الإلّهية قائلة :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ (الحج : ٣٩-٤٠) .

أذن الله بالقتال والدفاع عن النفس والقضاء على الفتنة العارمة لسائر المبادىء الإنسانية وأصول الكرامة والفضيلة .

يقول الله تعالى :
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾

ولما كان الاسلام لا يهدف من القتال بسط السلطة وابتلاع الأراضي ، كما هو شأن قواد الجيش والأباطرة والملوك ، بل كثير من الزعماء الدينيين وممثلي الديانات الأخرى . فقد جاء في كتاب الديانات الهندوكية المعروفة بـ« غيتا » :

« فإن أحرزت نجاحاً في هذه الحرب تتمتع بالسلطة على هذه البلاد وتملك الحكومة » (غيتا٢ : ٢٠) .

يقول سبحانـــه :
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٧٦) .

ويقـــول :
﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (البقرة : ١٩) .

يحرص الاسلام على القتال ويسمي القتال جهاداً في سبيل الله إذا كان لنشر الخير وإسعاد الانسانية ، غير أن إراقة الدم إنما تجوز حينما تدعو إليها الحاجة الانسانية ، فإذا خمدت الفتنة وتحقق الأمن في المجتمع تضع الحرب الاسلامية أوزارها ، فالجهاد الاسلامي ليس إلَّا لإطفاء نار الفتنة وحماية الحق والدفاع عن المبادىء العليا .

■ الجهاد ليس إلّا لإطفاء نار الفتنة وحماية الحق والدفاع عن المبادىء العليا ..

■ إخماد الكوارث والقضاء على الفتن والوقوف في وجه العدوان أمر لازم لبقاء النوع البشري .

يقول الله تعالى :

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلأَرْضِ فَسَاداً وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة : ٦٤) .

الجهـــــاد واجب إنساني لرد الظلم

وحينما تسيطر الدوافع الشيطانية على طائفة من النّاس فتقوم بإثارة الفتن وتكدر صفو الحياة الانسانية ، فتزداد المظالم وتكثر الاعتداءات ، حينذاك تصبح الحرب واجباً إنسانياً للمحافظة على المثل اللإنسانية إطفاءً للفتنة وإخماداً للكوارث ، فإن الوقوف في وجه العدوانِ واجب إنساني ، والقيام بهذا الواجب أمر لازم لبقاء النوع البشري . . هذه هي الحقيقة التي يشير إليها القرآن فيقول :

﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلأَرْضُ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة : ٢٥١) .

وهذا هو الفضل الرَّباني الذي يتجلى في الجهاد الاسلامي ، وقد منَّ الله سبحانه على الإنسان بإذن القتال مع الطغاة والمفسدين في البلاد الذين يهلكون الحرث والنسل فلو تركناهم وشأنهم لأصبح العالم خراباً ودماراً .

يقول الله سبحانــــه :

﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراً ﴾ (الحج : ٤٠) .

ومن ذلك ما جاء في الخبر : إقامة حد من حدود الله خير من مطر أربعين يوماً ، فإن قمع الأيدي الأثمة الجانية على نفسها وعلى الانسانية حياة للانسانية جمعاء .

يقول الله سبحانــــه :

﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ، وَٱجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَٱجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ﴾ (النساء : ٧٥) .

ويقـــول :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (الصف : ٤) .

ويقـول :

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ، ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ ٱللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾ (التوبة : ١٩ـ٢٠) .

الجهـــــاد أفضل العبادات . .

فالجهاد في الاسلام أفضل العبادات ، ومن أهم الوظائف ، وهو ذروة سنام الإسلام ، لأنه وسيلة للسلام العالمي ، وبه يمكن أن يتحقق الأمن الدولي ، من أجل ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة : ٢٤) .

والأمر واضح أن إلغاء الجهاد يكون سبباً لفساد العالم ، وعند ذلك يأتي أمر الله في صورة عذاب وبيل ، وتنزل الفتن نزول المطر وتصبح الانسانية على شفا حفرة من النار .

والجهاد يكون فرض عين حينما تقوم القوى الطاغية بضرب البلاد الاسلامية وإلاّ فهو فرض كفاية إلى أن يستقر الوضع في العالم ، ويسود الأمن في كافة البلاد والأمصار .

يقول الإمام العلاّمة الكاياني رحمه الله :

« أما إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد فهو فرض عين يفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه » .

فإذا عم النفير لا يتحقق القيام به إلاّ بالكل فبقي فرضاً على الكل عيناً بمنزلة الصوم والصلاة فيخرج العبد بغير إذن مولاه والمرأة بغير إذن زوجها » .

(بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع طبع كراتشي ج٧ ص٩٨)

ويقول الإمام المرغيناني تعليقاً على قول القدوري :

« أما الفرضية فلقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ ولقوله عليه السَّلام : (الجهاد ماض إلى يوم القيامة) ، وأراد به فرضاً باقياً ، وهو فرض على الكفاية لأنه ما فرض لعينه إذ هو إفساد في نفسه ، وإنما فرض لإعزاز دين الله ودفع الشر عن العباد ، فإذا حصل المقصود بالبعض سقط عن الباقين كصلاة الجنازة ورد السَّلام » .

(الهداية ج٢ ص٥٣٨ طبع الهند) وراجع المبسوط للسرخسي ج٦ ص١٠

جناية القصّة على المجتمع الإسلامي

بقلم : مأمون فريز جرار

■ أصبحت القصة عند بعض كتابها مدرسة لتعليم الانحراف ..

■ قد تكون نهاية القصة داعية إلى الخير والفضيلة والبناء ، لكن إغراقها بتفصيل حالات الانحراف والسقوط ، وتصويرها في صورة لذيذة ، يحمل بذور الشر ، التي قد تنمو وتطغى على المقصد النهائي منها ، خاصة عندما يتناولها « تجار الجسد » من مخرجي الأفلام ، ومنتجي المسلسلات ..

■■ القصة من الفنون التي لاقت رواجاً بين الناس ، وقبولاً من العام والخاص .

وإذا ذهبت إلى مكتبة ، لفت نظرك كثرة القصص من موضوع أو مترجم ، وليس ذلك فحسب ، بل إن لها في كل مجلة زاوية وفي كل صحيفة صفحة !

هذه القصة التي صارت أمراً واقعاً ، وفناً أدبياً مقبولاً ، لقيت أول ظهورها في الأدب الحديث عداءً شديداً ، ونفوراً من أهل الأدب والعلم ، وذلك في رأيي راجع إلى سببين :

الأول : أنها بدأت مترجمة عن اللغات الأخرى ، وكان المترجمون يعمدون - في الغالب - إلى القصص الهابط ، المثير جنسياً ، أو الذي يتحدث عن الجريمة ، أو الشذوذ الاجتماعي والخلقي !

الثاني : أن الذين تصدوا للتأليف بعد الترجمة - ومعها - لم يكونوا - في الغالب - من أهل الأسلوب الأدبي الرفيع ، مما زهد أهل الثقافة والأدب في بضاعتهم .

وقد يضاف إلى ذلك بعض الأسباب ، منها أن موضوع القصة المفضل هو « الحب » ، والمجتمع يرفض ترويجه بين الناشئة ، وجعله حديث المجالس !

ولكن القصة أخذت تجد القبول التدريجي ، فاقبلت على نشرها المجلات التي أعرضت عنها من قبل ، بل خصصت لها مجلات أشرف عليها نفر من أهل الأدب ، ومنهم أحمد حسن الزيات في مجلة « الرسالة » ، وبرز في ميدان القصة عدد من الكتاب ، وأخذت القصة في مجال الأدب مكاناً مرموقاً ، وكتبت فيها الدراسات ، ودخلت ميدان التدريس الجامعي ! بعد الحرب العالمية الثانية .

وليس الذي يهمني في هذا المقال تتبع مسار القصة ، أو جانبها الفني ، فذلك له حديث آخر ، إنما الذي يهمنا الكشف عن أثر القصة في المجتمع العربي الإسلامي ، باعتبارها عاملاً فعالاً من عوامل التغيير والتأثير ، وقد زاد تأثيرها بعد ظهور وسائل الإعلام والتوصيل الحديثة ، التي حولت القصة من نص مطبوع إلى تمثيلية مذاعة أو مشاهدة ! صارت كالغذاء اليومي لعقول أكثر الناس وقلوبهم !

لقد ارتفع في سنة ١٩٣٠م صوت محمد عبد الله عنان في مقال له في « السياسة الأسبوعية » يقول ما معناه : إن ازدهار القصة في الأدب العربي منوط « بفساد المجتمع » !! وحتى لا نقوِّل الرجل ما لم يقل فإننا نثبت النص الموحي بذلك ، قال : « هذه الحياة الاجتماعية التي يتسرب أثر المرأة إلى كل نواحيها ، هي مبعث الإلهام لكتاب القصص الغربي ، وقبل أن تقوم مثل هذه الحياة الاجتماعية في الغرب ، كان القصص الغربي يقف كالأدب العربي عند أناشيد الحرب ، وأخبار الفروسية ، ونوادر الملوك

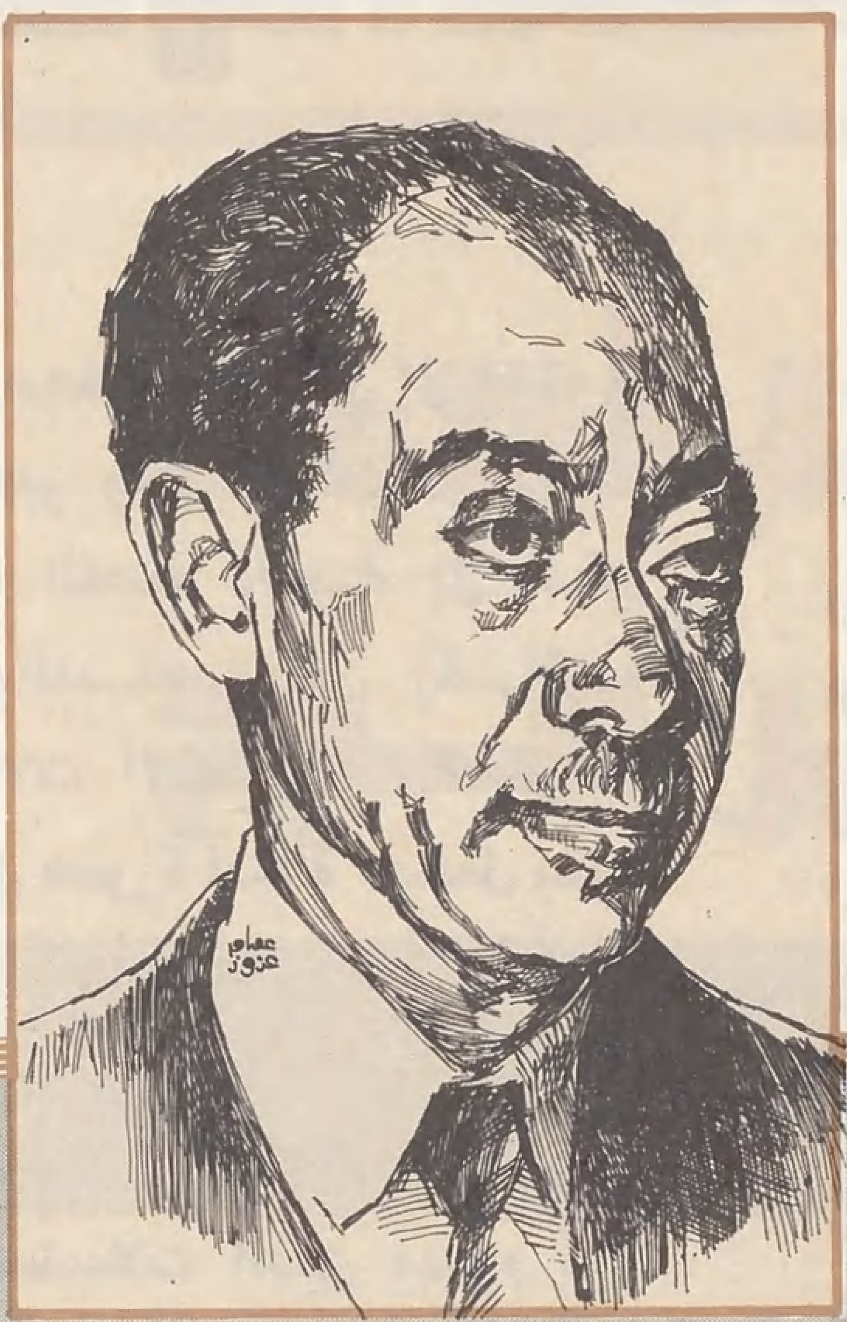

■ أحمد حسن الزيات :
وجدت القصة طريقها إلى مجلته «الرسالة» ■

■ إحسان عبد القدوس .
هل كانت قصة « لا أنام » مدرسة لتعليم الانحراف ■

■ سيد قطب :
إن جهوداً منظمة تبذل لإنشاء موازين وقيم للمجتمع غير تلك التي يريدها الله ■

■ تجريد النقد الأدبي من القيم الأخلاقية والدينية ، باسم الحرية ، هو في حقيقته اسم آخر للشهوة والنزوة البهيمية حسبما يريد المروجون لذلك .

والعظماء ، أما القصص والروايات التي تقوم على تصوير الحياة الاجتماعية الحقيقية في كل مظاهرها ، وكل العواطف البشرية التي تبعتها تطورات هذه الحياة ، فلم توجد إلَّا بعد أن قامت هذه الحياة ، حرة مزدهرة ، وبعد أن تبوأت المرأة مقامها في الوحي والتأثير ، لا في صغائر الأمور المتعلقة بالأسرة فقط ، ولكن في عظائم الأمور المتعلقة بالسياسة والحرب والسلام أيضاً وبالأخص في كل ما يتعلق بتكثيف العواطف ، وتهذيب الأنفس ، وصوغ الحياة والخلال » ، وينتهي بعد حديث طويل عن تعثر فن القصة في الأدب العربي قديماً وحديثاً إلى القول : « لهذا كله ، أعتقد أن المستقبل ليس لأدب القصة ، وأن هذا النوع من الكتابة سيبقى في مكانه بعيداً عن النهضة الفكرية والأدبية العامة ، ما بقيت الحياة الإسلامية قائمة على أصولها وتقاليدها الأثيلة ، وما بقي للأخلاق والخلال معيارها الإسلامي »[1] !!

في ضوء هذا القول نستطيع أن ننظر إلى ازدهار القصة في الأدب العربي الحديث !

صحيح أن بعض الكتاب قد ردّ على هذا الرأي ، ولكن الواقع قد صدَّقه ، وذلك لأن كتاب القصة العرب ـ في الغالب ـ ساروا على منهج القصة الغربية ، شكلاً ومضموناً ! والملاحظ أن القصة كانت تزدهر وتأخذ مكانتها في المجتمع مع ازدياد الأثر التغريبي في المجتمع ، بل إن القصة ـ وخصوصاً الممثلة في المسلسلات والأفلام ـ أخذت توجه تيارات ، وتوجد اتجاهات في المجتمع !

وإذا نظرنا في موضوعات القصة العربية ، فإنها في الغالب تدور حول « الحب » أو « الخيانة الزوجية » أو عرض بعض المشكلات الاجتماعية كالطلاق وتعدد الزوجات من منظور غير إسلامي ! أو الحديث عن حياة البغايا والراقصات اللائي يسمونهم « فنانات » !

بل أصبحت القصة عند بعض كتابها مدرسة لتعليم الانحراف ، وهذا أمر لفت نظر بعض « الواعين » من « العلمانيين » في النقد ، من ذلك ما قاله فؤاد دوّاره في نقده لقصة « لا أنام » لإحسان عبد القدوس :

« إنني من أشد المؤمنين بأنه ليس من حق الناقد أن يقيس الأعمال الأدبية على أسس أخلاقية ، فالقيم الفنية وإن اتفقت مع كثير من القيم الأخلاقية ، إلا أن لكل منها ميدانه الخاص الذي لا ينبغي أن نقحم عليه قيم الميدان الآخر [لاحظ النزعة العلمانية عند الناقد] ، ولكنني مع ذلك لا أعرف قيمة فنية واحدة يمكن أن تدفع الكاتب الروائي إلى أن يملأ روايته بكل هذه التفصيلات الدقيقة عن أفضل السبل لخداع الأهل وممارسة الرذيلة في أمن ودعة »[2] .

صحيح أن كتاب القصة ليسوا كلهم

جناية القصة على المجتمع الإسلامي

كذلك ، ولكن معظمهم لا يصل إلى غايته في القصة إلاّ عبر وحل الانحراف ! وقد تكون نهاية القصة داعية إلى الخير والفضيلة والبناء ، ولكن إغراقها بتفصيل حالات الانحراف والسقوط ، وتصويرها في صورة لذيذة ، يحمل بذور الشر التي تنمو وتطغى على المقصد النهائي منها ، وخاصة عندما يتناولها « تجار الجسد » من مخرجي الأفلام ، ومنتجي المسلسلات الذين يهمهم أولاً وقبل كل شيء ازدحام « شباك التذاكر » ! كما يقولون !!

وإذا وقفنا عند كلام الناقد فؤاد دوّارة ، فإننا نرى قضية بالغة الأهمية من قضايا النقد ! تلك هي قضية الأدب والأخلاق أو الفن والدين ! والذي نجده عند أغلب النقاد المعاصرين ، الميل إلى الرأي الذي صَرَّحَ به ، وهو فصل الدين والأخلاق عن الفن والأدب ! وهي نظرة علمانية مستقاة من نظرة الغرب إلى الدين والحياة والأدب ! وهي نظرة مرفوضة إسلامياً ، وإن تكن قد لقيت من يرسخها في حياتنا الأدبية ويبني عليها النظريات ! بل وجدنا الدكتور محمد النويهي يدعو إلى نظرية جديدة في الأخلاق ، توافق هذا المفهوم النقدي الغربي ، يقول : « نحتاج إذن إلى وضع مذهب أخلاقي يستطيع أن يغيِّر قيمه كلما تغيَّرت الظروف (!!) ، مذهب أخلاقي خالٍ من الغيبيات والمثاليات ، والأحكام المطلقة ، والتقريرات المرتجلة ، مذهب أخلاقي يشرح مكان الفنون وقيمها في الشؤون البشرية ـ وهكذا نُخلص النظرية الأخلاقية من نظريات الخير المطلق والذوات الخالدة (!!) كما نُخلصها من سيطرة العقائد السائدة في زمن معين ، فإن هذه النظريات والعقائد السائدة تُدخل عليها الجمود وتحجرها في قوالب بائدة »[٣] !!!

فإذا ما اقتنع كتاب القصة ـ وأكثرهم كذلك ـ بهذه النظرية فماذا عساهم يقدمون للقراء ؟ وماذا يكون تأثيرهم في المجتمع ؟!!

وبعد ؛ فإن ميدان القصة من الميادين الخطيرة التي سبق إليها دعاة التغريب ، وأصحاب الأفكار المنحرفة ، ولذلك كان لهم ولأفكارهم تأثير كبير في المجتمع ، وصدق سيد قطب رحمه الله عندما قال :

« إن أقلاماً رخيصة ، وأجهزة خبيثة لئيمة ، توحي لكل زوجة ينحرف قلبها قليلاً عن زوجها أن تسارع إلى خدين ، ويسمون ارتباطها بخدينها هذا رباطاً مقدساً ! بينما يسمون ارتباطها بذلك الزوج عقد بيع للجسد ! » ثم يقول :

« إن جهوداً منظمة تبذل لإنشاء موازين وقيم وتصورات للمجتمع غير تلك التي يريدها الله ، ولإقامة أسس للحياة والارتباطات غير تلك التي أقامها الله ، ولتوجيه الناس والحياة وجهة غير التي قررها الله .. »[٤] .

وصدق كذلك حينما قال في تفسير قول الله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ، وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً ﴾ .

« وأما ما يريده الذين يتبعون الشهوات فهو أن يطلقوا الغرائز من كل عقال ، ديني أو أخلاقي أو اجتماعي ، يريدون أن ينطلق السعار الجنسي المحموم بلا حاجز ولا كابح من أي لون كان ، السعار المحموم الذي لا يقر معه قلب ، ولا يسكن معه عصب ، ولا يطمئن معه بيت ، ولا يسلم منه عرض ، ولا تقوم معه أسرة .. كل هذا الدمار ، وكل هذا الفساد ، وكل هذا الشر ، باسم الحرية ، وهي في هذا الموضع ليست سوى اسم آخر للشهوة والنزوة ... وهذا هو الميل العظيم الذي يحذر الله المؤمنين إياه ، وهو يحذرهم ما يريده لهم الذين يتبعون الشهوات ... وهو ذاته ما تريده اليوم الأقلام الهابطة ، والأجهزة الموجهة لتحطيم ما بقي من الحواجز في المجتمع دون الانطلاق البهيمي الذي لا عاصم منه إلاّ منهج الله ، حين تقره العصبة المؤمنة في الأرض إن شاء الله »[٥] .

هذا الذي يتحدث عنه سيد قطب ـ رحمه الله ـ هو ما تقوم به كثير من القصص العربية التي تنتشر بين الناس في صور شتى ! وبالطبع فإن بعضاً منها يغلف الذي يريده بأغلفة متعددة ، ويضعه تحت شعارات برَّاقة ! ويساعد كتاب القصة المنحرفين كوكبةٌ من النقاد الذين شربوا من خمر « الفن الغربي » حتى سكروا وفقدوا التمييز ، ثم بدلوا عيونهم وعقولهم وقلوبهم ، وإذا بهم يصبحون أدوات في أيدي الأجهزة القابعة في المحافل السرية ، والأوكار الخفية ، التي تسعى إلى تدمير الأسس الدينية والأخلاقية التي يقوم عليها بنيان المجتمع الإسلامي !

وإذا كان دعاة التغريب قد سبقوا إلى ميدان القصة ، وغيره من ميادين الأدب ، فإن المسلمين الدعاة ، مطالبون اليوم أن يسارعوا إلى ذلك الميدان المؤثر ، يتخذون له العدَّة « الفنية » التي تستطيع تقديم الفكر النظيف ، والسلوك المستقيم ، في صورة موحية مؤثرة .. بعيداً عن الأسلوب « الخطابي » الذي لم يعد الأسلوب الوحيد في خطاب البشر ! أو الأسلوب « الفكري » الذي لا يؤتي ثماره إلاّ عند المثقفين !

ولنا في كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة ، في استخدام القصة .. وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله .

هوامش :

(١) نقلاً عن كتاب : مصادر نقد الرواية للدكتور احمد الهواري ٢٠ ـ ٢٤ .

(٢) في الرواية المصرية ١٣٦ .

(٣) محاضرات في طبيعة الفن ومسؤولية الفنان ص ٣٤ وانظر ص ٧٤ .

(٤) في ظلال القرآن ـ طبعة دار الشروق ـ م ٢ ص ٦٢١ .

(٥) المصدر السابق م ٢ ص ٦٣١ ـ ٦٣٢ .

فقه المرحلة والانتقال من المبادئ إلى البرامج

في حوار مع الدكتور حسن الترابي

■■ اقتضت سنة الله أن لا تقتصر عملية الابتلاء على جوانب الشر ، كما يتبادر إلى كثير من الأذهان ، بل قد يكون الابتلاء بالخير أشد وفتنته أقوى ، ومن الخطورة بمكان تلك التربية النصفية ، حيث تسيطر على عقلية بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ثقافة الابتلاء بالشر فقط فيصاب بالعجز عن التعامل مع ابتلاءات الخير ويسقط عند الصدمة الأولى ، حتى وصل الأمر عند بعضهم إلى الاعتقاد أن الابتلاء بالشر وحده دليل صواب الطريق ومقياس صدقه وسلامته ، بهذه التربية النصفية يصبح بعض دعاة الإسلام عاجزين عن التعامل مع الخير ، وإن أرادوا ذلك فقد لا يحسنونه بسبب من غيابه عن ساحة التصور والتدريب التربوي ، والله تعالى يقول : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٥) ، والعمل الإسلامي اليوم قد يعتريه بعض التخبط والتعثر بسبب من هذه التربية النصفية التي أصبحت وكأنها ضربة لازب عليه ...

إن فقه المرحلة وحسن اختيار الموقع الفاعل من خلال الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة ، وفقه سنن التغيير والمدافعة وامتلاك وسائله الحكيمة يكاد يكون قضية العاملين للإسلام الملحة اليوم .

لا بد من إدراك جغرافية الساحة التي يتحرك فيها الدعاة اليوم وخلفياتها المتعددة ، وقد اعتبر فقهاؤنا العرف أحد مصادر التشريع الفرعية ويفتقد صفةَ الاجتهاد العاجزُ عن إدراك أعراف الناس وظروف معاشهم وطبيعة حياتهم لابتعاده عن الساحة وانسحابه منها ؛ لذلك تقرر بأنه لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان .

إن العمل للإسلام اليوم يقتضي حساً صادقاً وإدراكاً واعياً وعقلاً راجحاً واطلاعاً واسعاً وحسن فهم لمعركة الإسلام وخصومه حيث تتبدل الظروف وتتغير المشكلات وتتطور المواجهة ، إنه باختصار يقتضي فقه المراحل .

من هنا تأتي أهمية هذا الحوار مع الدكتور حسن الترابي الذي يعتبر بحق أحد شيوخ الدعوة الإسلامية ومنظريها المعاصرين ، ذلك أن أصوله العلمية الشرعية وثقافته العصرية ومعرفته لعديد من اللغات الأجنبية وتقلبه في مواقع علمية وثقافية وسياسية وقضائية إلى جانب الابتلاءات المتنوعة التي تعرضت لها الحركة الإسلامية في السودان والعالم أكسبته قدراً من البصارة والنفاذ ، أو ما يمكن أن نسميه بـ « فقه المرحلة » . إنه يمتلك نظرات هامة في قضية التجديد والاجتهاد وفقه المراحل ، لا بد أن تخضع للحوار والمناقشة للانتقال بمواقع العاملين في الحقل الإسلامي من النافع إلى الأنفع ، ومن الصالح إلى الأصلح ، ومن الحسن إلى الأحسن ...

إن هذا الحوار يكشف عن الكثير من جوانب القضية الإسلامية في السودان ، ويشكل النافذة الأمينة لرؤية التوجه الإسلامي من الداخل والعقلية التي تتعامل مع هذا التوجه ويغني رؤية دعاة الإسلام بتقديم تجربة ميدانية للانتقال من المبادىء إلى البرامج سوف تنعكس بالضرورة على وسائل الدعوة وعقلية الدعاة ■■

أجرى الحوار :

عمر عبيد حسنة

فقه المرحلة والانتقال من المبادئ إلى البرامج

معطيات التجربة الميدانية

■■ لا شك، أنّ عملية التحول إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان ومرور عام على ذلك، واجه مشكلات عملية قد لا تكون كلها في الحسبان .. ما هي المعطيات التي يمكن أن تنعكس من خلال التجربة الميدانية على مناهج وتصورات ووسائل العاملين في الحقل الإسلامي بعد أن اختُبرت بعض الاجتهادات وجُرِّبت بعض الوسائل في الواقع التطبيقي؟

ـ كانت حركة الإسلام في مرحلة الدعوة تُعالج قضايا الإسلام على صعيد النظر .. وكان يتيسر عليها أن تُرتب صور الأنموذج الإسلامي بطلاقة وأن تعرضها على الناس، كذلك، في قمة مثالها حتى تُرغّب الناس في النهضة إليها .. وكانت لا تأبه كثيراً بالمشكلات العملية وللقوىٰ التي يمكن أن تثور حين يتنزل الإسلام على الواقع، ولذلك لم تكن تأخذها في الاعتبار وهي تُقدر نظريات المنهج الإسلامي كما تتصوره وكما تدعو إليه.

فلما بلغنا من بعد الدعوة مرحلة الدولة، أصبح لزاماً أن يتنزل الدين، في شعاب أحكامه الفرعية، على الواقع .. وبدت لنا من الصورة الواقعية، مشكلات ما كانت لتلوح للناظر من قبل .. وبدا أن الأحكام تتوارد على الواقع وتتناسخ وتتعارض مقتضياتها أحياناً .. ونشأت حاجة ماسة إلى تصريف الأحكام وترتيب أولوياتها، لأن في تطبيق بعضها ما قد يؤدي إلى تفويت مصالح إسلامية أخرىٰ مقدرة، أو يُحدث فتنة تضر بمستقبل الإسلام .. **وكان لا بد من فقه أدق من الفقه النظري يرتِّب أولويات الأحكام ويناظر بين قيمها المختلفة** ويؤخر ويقدم ويصرِّف بين هذا الواقع .. هذه مشكلة طرات لفقه الإسلام ..

وهناك مشكلة أخرىٰ؛ **فقد بدا جلياً أنه لا يتيسر للجهد البشري ـ مهما بلغ من الجهاد والاجتهاد ـ أن يحقق كل أحكام الإسلام دفعة واحدة**، ذلك أن هذا الدين التوحيدي يشمل الحياة كلها ولا يمكن أن يستوعبه جهد البشر ولا اجتهادهم إلّا بمعاناة متطاولة يتعاون عليها الناس ويمتد لها الزمان والأمكان .. ولذلك كان لزاماً أن نبدأ من أول الطريق ومن القضايا الجوهرية حتى نتوفر، بما لدينا من جهد، على تحقيقها وحتى نخصص الطاقة الدينية المتاحة في المجتمع، وهي في أول العهد تظل طاقة محدودة، ونجندها لتأسيس أسس الدين ..

ولكن تراثنا النظري ـ بصوره المثالية للإسلام ـ كان يعلق الناس ـ كما ذكرت ـ بأعلى القيم .. **وبدا الفرق شاسعاً بين ما تحقق من صورة الإسلام وما كان الناس يتخيلون .. وحاكم بعض الناس هذا الواقع المحدود بذلك المثال غير المحدود وارتابوا في صدق هذا الواقع**.

ومن خلال هاتين المشكلتين، بدا لنا أن فكر أو فقه مرحلة الدعوة لا بد من أن يتهيأ للتطبيق .. **ولو أننا استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا، لقدمنا فكر الإسلام، لا على أنه مثال خيالي لا يكاد يتحقق إلّا لمجتمع الملائكة أو عبر مجاهدات أجيال كثيرة تتكامل فيها منجزات الإسلام، ولعرضناه كماً واقعياً ولبسطنا بين الناس صورة المجتمع السني الأول** الذي كان مجتمعاً تلوح فيه التطلعات نحو القيم العليا ولكنه بواقعه الماثل بالفعل كان يحتوي ويشتمل على كثير من القصور عن ذلك المثال، وكانت فيه طوائف على مختلف مراحل الطريق، منهم الظالم لنفسه ومنهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات.

وهذه الصورة الواقعية التاريخية للأنموذج السني الأول تجعل الإسلام أقرب منالاً للناس، وتزيد أملهم في أن يحققوه كما تحقق ولا تُوحِشهم من بُعد مثاليته .. ثم، **لو كان لنا أن نبدأ من حيث انتهينا لعرضنا كذلك فقه الإسلام عرضاً دقيقاً يركز على مقاصد الدين وضرورة الترجيح دائماً بين تلك المقاصد وترتيبها** حتى إذا نشأت حاجات العمل، تزوّد الناس بفقه لتصريف الأحكام وترتيبها ولم نبسطها بسطاً أفقياً تترتب فيه كلها كأنها سواء.

وأحسب أننا في مرحلة الدعوة، من اهتمامنا بعمومات النظر، من تعويدنا على منقولات الفقه عندما غدا فقه الأحكام مدونات مجردة شيئاً ما عن الواقع، تفصل الأحكام وترتبها لأغراض التعليم ولأغراض التبويب النظري لا لأغراض التطبيق بالفعل، أحسب أننا فعلنا شيئاً ما بذلك المنهج في أخذ الفقه الديني .. والدين واقع وعمل، وهكذا تنزَّل القرآن ذاته، وكان ينبغي أن يطرح حيث هو؛ فقهاً للعمل لا للنظر.

فقه المرحلة وحسن اختيار الموقع

... وهناك أمر آخر أيضاً، وهو أننا لم ندخل عنصر الواقع إدخالاً تاماً في تقديراتنا .. **وليس الدين إلّا محاولة للتوحيد بين الأنموذج الشرعي المثالي وبين البيئة المادية والاجتماعية الواقعة** .. ولا يتم فقه الدين وعلمه إلّا إذا تكامل علم الشرع المنقول بعلم الواقع الاجتماعي، محلياً كان أو دولياً، مادياً كان أو اجتماعياً؛ لأن حركة التدين تتأثر صيغتها النهائية بهذا الواقع الذي هو الإطار الذي ينصبه الله سبحانه وتعالى؛ ابتلاءً للعبد .. **ولا يمكن أن نتصور الدين إلّا أنه حصيلة التفاعل بين القيم والمعايير الشرعية وبين قوىٰ الواقع المختلفة** .. ولذلك لا يمكن أن يكون فقه المتدينين إلّا تكاملاً واتحاداً بين معرفة وثيقة بواقعهم الاجتماعي والدولي وبمشكلات الحياة المادية، إلى جانب أخذهم من فقه الشرع المنقول.

وعندما قام الإسلام في السودان ـ مثلاً ـ اتحدت مصالح الإسلام مع مصالح الكيان الإسلامي المتمثل في السودان وأصبحت قضايا الفقر والتخلف الاقتصادي قضايا ملحة من قضايا الدين، لأن الدين لا يتم إلّا بمعالجتها .. **ولأنه من خلال التخلف الاقتصادي يُمكن أن يُفتن أهل السودان ـ جماعة ـ عن التزام شرع الله سبحانه وتعالى** أو أن يُغْزَوْا بالمذاهب التي تقربهم إلى الذين يلتمسون عندهم العون الاقتصادي .. **وبالفقر الاقتصادي يمكن أن يفتن الأفراد كذلك ويتعسر عليهم أن يلتزموا أحكام الشرع للمعاملات**، بل يمكن أن ينشغلوا بحاجات المعاش الملحة عن التأمل في قبلة الدين وهموم الحياة العليا ومهمات البناء الحضاري للسودان.

تجدد الابتلاء سنَّة ماضية

... ولذلك، عندما جاءت مرحلة التطبيق، اقتضت بالفعل تطوراً هائلاً في ذهنية الدعاة أنفسهم وفي توجهات اجتهادهم .. ولا أريد أن أتحدث عن التحول الذي وقع في نفوس الناس الآخرين أو ما وقع في نفوس الذين يريدون أن يكيدوا للإسلام، ويكفي أن نقول: كيف اضطر الدعاة أنفسهم لأن يكيِّفوا أنفسهم للابتلاء الجديد .. وتلك سنَّة ماضية، **لأن الله سبحانه وتعالى لا يرضى للعبد أن يجمد على حالٍ من التدين واحدة؛ سواء احسن فيها أو اساء، وإنما يُقلِّب له الابتلاء ليمحصه بكل وجوه التدين وليقتضيه في كل** مرحلة جديدة أن يعرف الله سبحانه وتعالى، ليعرف مقتضى عبادته في الأرض ويبذل من ذات نفسه جُهداً متجدداً لِتَقبُّل الحق ثم لالتزامه ..

من المبادىء إلى البرامج

■■ في تصوري أن الاختبار الحقيقي للدعوة الإسلامية الحديثة، يكمن في القدرة على الانتقال من مرحلة المبادىء

إلى مرحلة البرامج .. ألا تعتقدون بأن مؤسسات الدعوة ـ وهي مرحلة قبل مرحلة الدولة ـ يمكن أن تكون مراكز تدريب أيضاً على الحياة الإسلامية ، وعلى التطبيقات الإسلامية باعتبارها عيّنة من عينات المجتمع إذ الأصل فيها أن تحمل هموم المجتمع القائم وأن تعيش صورة مصغرة تطبيقية عن المجتمع المنشود وتكون مركز تدريب للدعاة حتى إذا ما حانت مرحلة تطبيق البرامج استطاعت أن تقدم العناصر البشرية المدربة والقادرة على فقه مرحلة التطبيق .. وحسن التعامل معها .

ـ نعم في عهد أطبق فيه النسيان وعمَّت الغفلة عن الدين كله وأصبح الدين بأصوله الأولى غريباً عن المجتمع ، وسادت في مجتمعاتنا كذلك فترات من تاريخ إسلامي انحسرت فيها كثير من معالم الدين ، وتحولت فيه كذلك كثير من صور ممارسة الدين إلى مجرد عواطف ظاهرية ليس وراءها من أصول الإيمان في النفوس بقايا ، تناصر هذا التاريخ المبتعد عن الدين مع الغزو الثقافي الغربي ، الذي أخرج الدين تماماً من الحياة العامة ومن قلب هموم المجتمع ، كان لزاماً على الحركة الإسلامية والدعوة الإسلامية عندئذٍ أن تصوِّب جلّ دعواتها ومناظراتها ومجادلاتها على هذه الأصول حتى تحيي شعاب الإيمان من جديد ، لا إسلام بعاطفة الخوف من الله والرجاء من الله وحسب ، ولكن تصويباً لهذه الدوافع الإيمانية نحو قضايا التدين المختلفة وللمناطق التي انحسر فيها الدين وأصبحت بُقع إشراك .. واتسعت هذه البقع حتى حاصرت الدين في زاوية محدودة من الحياة ...

كان لزاماً أن تصرف الحركة الإسلامية جانباً كبيراً من همها لهذه القضية .. ولكن **يُؤسف المرء ان يقول : إنه على تطاول الزمن وعلى تذكر بعض المسلمين لهذه الأصول ، كانما انحبست الحركة الإسلامية في هذه المرحلة لوقت اطول مما ينبغي** . بل إن دعوتها قد ولّدت عند المسلمين طاقات من الإيمان هائلة ، فبدأت حركة المسلمين المنفعلة بذكر الله سبحانه وتعالى في مجالات الحياة العامة ، تعبر عن نفسها في حركات سياسية وفي توجهات وتطلعات اقتصادية وغير ذلك .

ومع ذلك ، فإن فكر الدعوة الإسلامية ظلّ حبيس هذه المرحلة ، **حتى إنك لتجد ان الحركة الإسلامية حتى في اشكال تنظيمها لا تضرب انموذجاً صادقاً للإسلام ، فمثلاً تجد ان القيادة** غير شورية أو تجدها شورىً شبه وراثية ، وتجد علاقات المناصحة والمناصرة والموالاة لا تمثل انموذجاً للدولة الإسلامية التي يريدونها .. ولو انهم نقلوا الصورة التي تقوم بها جماعتهم إلى المجتمع لكانت صورة شائهة للإسلام .. ذلك من محض الغفلة عن ضرورة تنزيل الدين على الواقع وتعلم هذا الفقه الواقعي ..

التدرج في التطبيق

... وكان يمكن لو ان حركة الإسلام ، بدلاً من ان تنتظر الفتح الأكبر الذي يقوم فيه المجتمع كله بالإسلام ، ان تحاول في جوانب الحياة المختلفة ان تقيم نماذج جزئية في جانب من الاقتصاد وفي جانب من السياسة وفي جانب من الفكرة وفي جانب من المجتمع .. ونحمد الله سبحانه وتعالى في السودان ، أن تهيأ لنا شيء من ذلك الكسب ، وأنّ حركة الإسلام بالرغم من أنها تعتصم بالانموذج الكلي وتصر على أن الدين توحيد ، **إلّا انها تعلم انه لبلوغ الكل لا بد من البدء بالجزء .. فهي لا تؤمن ببعض وتكفر ببعض بل تؤمن بالإسلام كله ولكنها تحاول ان تطبق منه ما تيسر** .. ولا تقدر أنه لا بد من انتظار مرحلة الدولة حتى يتمكن الدين بكل جوانبه ، ولكن يُمكن دون ذلك مع مجتمع ما تزال فيه ـ بحمد الله ـ بقية من إيمان ، أن تطبق .. فنشأت مؤسسات اقتصادية للإسلام ومؤسسات اجتماعية ومؤسسات ثقافية جُرِّب فيها تطبيق الإسلام عملياً ..

وتوجهت الحركة إلى ذات نفسها وحاولت أن تعبِّر في اشكالها عن أحكام الإسلام الفرعية .. فعندما أصبح الإسلام هو شِرعة المجتمع كله ودخلت كل هموم المجتمع في هموم الدولة ، كانت هذه المبادرات الأولى خير ما يعين حركة الإسلام وفكر الإسلام على أن يستوعب حركة المجتمع بأسره ، بتوسيع ذات النماذج وتطبيقها ، كما تأخذ الأنموذج التطبيقي والتجربة من المختبر إلى السوق وإلى الإنتاج الواسع ..

كانت تلك البدايات هي في واقع الأمر مفاتيح حل مُغْلَقات المشاكل الاجتماعية ، وهذا هو أخطر ما يطرأ على الحركة : أنها من الهمِّ بذات أمرها (أو إذا تطورت من الهم بعلاقتها المباشرة مع المجتمع : كيف تؤثر على المجتمع وكيف يرتد المجتمع عليها) ، فجأة تجد نفسها وقد اضطرت إلى أن تحمل أمانة كل الأمة وأن تستوعب كل همومها جملة واحدة .

السنن الجارية والسنن الخارقة

■■ من المشكلات التي يعاني منها السودان وكثير من البلدان الإسلامية الأخرى هذه التركة الثقيلة التي هي ثمرة لتاريخ طويل من الانسلاخ عن الإسلام ولانماط متعددة من التجارب والتطبيقات والقوانين والتي قد لا يكون للإسلام فيها النصيب الكبير . ولا شك في ان التحول إلى النهج الإسلامي وإلى تطبيق الشريعة سوف يواجه كل هذه المشكلات ولا بد للتغلب عليها ومعالجتها من زمن وجهود متطاولة .. ومن هنا يُخشى ان يُصاب بعض بسطاء المسلمين او بعض من يعيشون الجانب النظري ولا يعانون التجربة التطبيقية ، ببعض الإحباطات نتيجة الظن انَّ عصا الإسلام يمكن ان تكون سحرية ، تعالج الواقع القائم بالسُنَّة الخارقة

■ لا بد من فقه أدق من الفقه النظري يرتب أولويات الأحكام ويناظر بين قيمها المختلفة ويؤخر ويقدم .. ويصرف بين هذا الواقع. ■

■ لا يتيسر للجهد البشري مهما بلغ من الجهاد والاجتهاد أن يحقق أحكام الإسلام دفعة واحدة . ■

فـقـه المرحلة
والانتقال من المبادئ إلى البرامـج

وليس السنّة الجارية ؛ لأن معاناتهم التاريخية كانت لقضايا نظرية جدلية مثالية ، بينما القضية تحكمها سنن المدافعة والابتلاء والتطبيق المرحلي .. وقد نرى أن الجيل الأول القدوة لم يعانِ المشكلة نفسها لأنه كان يعيش التدرج في التشريع والتطبيق معاً .. أما بالنسبة لنا فقد اكتمل التشريع ..

وقد لا نستطيع بعد هذا الانسلاخ الطويل عن شمولية الإسلام إلّا ممارسة التدرج في التطبيق مع رؤية للمواقع جميعاً .. وفي الوقت نفسه قد لا نستطيع ان نغطي في جيل ما او في زمن ما إلّا موقعاً او اكثر ، لكننا في الوقت نفسه لا بد أن نرى الصورة الكاملة التي يجب أن يرتادها العاملون للإسلام ..

ـ إذا نظرنا إلى واقع السودان خاصة ، وهو بقدرٍ ما يمثل جانباً من واقع المجتمع المسلم عامة ، فإنه ركام من تراث سابق للإسلام . لأن دخول الإسلام للسودان لم يكن فتحاً حاسماً يطهر الأرض من الباطل كله أو جله ويقيم مقامه مؤسسات الحق ، وإنما دخل الإسلام السودان وما تزال عملية استكمال الدين ، وعياً وممارسة وشعائر وأعرافاً اجتماعية ، تتقدم إلى يومنا هذا ...

وامر ثانٍ : نصيبنا من تاريخ الإسلام بخيره وشره ، وفي تاريخنا كما هو معلوم عناصر ضربت على الإسلام ، وانحرافات ، وبعضها التبس بحق الإسلام ، وأصبح لا يتيسر إلّا للفقيه المتبصر ان يميزه بين مُدخلات تاريخية غريبة عن الإسلام وبين أصول الإسلام الشرعية .

يضاف إلى ذلك ان الصور التي تيسرت للمسلمين تاريخياً من التطبيق في نظام الجماعة ونظام القيادة والمجتمع ـ وهي صورة بالطبع كانت محدودة بقدر طاقاتهم المحدودة عندئذ ـ جمدت في اذهان الناس وحسبوها هي الصورة النهائية الأزلية لتطبيق الإسلام ، بينما يتاح أن يتسع الناس لبلوغ مُثل الإسلام ...

ثم خضع السودان للاستعمار ، ولا شك أن المستعمرين المتمكنين قد استطاعوا أن يفرضوا عليهم شيئاً من تراثهم وحضارتهم وأن يحاصروا الدين ويشوهوه بما يوافق أهواءهم ..

أنمـوذج القـدوة

... والسودان يثوب اليوم إلى الإسلام وهو يحمل كل هذا الركام .. ويقتضينا الأمر فقهاً دقيقاً لنتبين هذا الواقع فنستصحب بقية الخير التي كانت تمثل قيم الإسلام أو بعض الخير الذي اهتدى إليه السودان بتجربته البشرية ، مما يمكن أن يكون وسيلة للتعبير عن قيم الدين ، ولأن نميز

■ ليس الدين إلّا محاولة للتوحيد بين الأنموذج الشرعي المثالي وبين البيئة المادية والاجتماعية الواقعة ■

■ خمائر التوجه الإسلامي تصنع في خلاوي القرآن الكريم ■

■ حاكم بعض الناس الواقع المحدود بالمثال غير المحدود فارتابوا في صدق هذا الواقع ■

■ لا يتم فقه الدين إلّا إذا تكامل علم الشرع المنقول بعلم الواقع الاجتماعي ■

■ الحركة الإسلامية حبست نفسها في بعض القضايا أكثر مما ينبغي ■

■ لو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا لقدمنا فكر الإسلام لا على أنه مثالي لا يكاد يتحقق إلّا لمجتمع الملائكة أو عبر مجاهدات أجيال كثيرة تتكامل فيها منجزات الإسلام، ولعرضناه كماً واقعياً ولبسطنا بين الناس صورة المجتمع السني الأول ■

بين هذا كله وبين ركام التجارب والتقاليد والأعراف المخالفة للدين .. ويستدعي هذا الفقه ذاته زمناً من النظر في شأن الواقع السوداني بهذه المعايير الجديدة التي لم نُحكم بَعْد استعمالها .. **ومن بعد هذا الاجتهاد الدقيق ، يقتضينا الأمر جهاداً طويلاً لتجاوز هذا التاريخ والسعي إلى الله سبحانه وتعالى زلفى** .. وقد يُجدينا جداً ، كما اسلفت ، أن نعرض الدين بالأنموذج السني الأول كما كان بالفعل ، لأنه كان أنموذجاً انتقالياً ، وهو أنسب للمسلمين في مراحل الانتقال ـ الانتقال من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع الإسلامي ـ منه في مراحل المضي على طريق مستقر .. فالأسر المسلمة كانت أسراً يكتنفها كثير من الاضطراب والعقائد الباطلة أحياناً وتطرح فيها قضايا الدينامية حول علاقات بآباء غير مسلمين وبأزواج غير مسلمين .. والدولة المسلمة كانت كذلك دولة انتقالية وإن كان قائدها يقوم معصوماً بهدي من الوحي وهدي من الله ، فإن جماعات المسلمين التي كانت تدخل الإسلام تَربَّت على جاهلية وما انفكت فيها بقية من جاهلية ، تطهر منها بعض الناس ولكن ما يزال بعض الناس يعانون منها ...

فالمجتمع الإسلامي الأول كان مجتمعاً انتقالياً ، وكانت مشكلاته الحية شبيهة جداً بمشكلاتنا .. وقد يبدو أن القياس إليه والاعتبار به قريب ، ولكننا نحن نأخذ من هذا الأصل مباشرة الذي حجبنا عنه ، الفقه الإسلامي الخالف الذي ـ كما ذكرتُ ـ أخذ هذا الأنموذج الحي المتصل بالواقع وبسطه على مائدة النظر ورتبه ترتيباً جديداً يناسب النظر ولا يناسب الواقع ..

استيقاظ أقدار التدين

■■ ليس من شك في ان المجتمع الإسلامي الأول الذي يمثل عملية الانتقال ، هو المقياس في مرحلة مماثلة او مشابهة لان نهوض اي مجتمع مرهون بتوافر شروط ميلاده الأولى .. لكن نحن مختلفون ـ كما قدمت ـ عن المجتمع الاول بان التدرج في التشريع والتطبيق كان في المجتمع الاول مترافقاً ..

ـ لعلّ ذلك مما ييسر أمرنا .. فقد كانوا يتقدمون على طريق الإسلام إيماناً وتوكلاً وينتظرون الوحي من الله سبحانه وتعالى ثم يلتزمون ، فكان الأمر يقتضيهم درجة من الإيمان بالغيب .. **اما نحن اليوم فوراءنا عبرة التاريخ كله تهدينا ، ووراءنا الصورة الكاملة للقبلة الإسلامية التي نستهدفها** .. فنحن إذ نخطو خطوة على الطريق ، نتصور ما يتلوها من خطوات ، إن لم يتيسر لنا ان نتمثل ذلك في واقعنا ..

ثم إنهم بدؤوا من جاهلية مطلقة في أمة أمية كانت محرومة من التراث الكتابي العام الذي يمهد لبعض المفهومات الدينية .. **اما نحن ، فنقوم بحمد الله في مجتمع ليس بكامله جاهلي ، قد تكون فيه جاهليات وفيه ظلم ، ولكنا نحذر ان نسميه مجتمعاً جاهلياً لاننا بذلك نظلمه** .. وما تزال في كوامن فطرته اقدار من التدين ، ولذلك ـ بالتذكير القليل ـ تستيقظ كل هذه الاقدار وتكاد تُحدث معجزة في دفع التحول .. وتُشاهد أحياناً في الفرد الواحد ، كيف يحدث الانقلاب فيه من حادثٍ يطرأ عليه او موقف يصدمه فيذكره بالله ، فيحدث انقلاب هائل في حياته كلها .. ويحدث مثل ذلك على صعيد المجتمع ..

فقه المرحلة والانتقال من المبادئ إلى البرامج

وإننا نشاهد اليوم، وهذه أيضاً مشاهد انتقال لا يكاد الإنسان يصدقها، **كيف تتم المعجزات الحقيقية في الانتقال!** وكيف نتصور المعضلة الكبيرة، التي نُقدر أنها ستكلفنا التكاليف، كيف ييسرها الله سبحانه وتعالى، إذ يستيقظ الإيمان فيتصل بقوة الله سبحانه وتعالى ذي الحول والطول .. إن الله هو الموفق وبيده تصريف الخلق والأمر ..

خطورة الإغراق في المثالية

... **وصور الانتقال بالرغم ممَّا يعتريها من مشكلات ومعضلات، إلَّا انه كذلك تعتريها فتوح تبشر الإنسان وتعينه على مصادمة هذه المشكلات** .. وقد كان - بحمد الله - طرحنا للإسلام في السودان، طرحاً واقعياً موصولاً بالواقع ولذلك قرّبنا مُثُل الإسلام للواقع .. وقدمنا صورة للمسلم - ليس المسلم الملائكي الذي هو على قمة الطاعات دائماً - ولكن المسلم البشري الذي يخطيء ولكنه إن كان خطّاء فهو توّاب أيضاً .. كما قدمنا صورة للحاكم المسلم الذي لا ينبغي أن يكون على أعلى مثال شهده التاريخ الإسلامي، بل على صورة ذلك المثال كما نقله إلينا المؤرخون الذين ارادوا - لأغراض تربوية - أن يُركِّزوا، بصورة أولئك الحكام الأفذاذ، على الإيجاب المطلق في سيرتهم وتناسوا غير ذلك حتى يُربونا بالتعلق بالصورة المثالية.

الحاجة لإعادة كتابة التاريخ والفقه

■■ **يُخشى أن يؤدي الكلام والمبالغة في المثالية إلى الوقوع في الوجه الآخر للقضية وهو: التأكيد على استحالة التطبيق والمساهمة السلبية بإبعاد الناس عن الإسلام ..**

— صحيح، لأنه يُباعد بين تلك الصور .. ولكن هذا كان اجتهاداً تربوياً من بعض المؤرخين: أن يرسموا صورة زاهية جداً للتاريخ، وأن يذكروا محاسن الموتى، وذلك ليحملوا الناس على الصعود ..

ولكن من يلاحظ صور القصص القرآني يجد أنه يقصّ قصة الحياة كلها لأن **التدين هو الانتقال من الخطيئة إلى المتاب ومن القصور إلى التكامل ..**

وليس التدين هو بلوغ هذه الحالة المثالية والبقاء عليها، فهذا مما لا يتيسر بشرياً .. ولكن التدين هو هذه الحركة وهذا الانتقال .. **والانتقال مرحلة لا تنتهي** .. فمهما بلغ المرء من الطاعة يراوده الشيطان، لأن الشيطان مخلّد .. وتراوده الذنوب وتنتابه الذنوب، فكأنه ينحط ثم يقوم ويسقط ثم ينهض، وهكذا دائماً .. وهذه المعاناة هي لبّ التدين .. **ويُجدينا - في واقع الأمر - ان نعيد كتابة تاريخنا وكتابة فقهنا من جديد حتى يكون فقهاً يُهيّىء اصحابه، وتاريخاً يكيِّف قارئه، لأن يحققه في الواقع ..**

■■ **كثرة الكلام عن المثاليات، من خلال واقع الضعف البشري، كانه مُيئس وقد يُعطي نتيجة تربوية عكسية لما اراد له اصحابه .. ويكون مساهمة سلبية ومنافذ يخترق منها الأعداء الصفَّ الإسلامي بدعوى ان الإسلام مثالي لا يمكن ان يحالفه التطبيق ..**

— تماماً .. إن هذا القرآن هو كيمياء انصبَّت على واحد من أحط صور الواقع البشري .. **وكانت معجزة الدين انه انتقل بواقع منحط جداً** .. وقدَّر الله أن يبعث هذه الرسالة لا في البلاد التي تهيأت بالحضارة ولا في البلاد التي تهيأت بالثقافة الكتابية لها، ولكن في واقع بعيد جداً .. وبالرغم من ذلك استطاعت هذه الكيمياء أن تحوِّل هذا الواقع إلى مثال أصبح قدوة في تاريخنا ..

ضمانات الاستمرار

■■ **بعد ان دخلت التجربة السودانية مرحلة التطبيق العملي، ما هي - في نظركم - ضمانات الاستمرار وتحديد الموقع المرحلي بالضبط من خلال الصورة الدولية المعقدة؟ ذلك ان المعادلة الدولية قد تتغير والمعطيات، من حولنا، قد تتغير ايضاً، خاصة عندما تستشعر بعض الدول التي لا ترىٰ من التجربة الآن إلَّا مواجهة الشيوعية في افريقيا، جدية التحول الإسلامي ..**

— إن هدي القرآن يدلنا على أن المعوَّل في حراسة الكسب الديني هو على قوة إيمان المؤمنين ووحدة صفهم .. وأن الخلل والفشل وذهاب الريح يأتيهم من خلال العيوب الداخلية، ومهما اجتمع عليهم الناس أو جمعوا لهم، فإن ذلك قد لا يضرهم وقد لا ينقلبون منه إلَّا بخير زائد .. ولذلك، **نحاول اولاً ان نوسع رقع تطبيق الإسلام في الحياة حتى** لا يكون تطبيق الإسلام محاصراً في زاوية واحدةٍ يمكن أن يقضى عليها بيسر، وحتى لا يظل ما يترتب عنها من بعث لتدين الناس محدوداً بحدودها ...

فحاولنا أن نوسع رقعة التطبيق الإسلامي في مجالات الاقتصاد المختلفة ومجالات السياسة والمعاملات، بل في مجالات الحياة الشخصية بالسياسات التربوية المناسبة. وبذلك نضمن أننا حافظنا بقدر أوسع من الإيمان يُفجِّر طاقات أكبر عند الشعب .. **ونُعِدُّه بذلك - بهذه الطاقات الواسعة المتفجرة - ليجد كل مواطن، أياً كان موقعه، مجالاً للدخول في هذه النهضة والثورة الواسعة**، رياضياً كان أو فناناً، سياسياً كان أو تاجراً، أميّاً كان أو مثقفاً ..

الولاء الجديد

... ثم إننا نريد أن نولِّد من هذه التشريعات، إيماناً بواقع الأمر، وهذا هو الجانب الذي لا يدركه كثير من الناس .. إذ يحسب الناس أننا قنّنا القوانين لتنضبط بها مؤسسات الدولة ومحاكمها وشرطتها وموظفوها، ولكن الذي وقع في نفوس

■ إن هدي القرآن يدلنا على أن المعول في حراسة الكسب الديني هو على قوة إيمان المؤمنين ووحدة صفهم ■

الناس اكبر بكثير من أثرها المباشر في تطبيق حدود الشرع او احكام المعاملات : **زاد إيمان الناس زيادة واسعة بل إنها اصبحت الآن هي مركز ولاء جديد للمجتمع** .. فقد ظل المجتمع السوداني لعهود طويلة مقسماً إلى طوائف وأشكال ورثها من تاريخه ، ولكنه الآن يموج بحركة ستبدل علاقاته الاجتماعية وخارطة الولاء السياسي فيه ، وتتجمع منه أقدار هائلة نحو مركز ولاء جديد ، وذلك يعني ان **الصفّ الواعي بالإسلام** ، الملتزم بالإسلام ، بتحديات الإسلام المعاصرة لا بالمنكفئة على التاريخ ، **سيصبح بإذن الله صفاً كثيفاً مرصوصاً** .

وحتى مراكز القوة في هذا المجتمع والتي ربّاها الاستعمار من قبل وكيّفها لتكون هي حيثيات للنظام العلماني الذي فشل في البيئة الإسلامية وخُشي أن تحاصره هذه البيئة وأن تمتصه ، كالقوات المسلحة والقضاء والخدمة المدنية والجامعات ، هذه المؤسسات زرعها الاستعمار وقوّاها ومتّن بناءها وجعلها أمينة على حراسة تراثه ، وظلت عهداً ما ، كلما تطلع الشعب وماج بتطلعات نحو الإسلام ، قمعته هي ، إن لم يكن بقوتها المادية فبقوة قهرها الأدبية .

هذه المواقع ، بإذن الله ، من أولى المواقع التي صوّبنا إليها الانتقال نحو الإسلام .. **فالجيش يتحول بتوجهاته القديمة وتصوره القديم لوظيفته إلى توجهات جديدة وإلى تصور ديني لدوره في الحياة** ، ويتسع فيه الالتزام الإسلامي وتتلاشى تقاليد الوجود القديم .. **وكذلك مراكز الثقافة الإسلامية التي ما تزال تحمل بعض اشكال واسماء ترمز للتوجه القديم ، إلّا ان مضمونها قد دخله الإسلام ووقع فيها انقلاب** ..

فالجامعات انقلبت من قواعدها وسيخر السقف من بعد ذلك إن شاء الله .. **وكذلك القضاء** الذي كان واحداً من أكبر مؤسسات العلمانية في البلاد ، وهو لمّا خوطب بالقوانين الإسلامية تثاقل شيئاً ما من أن يتحول عن مألوفه إلى هذه القوانين الغربية ، **تُتخذ الآن تدابير للتحول به تحولاً يهيئه لاستقبال هذا الجديد وحمله** بإذن الله .. **وإن يسّر الله لنا فسحة من الوقت ، ستقوم في السودان** ، إن شاء الله ، **قوة شعبية ومؤسسية تمتّن الإسلام** ..

مشـكلة الجنـوب

وهناك أمر آخر نريد أن نتوجه إليه وهو أنّ **جنوب السودان كان ثغرة واسعة هيّاها الاستعمار كذلك بمحاصرته لها وبتكييفه لها ثقافياً** بما يجانب الوجهة الثقافية السودانية ، بأن تكون دائماً سلباً على إسلام السودان وخصماً من التدين .. وتتوجه الآن ـ كذلك ـ طاقات من الدعوة الإسلامية ومن العمل الإسلامي الاجتماعي ومن الجدالي والحواري مع غير المسلمين ، **حتى نحيط بهذا الكيان ونجعله للإسلام لا خصماً له** ، بإذن الله .

يضاف إلى ما سبق أن أشرت إليه من اننا نصوِّب طاقات التديُّن بأقدار هائلة نحو الاقتصاد حتى تكون لنا من قوة الاقتصاد بما يُمكن أن نُقاوم به ضغوط الباطل .

سنة المدافعة ومواجهة التحديات

... وبهذا الإعداد نستعد كذلك للتحديات .. نحن نعلم ان **الدِّين لا يمكن ان يقوم ـ اليوم ـ في بقعة معزولة ولا يُمكن ان نبني حائطاً حديدياً نحمي به ناشئة الإسلام في السودان حتى يقوى عودهم ؛ لاننا مضطرون ان نقيم الإسلام في الشمس وفي الاعاصير وفي قلب الدفوع الدولية** ..

ونعلم أنه كلما تبلور الواقع الإسلامي وبدت أصالته وبعض آثاره ، كلما اشتد الفزع من مستقبله .. وكلما نشط الحق نشط الباطل في وجهه أيضاً .. وتلك سنة من سنن الله الذي قدّر أن يقابل بين الحق والباطل ، ابتلاءً لعباده ..

... **ونحاول في صلاتنا العالمية ان نبسط بالحسنى وان نراقب مَنْ حولنا من العالم** ، مسلمين وغير مسلمين ، ونُبَصِّرَ بما يجري في السودان حتى لا يفزع بعض المسلمين من هذا التحول الذي قد تترتب عليه تطورات مفزعة لاستقرار الأوضاع والمصالح الراهنة .. وحتى لا يُفْرط الغرب كذلك في فزعه ، فإننا نحاول أن نقدم لهم صورة بإيجابيات الإسلام لهم ـ لأن الإسلام جاء لكل الناس ولم يأت للمسلمين وحدهم ـ وما فيه من خير للبشرية ومن عطاء لحضاراتها .

ونحاول بالجمع الذي نجمعه وبالعدّة التي نعدها أن نرهب عدوّ الله كذلك من أن تحدثه نفسه بأن يستهين بشأن الإسلام وأن يكيد له ؛ حتى يعلم أنه إن حاول الكيد سيكاد له ، وإن مدّ يده ستقطع بإذن الله .

ذلك بعض من جملة من السياسة الخارجية الجديدة ، وهذا وجه من وجوه الدعوة إلى الإسلام لم نجرِّب منها إلّا قليلاً لأن **الحركات الإسلامية كانت حركات منكفئة في بطن المجتمع وقليلاً ما كانت تتصل بالعالم الخارجي او تضطر حتى** إلى تصور مواقف إسلامية فيه ..

دخول السياسة الخارجية في الديـــن !

■■ **ولذلك ستفاجأ بكثير من المواقف لأنها تبدو جديدة عليها** ..

ـ نعم .. **لقد دخلت السياسة الخارجية كما دخلت كل السياسة اليوم في الدين ، دخولاً واسعاً واصبحت لنا مصالح الآن في موقف كل قوة عظمى أو صغرى لأن العالم كله يموج بالتفاعلات ولا تقوم دولة بشأنها** ، قوية كانت أو ضعيفة ، فكما تحتاج الضعيفة للقوية تحتاج القوية لسوق الضعيفة ولتابعيتها .. وهذا وجه جديد من وجوه الابتلاء ووجوه الفقه سنحاول أن نقتحمه بإذن الله ، بزاد محدود من الاجتهاد ؛ حتى نحمي ناشئة الإسلام .. ولا نقول نحميها وحسب لأن الدفاع ليس إلّا مرحلة ، **والقصد في نهاية الأمر ان يمتد هدي الإسلام وان ينتشر وألّا نكون مستقلين عن الناس ولكن أساتذة هداة للناس** ..

ونعلم أن الأنموذج السوداني ، بسعة مداه ، سيكون ملفتاً للنظر وسيصوّب الناس إليه النظر وقد يكون مبشراً أو يكون منفراً .. ولا نريد أن نصدّ عن سبيل الله ولكن نريد ان نهدي إلى سبيل الله .. ونستشعر لذلك قدراً هائلاً من المسؤولية ، عن بلادنا وعن العالم أجمع .. ذلك العالم الذي ينظر إلينا اليوم ، لا بعين موضوعية مجردة صادقة ولكن بعين فيها كثير من الارتياب وبقلوب فيها كثير من التحامل على الإسلام .. ونحن مضطرون في وجه ذلك كله أن ننفذ بصورة إسلامية مُشرقة بما يجري في السودان .

الأمّـــة ..

□□ نظراً لأهمية القضايا التي يعالجها الحوار مع الدكتور حسن الترابي حول « **فقه المرحلة والانتقال من المبادىء إلى البرامج** » فسوف نستكمل النشر بإذن الله تعالى في العدد القادم ، ويتناول :

- مؤسسات شعبية للرقابة العامة .
- قصور الفقه السياسي واستبحار الفقه العبادي والتشريعي .
- معادلات جديدة لا بد من إدراكها .
- من جور الأديان إلى عدل الإسلام .
- الخوف من الحرية عطّل الحياة الإسلامية .
- الحرية مؤشر على سلامة التحول الإسلامي .
- التوجه صوب الإسلام مطلب جماهير الأمة .
- الامتحـان العسير .
- حركة الصفوة وحركة الأمة .
- السلطان والقـرآن .
- معطيات التجربة الإسلامية في السودان .

المسجد الجامع

■■ منذ فجر الإسلام وللمسجد رسالة ووظائف عديدة لا تنحصر بأداء الصلوات فقط ، لكنه المكان الذي تُدار منه شؤون الأمة كلها ، فهو الرئة التي يتنفس بواسطتها المجتمع المسلم ... وقد بدأ دور المسجد ينحسر تدريجياً مع تراجع الأمة المسلمة حتى كاد يفقد دوره ...

وفي محاولة جادة لاسترداد دور المسجد في حياة المجتمع المسلم تتبنى رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر خطة واعية لبناء عدد من المساجد يمكن أن تكون أنموذجاً حديثاً في أنحاء الدولة كلها ، حيث تتطور الخدمات التي يؤديها المسجد للمسلمين ، وما يقوم به من نشر الوعي الإسلامي والثقافة الإسلامية الأصيلة بين الناس .. ■■

● الجوامع الأنموذجية : زودت بالخدمات والمرافق الضرورية في محاولة لاسترجاع دور المسجد ●

■ تميز المسجد الجامع بالوكرة بالمحافظة على منهج الفن المعماري الإسلامي القديم ليجيء منسجماً مع الطابع الأثري العام لهذه المدينة ■

وفي إطار هذه الخطة افتُتِح بالدوحة في الأعوام الماضية ثلاثةُ مساجد أنموذجية هي : مسجد السوق المركزي (٢٨ شعبان ١٤٠٢هـ .) مسجد « أبو بكر الصديق » (١٢ جمادى الأولى ١٤٠٣هـ .) مسجد عمر بن الخطاب (٢٨ جمادى الثانية ١٤٠٤هـ .) .

وفي الرابع والعشرين من محرم الحرام ١٤٠٥هـ . أقيمت أول صلاة جمعة بالمسجد الجامع في مدينة الوكرة حيث احتفل المسلمون بافتتاحه كمسجد أنموذجي حديث صمم طبقاً لنظرية العمارة الإسلامية الأصيلة ...

ومن الأمور التي تميز بها المسجد الجامع بالوكرة أنه جاء محافظاً على منهج الفن المعماري الإسلامي القديم ، ليجيء منسجماً مع الصورة المعمارية لمدينة الوكرة التي تُعد من أقدم مدن دولة قطر ، ويغلب عليها الطابع الأثري بشكل عام .

ورغم انتشار بعض المساجد الصغيرة في هذه المدينة التي تقع على طريق مدينة « مسيعيد » الصناعية ، وتبعد عن الدوحة عدة كيلومترات ، فإن الحاجة كانت ملحة لإقامة هذا

في الوكرة

بدولـــــة قطـــر

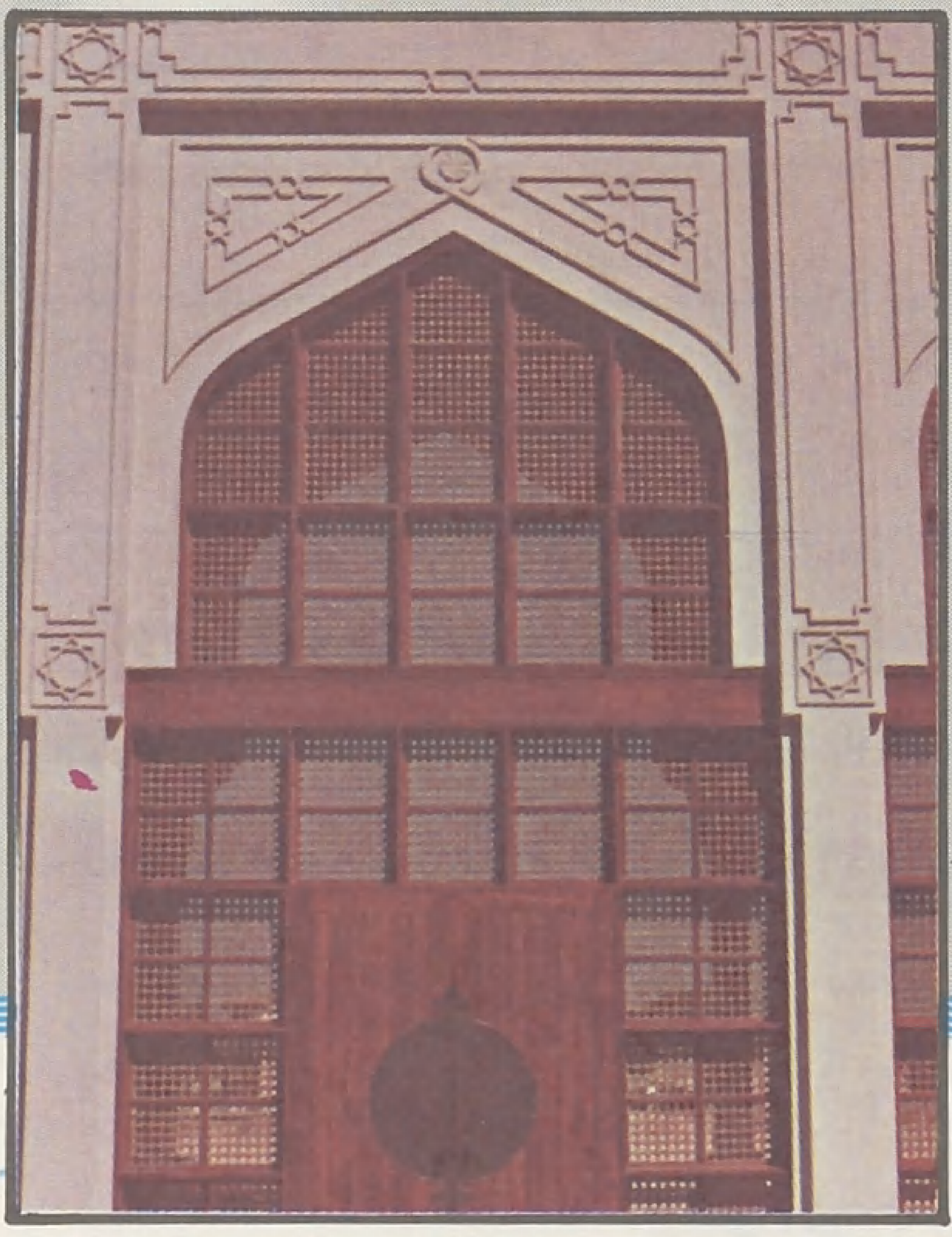

● الجمعة الأولى في المسجد الجامع بالوكرة ●

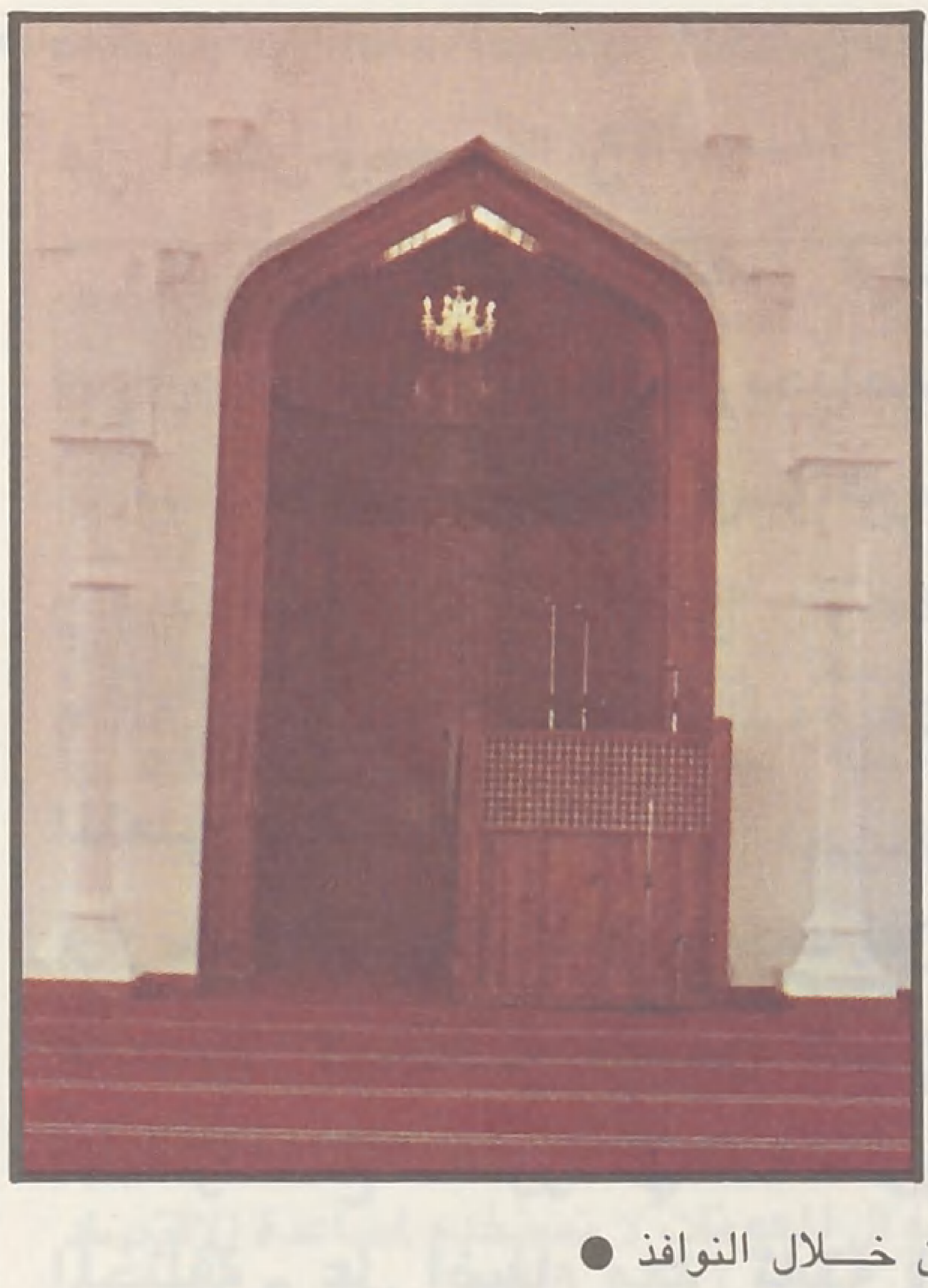

● من ملامح العمارة الإسلامية : السماح بدخول الضوء الطبيعي من خلال النوافذ ●

المسجد الجامع الذي يتسع للجمع الغفير من المسلمين لأداء صلاة الجمعة ...

مكتبة المسجد

وانطلاقاً من حرص رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية وخطتها على إعادة الفاعلية للمسجد لم ترض أن يقتصر المسجد على أن يكون مجرد تجمع للمسلمين ، وهو خير ، فقامت بتزويده بالوسائل الإعلامية المساعدة له في أداء دوره في مدينة الوكرة ، وجاءت المكتبة الملحقة به والتي زودت بمراجع ومصادر تتعلق بجوانب الشريعة الإسلامية المتعددة ، وعلوم الحضارة الإسلامية ، وفروع الثقافة الإسلامية العامة ، إلى جانب العديد من المجلات والدوريات التي تهتم بشؤون المعرفة بصفة عامة ، وبشؤون المسلمين وما يهمهم ويعود عليهم بالنفع بصفة خاصة ، إلى جانب قسم خاص يقدم للطفل المسلم الثقافة الإسلامية والمعارف الضرورية اللازمة له ... جاءت المكتبة لتحقق حاجة الطالب والباحث والخطيب والمدرس ، في محاولة لربط المسجد

المسجد الجامع في الوكرة

بدولة قطر

● مدخل المسجد الرئيس في الجهة الشرقية ●

بالمجتمع كما كان في صدر الإسلام ، وكما يجب أن يكون دائماً ...

سكن الموظفين

ومن الوسائل التي أصبحت ضرورية اليوم لضمان حسن أداء المسجد لوظيفته الاجتماعية توفير أسباب الاستقرار والتهيؤ النفسي للإمام والمؤذن والمشرفين على شؤون المسجد عامة ، لذلك توفر في هذا المسجد الجامع مسكن لهؤلاء يمكن أن يمكنهم من أداء أعمالهم المكلفين بها على أحسن وجه ...

وقد أُلحق بالمسجد أيضاً غرفُ للإدارة ، ومخزن للمواد التي يحتاجها المسجد ، ودورة مياه ، ونوافير ، ومورد للماء العذب المثلج ، وخط هاتفي ، وغرف لحفظ المعلومات المتعلقة بالمسجد ...

ويأتي المسجد كأنموذج جيد لفن العمارة الإسلامية الأصيل الذي استقر ـ مع تطوره في العصور المختلفة ـ على إضفاء معان ثابتة في النفس الإنسانية تتعامل من خلالها ، وذلك باستخدام الخطوط والزوايا والمربعات والمكعبات والأشكال المخروطية والدوائر ... وغير ذلك من ملامح الفن المعماري الإسلامي ...

وكان العمل في تشييد هذا المسجد قد بدأ في السابع من جمادى الآخرة ١٤٠١هـ . الموافق للحادي عشر من نيسان (ابريل) ١٩٨١م . واستغرق تنفيذه ثلاث سنوات وثلاثة شهور بتكلفة إجمالية قدرها [١١,٤٠٣,٧٩١] ريالاً قطرياً .

المكونات

تبلغ المساحة الإجمالية للمسجد وملحقاته (٢٨٠٠) متر مربع ، ويتسع لحوالي (٢٧٠٠) مصل ، ويتكون من قاعة رئيسة للصلاة تتسع لحوالي (١٧٥٠) مصلياً ، وترتكز على أربعة أعمدة ، مزينة بزخارف إسلامية ...

أما الطابق العلوي فهو مصلى خاص بالنساء ، يصلين فيه ويحضرن دروس العلم التي تُلقى في المسجد ، ويتسع لثلاثمائة مصلية ...

وإلى جانب ذلك يوجد بالمسجد صحنان أحدهما مغطى في المدخل الرئيس للمسجد ، والآخر مكشوف لأداء الصلوات .

الإضاءات

تتم إضاءة المسجد بنظام يسمح بدخول الضوء من خلال نوافذ جانبية ، غير النوافذ الموجودة في قباب المسجد الأربع ، وكان استخدام هذا النظام بسبب طبيعة الجو الحار في المنطقة بصفة عامة ، وهذا ملمح من ملامح العمارة الإسلامية الأصيلة قد لا تعيره انتباهاً أو لا توفره العمارة الحديثة ...

ويُستخدم في المسجد نظام التكييف المركزي الذي يكفل للمصلين جواً مناسباً يمكنهم من الجلوس والمتابعة لما يلقى من دروس وخطب ، إلى جانب شبكة من مكبرات الصوت في قاعات الصلاة تكفل توزعه بصورة شاملة لجوانب المسجد كلها إضافة إلى الفناء الداخلي .

المداخل

وهناك عدة مداخل مغطاة لهذا المسجد الجامع ، مدخل رئيس في الجهة الشرقية يتكون من ثلاثة أبواب خشبية كبيرة وضعت في إطار مزين بالزخارف ؛ ومدخلان آخران في الجهتين الشمالية والجنوبية ؛ ومدخل خاص بالنساء إضافة إلى مدخل لخطيب المسجد ، ومداخل لغرف الخدمات .

هذا وقد زرعت المساحات المحيطة بالمسجد بالخضرة التي زادت منظر المسجد العام روعة وجمالاً ، فبدا بمداخله وزخارفه وسط المساحات الخضراء ـ التي يمكن التوسع فيها أفقياً ـ لوحة فنية رائعة .

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيَّة . ومن ثمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

هـــل حصـــــل ذلـك ؟

□□ تعتبر الماركسية أن قوانين « الديالكتيك » أو الجدل أشمل القوانين السارية في أرجاء الكون ، وأن كل تطور في نواحي الكون والحياة قائم على أساس هذه القوانين ...

لذا فلا بد أن تقوم البحوث والتحليلات على أساسها ، ونتائجها لا بد أن تتفق مع تلك القوانين الشاملة .. فهل حصل ذلك مع الماركسية نفسها ؟! □□

● مـاركس ●

(الأنــوار التونسيـــة)

القارئة : ليليا علي تاج ـ تونس

مسلمو الفيلبين داخل حــزام النابــالم

□□ الحزام الناري الذي يلف الفيلبين عاد من جديد إلى الاشتعال .. ليس بفعل الطبيعة ، ولكن بفعل الحكومة ! القوات المسلحة الفلبينية استخدمت قنابل النابالم المحرمة دولياً ضد المسلمين في جزيرة « مينداناو » حيث يتركز معظم مسلمي الفيلبين .. « روزاريو ليكوشيا » مراسل وكالة رويتر في « مانيّ » نقل عن الحركة العالمية للسلام والعدالة ـ وهي إحدى منظمات المطالبة بحقوق الإنسان ـ تأكيدها بأن استخدام قنابل النابالم وغيرها من الأسلحة الكيماوية ضد المسلمين أدى إلى مصرع (٣٠٠) مسلم عدا الآلاف الذين هربوا تحت ضغط القصف المركز لمناطقهم . □□

(الأخبـــار القاهريـــة)

القارىء : أسامة أحمد علي

جمهورية مصر العربية

عســكريــة الحاخامـــــات !!

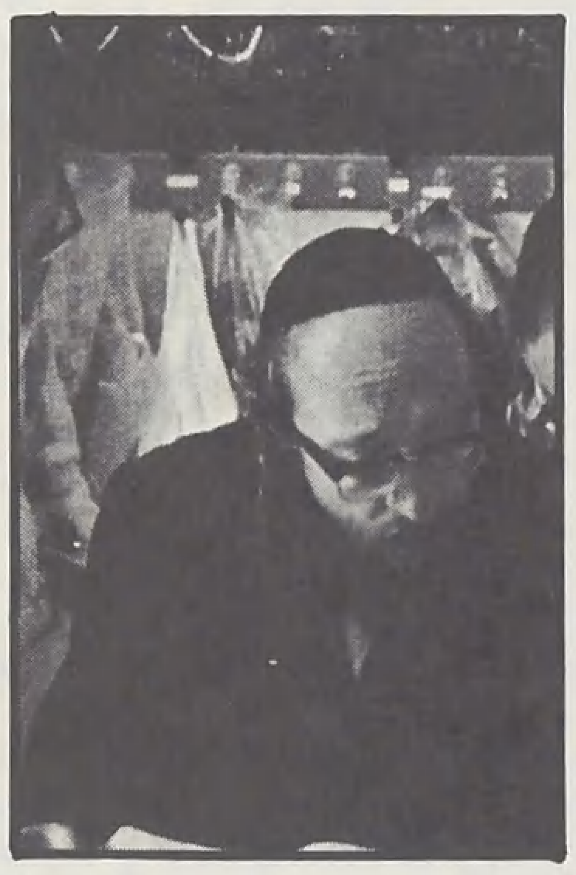

□□ أثناء الغزوة الاسرائيلية الأخيرة للأراضي اللبنانية لم تكف الحاخامية العسكرية عن الدعوة للحرب المقدسة ، وقد لخص الموضوع الرئيسَ للحرب المقدسة حاخامٌ برتبة نقيب ، فقال : « علينا ألَّا ننسى أجزاء التوراة التي تبرر هذه الحرب ، فنحن نؤدي واجبنا الديني بتواجدنا هنا ... فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً هو أن نغزو أرض العدو ... □□

[هاآرتس الإسرائيليـــة]

القارئة : صباح محمد الحاج طه ـ الأردن

أرقـــام وحقائق عن لاجئي العـــالم !

- ٧ر٨ مليون نسمة في عام (١٩٨٣م)
- ٩ر١ مليون نسمة في عام (١٩٨٤م)
- ٥٠٪ من هذه الزيادة من أفغانستان وأثيوبيا وتتولى السلطة فيهما حكومتان مواليتان للسوفييت .
- ٦ر٣ مليون نسمة هم عدد اللاجئين الأفغان من أصل مجموع السكان (١٥ر١ مليون نسمة ١٩٨٢م)
- ٧٧٠ ألفاً من اللاجئين الأثيوبيين البالغ عددهم ٣ر١ مليون نسمة يقيمون في الصومال ، وقد ازداد عددهم مؤخراً نتيجة الجفاف وتَرَدُّد الحكومة الأثيوبية في تسهيل توزيع المساعدة الغذائية في التيجراي واريتريا .
- من (٣٠٠) ألف إلى (٣) ملايين نسمة من الأثيوبيين لم يدرجوا في هذه الأعداد رغم انهم اجبروا بالقوة على مغادرة منازلهم .

(الاتحاد الظبيانية) ـ القارىء : ممدوح الشاعر ـ أبوظبي

منـــافع متبـــادلة !!

□□ في تصريحات أدلى بها شمعون بيريز رئيس وزراء إسرائيل لصحيفة واشنطن بوست ومجلة نيوزويك الأمريكية ، قال :

● بـيريز ●

إن على الولايات المتحدة أن تدرك أنها تحصل على مكاسب من وراء المعونات الضخمة التي تقدمها إلى تل أبيب : وذلك لأن أموال المعونات لا تستخدم لمساعدة الاقتصاد الإسرائيلي الداخلي وإنما للاحتياجات العسكرية التي تستفيد منها الولايات المتحدة ... إن الإسرائيليين لا يتناولون في إفطارهم طائرات أو دبابات أو سفناً !! وبإمكان الأمريكيين أن ينظروا إلى المعونات الممنوحة لإسرائيل على أنها استثمار من أجل صورة العالم الحر وصورة الولايات المتحدة وكذلك إسرائيل !! □□

(الأهــرام القاهريـة)

القارىء : عماد إبراهيم أحمد

جمهورية مصر العربية

بقلم : محمد الصالح عزيز

خصائص الفكر

■■ كان احتواء الفكر التربوي الإسلامي وإفراغه من مضامينه الأصلية وخصائصها المميّزة من أخطر المواضيع التي ركز عليها الاستعمار الثقافي جهوده أثناء غزوه لبلادنا الإسلامية ، فأنشأ جيلاً منبتاً جاحداً فضل أجداده ، جاهلاً كنوزه الثمينة ، غير واثق من نفسه ، يلهث وراء كل ما تتقيؤه الحضارة الغربية من نتاج فكري ■■

وتستمر بعض الأقلام المأجورة والمحسوبة على الإسلام في نعيقها ، مردّدة أن الفكر التربوي الإسلامي هو امتداد للفكر التربوي اليوناني والروماني ، والحال أن العديد من جهابذة الفكر الغربي ما فتئوا ينوّهون بتميّز الحضارة الإسلامية ـ فكراً تربوياً وسياسة ونظاماً وعقيدة ـ وأن للمسلمين جذراً عميقاً في التربية والنفس الإنسانية والعقل البشري من الصّعب القضاء عليه أو تدميره أو احتواؤه ، وأن «**المسلمين أمة لها ذاتيتها التي أنشأها القرآن وجعلها مثلاً عالياً للمنهج الرباني المرجو تطبيقه على الأرض عدالة ورحمة وأخوة وارتفاعاً على الأهواء والمطامع .. ولا ريب أنّ للمسلمين ثقافة وعقيدة خاصة تختلف عن ثقافات الأمم ، ولكنّها تلتقي معها في المفاهيم الإنسانية والقيم الربّانية ، وأن هذه الثقافة بقيمها الأساسية الثابتة قد فرضت طابعها على طريق التفكير وطرق التصرف والسلوك** »[1] وأن للمسلمين فكراً تربوياً متميزاً انبجس إلى الحياة دون سابق عهد أو انتظار ، وقد جمع في فجر نشأته كلّ المقومات الأساسية لفكر تربوي مكتمل شامل ، ولم يكن قيامه ثمرة تقاليد حفل بها الماضي ، ولا ثمرة تيّارات فكرية موروثة ، ولكنه كان وليد حدث تاريخي فريد هو تنزّل القرآن الكريم ، وكان مردّه إلى رجل عظيم وهو **محمد رسول** الله ﷺ .. جاء في كتاب «**شمس الله تشرق على الغرب**» للدكتورة ـ **سيجرد هونكه** ـ الألمانية رداً على هذه المزاعم التي تقول بأن الفكر التربوي الإسلامي امتداد للفكر اليوناني والروماني ما يلي :

« **إنّه لشدّ ما يُغبن حق المسلمين حين نكتفي بالقول بأنهم نقلوا التراث القديم إلى العالم الغربي بعد ما حفظوه من الدمار .. فذلك يعني في الواقع التقليل من قيمتهم والسّكوت عن الأمور الجوهرية من عملهم الحضاري وجعلهم مجرّد وسطاء لاغير ، والحقيقة أن سائر مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الغرب مدعومة بآثارهم** .. »

فما هي أهم الخصائص التي تميز الفكر التربوي الإسلامي ؟

١ ـ الأصالة ..

يستمد الفكر التربوي الإسلامي أصالته من نظرته الخاصة إلى الإنسان وماهيته وعلاقاته مع العالم المادّي والحياة المجتمعية ، وهي نظرة مستمدة من الإسلام وتعاليمه بنظرته الشمولية للكائن البشري ...

فإذا كان الإنسان على هدي الداروينية حيواناً لا رفعة فيه ولا روحانية ، وصار مطلقاً من قواعد الخلق وقواعد المجتمع وقواعد التقاليد ـ وإذا كان التفسير الماركسي للتاريخ يصر على أن ليس للإنسان سلطة على مشاعره وأفكاره ومفاهيمه وعقائده التي تتغير غصباً عنه ويصر على أن الأفكار والمشاعر والعقائد ليست هي التي تحرك الناس أو ترسم لهم سلوكهم العملي في واقع الحياة ، وإنما تجيء لاحقة لكل وضع اجتماعي أو اقتصادي .. وإذا كان النشاط البشري عند ـ **فرويد** ـ يرجع إلى أصله الجنسي ، فيصور الإنسان عرياناً من كل خلق ومن كل دين ومن كل شعور نظيف .. إذا كان هذا هو الإنسان عند مختلف المذاهب فإنه في الإسلام غير ذلك .. إنّه كريم على الله «﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾ (الاسراء : ٧٠) ، مفضل كريم لا دنس فيه ولا استقذار له ولا تقزز منه مادام سائراً مع فطرته مستجيباً لكيانه الأصيل .. ولأنه كريم عند الله استخلفه في هذه الأرض وسلطه على كل ما فيها وسخر له الأرض وما فيها وحسب حسابه في تصميم هذا الكون قبل أن يكون[2] . وسلم له زمام هذه الأرض وأطلق فيها يده ووكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل ، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات ، وتسخير هذا كله في المهمة التي

التربوي الإسلامي

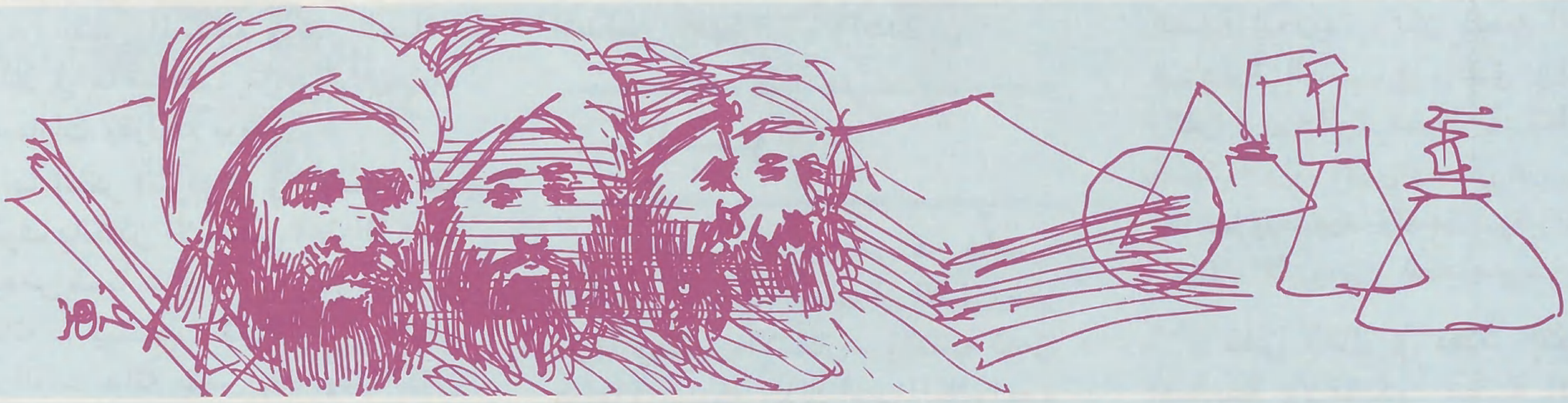

أوكلها الله إليه .. إنه سيد هذه الأرض ومن أجله خلق كل شيء ، ومهمته أن يكون خليفة الله في الأرض ..

إنّ لهذه النظرة الخاصة إلى الإنسان في الفكر التربوي تلازماً وثيقاً بينها وبين طبيعة النظام الإجتماعي الذي ينبثق منه والذي هو فرع من التفسير الشامل لهذا الوجود ولمركز الإنسان فيه ووظيفته وغاية وجوده الإنساني .. ونعتقد أن كل فكر تربوي لا يأخذ بعين الاعتبار هذا التفسير لن يعيش طويلاً وإن عاش فإنه لا يثمر إلا شقاء ..

٢ ـ الفاعليـة والإيجابيـة ..

ومادامت هذه مهمّة الإنسان : خلافة الله في الأرض ، كان عليه أن يستعمل طاقاته كلها فلا يهدر منها طاقة واحدة يمكن أن ينتفع بها في عمارة الأرض والخلافة عن الله بالتنقيب عن كنوزها والتعرف على رزق الله الواسع فيها واستغلال ذلك كله لترقية الحياة وتنميتها والوصول بها كل يوم إلى مستوى جديد ، وبالتعرف بعقله على أسرار الكون وقوانينه والتعرف على سنن الله في الكون المادي وفي حياة الإنسان واستغلال ذلك كله في تنظيم الحياة البشرية وتقويمها والسير بها على نهجها القويم[٣] .. كل ذلك بدل أن يصرف طاقاته العقلية في جدل عقيم واستفسارات لا طائل من ورائها إلّا الضياع والتمزق ـ لذلك سارع القرآن إلى توجيه المسلم إلى الطريق الصحيح ، فنهاه عن الخوض في ما يعجز العقل البشري عن إدراكه .. وتبقى للإنسان أسئلة هو في حاجة إلى سماع الجواب المقنع لها من مثل : **لماذا خُلقت ؟ وماهي الغاية من خلقي ؟** .. قد تكفّل القرآن بالإجابة عنها بإقناع منقطع النظير لينطلق المسلم بعدها مطمئناً يبغي البناء والتعمير .. وكان أن شارك الفكر التربوي الإسلامي في بناء حضارة لها طابعها الخاص وميزتها الخاصة أنقذت الإنسانية لفترة طويلة من الهلاك ، وأنجبت جهابذة شاركوا في ابتكار واكتشاف الكثير من المعطيات والنظم والقوانين الحضارية التي كانت بمثابة الأسس التي بنت عليها فيما بعد حضارات أخرى في مشارق الأرض ومغاربها ، وشاركوا بحق في بناء صرح الإنسانية ، فنجد في «**الرياضيات**» **محمد بن موسى الخوارزمي** الذي يعود إليه تأسيس علم الجبر وهو الذي تعمق في هذا العلم مدى أبعد من الإغريق .. وكذلك **البتّاني** الذي أدخل النسبة في علم المثلثات كما هي معروفة اليوم .. وكذلك **أبو الوفاء** الذي اكتشف معادلة لجمع الزّوايا .. **وفي الفيزياء** نجد **ابن الهيثم** الذي برز في علم البصريات ، **والبيروني** الذي اكتشف عن طريق التجربة عدداً من الجاذبيات المدودة .. **وفي الفلك** برز عدد من العلماء منهم **الفزاري** الذي أنشأ الاصطرلاب ، **وعمر الخيام** الذي صمم تقويماً جديداً هو التقويم الجلالي ، وكذلك **أبو معشر** الذي بحث بشكل دقيق في العلاقة بين المدّ والجزر وحركة القمر .. **وفي الكيمياء** برز **جابر بن حيان والرازي** ، **وأبو منصور موفق** وهو أول كيمياوي ميز بين كربونات الصوديوم وكربونات البوتاسيوم ، وفي **علم النبات** برز **أبو جعفر الغافقي وابن البيطار** ، **وفي الطب** تحصل المسلمون على تقدم عظيم فبرز **الزهراوي والرازي وعلي بن عيسى وعمار الموصلي**[٤] ..

٣ ـ الشمولية والتكامل ..

كان من أكبر الهفوات التي ارتكبها الفكر التربوي غير الإسلامي أنه آمن بالجانب المحسوس من الإنسان والحياة .. ومن ثم راحت النظم التي بُنيت على أساسه تهتم بكل محسوس على الأرض : الزراعة والصناعة والبناء والتشييد والإنتاج المادي على أوسع نطاق ، وتهتم بكل محسوس في الكيان البشري وأغفلت الجانب الروحي منه ، فأهملت الله والعقيدة وما يشع عن العقيدة من مثل وأخلاق ، **فكانت النتيجة أن استمتع الناس بحياتهم الأرضية أعظم استمتاع** ، واستفادوا بالتنظيمات من كل نوع ، ثم انهار المتاع كله نتيجة خواء الروح من الإيمان وخواء

خصائص الفكر التربوي الإسلامي

الحياة من العقيدة ، وانقلب المتاع السهل الحلو إلى تكالب على شهوات الأرض يقض المضجع ويكدر الحياة ، متمثلاً في ما نشاهده من دمار وحروب وانتحارات وفواجع يومية ..

أما الفكر التربوي في الإسلام فقد اعترف بالكائن الإنساني اعترافاً كاملاً لا يعض شيئاً من قيمته ولايهدر شيئاً من طاقاته .. يستجيب لحاجاته ومطالبه ، وفي الوقت ذاته يؤمن بما لهذا الكائن الروحي من مطالب ، وما يشتمل عليه من طاقات ، فيعطيه ما يطلبه من عقيدة ، ومثل وصعود وترفع ، ويجند طاقاته في إصلاح كيان النفس وإصلاح شرور المجتمع وإقامة الحق والعدل الأزليين[٦] ، فكان من نتائج هذا التكامل أن وجدت لدى الإنسان المسلم إحدى قوام الحياة الحقة على هذه الأرض وأساس بناء الإنسان الرباني تلك هي الإرادة والمسؤولية الفردية حتى يعرف الإنسان أنه قادر على أن يختار بين الخير والشر والحق والباطل ، وأن يمضي في موكب الحياة ويضع لبنات جديدة في ذلك الصرح الحضاري الإنساني ، وبدون هذه الإرادة والمسؤولية الفردية لا يكون الجزاء الدنيوي والأخروي بعد البعث والنشور . هذه المسؤولية قائمة على غاية : وهي الجزاء ثواباً وعقاباً ، وبدون هذا لا يستقيم عمل الإنسان ، ولا يحفظ في دائرة التقوى من شر الأهواء والمطامع ومن هنا تكون مسؤولية العمل على الإنسان ، فهو كسبُه وصنع يده .. فإذا اتجهت أمّة إلى الخير ، فتح الله لها طريقه ، وماذا اتجهت إلى الشر عاقبها عليه ، وما كتب لنا هو نتيجة عملنا إيماناً بالله أو انصرافاً عن الحق إلى الباطل[٧] ..

ولعلّ خاصية التكامل والشمول هذه هي التي دفعت بالمسلمين إلى طرق أبواب المعرفة بأنواعها ولم يقتصروا على علم دون آخر ، فبرز منهم عظماء في شتى مجالات المعرفة والعلوم كما رأينا .. ومن أبعاد خاصية الشمولية في الفكر التربوي الإسلامي العمل على تكوين دولة إسلامية ، واعتبار المسلمين كلهم كياناً واحداً ..

٤ ـ التوازن ..

إن خاصية التوازن هي غير خاصية التكامل والشمولية ، ذلك أن الأولى يظهر أثرها في نفس الإنسان ، والثانية تعمل عملها في سلوكه ، لذلك أفردنا لكل واحدة منهما نصيباً من القول آملين أن نوفيهما حقهما ..

إذا فشل الفكر التربوي غير الإسلامي في جلب السعادة والطمأنينة إلى الانسان ودفع به إلى بحار من القلق والضياع وأزعج النفس الإنسانية إزعاجاً لاحد له ، فلأنه انطلق في بداية أمره معتمداً على ما وصل إليه البحث العلمي المنقوص من أن **الإنسان جسم وعقل لا أكثر ولا أقل** .. فكان أن نما جانب من الإنسان واتسع ، وحشدت له كل القوى والإمكانات وهو جانب الجسد والعقل والمادة ، وأهمل الجانب الآخر جانب الروح والمعنويات وحجب ووصف بأنه غيب وخرافة ومجهول .. وكانت نتيجة ذلك أن قدّمت للإنسان أدوات المتعة والترف ، ويسرت له المظاهر الشابة الجديدة ، لكن نفسه أصبحت ظاهرة الصراع والقلق والتمزق والفراغ ، حائرة مضطربة تتطلع إلى السكينة وإلى الأمن وتسأل عن وجودها وهدفها ومصيرها وغدها .. يعبر عن ذلك الكاتب الأوروبي ـ شفيتسر ـ فيقول :

« **نحن نغالي في تقدير إنجازاتنا المادية ولا نُقدر أهمية العنصر الروحي في الحياة حق قدره .. إن الحضارة التي لا تنمو ألّا في النواحي المادية دون أن يواكب ذلك نمو متكافىء في ميدان الروح هي أشبه بسفينة اختلت قيادتها ، ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة التي ستقضي عليها ... ذلك أنّ الطابع الجوهري للحضارة لا يتحدد بإنجازاتها المادية والسياسية للشعوب وللإنسانية في مجموعها ، وليس العنصر الحاسم في تقويم الحضارة ما أنجزته من أعمال مادية ، بل يتوقف مصيرها على كون الفكر يسيطر على الأحداث أو لايسيطر** » ، لأجل ذلك حرص الفكر التربوي الإسلامي على التوازن وبذل فيه

■ خصائص التكامل والشمول في التربية الإسلامية هي التي دفعت بالمسلمين إلى طَرْقِ أبواب المعرفة بأنواعها ولم يقتصروا على علم دون آخر ■

■ الضوابط الأخلاقية هي التي تجعل أعمال الإنسان ليست غاية بحد ذاتها إنما هي طريق للوصول إلى الله وربط بين الدين والدنيا وذلك من أهم مقومات الانبعاث الحضاري ■

كل ما في الطاقة من جهد ، طريقته هي التوقيع على أوتار النفس كلها مجتمعة مترابطة في آن واحد ، وهو يدرك جيداً أنه ليس أمراً هيناً في الحقيقة ، إنما هو جهد جاهد يستغرق حياة الإنسان كلها ويشمل كلّ لحظة من لحظات هذه الحياة ، لكنه مع ذلك هدف يستحق كل ما يبذل فيه من جهد لأنه يحقق للإنسان في الأرض أقصى ما يستطيعه من سلام وسعادة وإنتاج في كلّ حقل من حقول الإنتاج المادي والمعنوي على السواء ..

■ جارودي :
الحضارة الغربية أتقنت الوسيلة وأضاعت الهدف ■

■ فـرويد :
التفسير الجنسي للسلوك الإنساني ■

٥ ـ الأخلاقيـــة ..

إنّ ربّانية الفكر التربوي الإسلامي مصدراً وتوجهاً تجعل الأخلاقية من أهم خصائصه على الإطلاق وركيزة أساسية في بناء الشخصية الإسلامية .. ذلك أنّ الأخلاق أو الالتزام الأخلاقي إذا أحاط بالإنسان دفعه إلى الطريق الصحيح والشريف ، وحماه من أخطار المعصية والخطيئة والفساد والانحلال والإباحية ، وجعله إنساناً قوياً قادراً على مواجهة كل خطر والوقوف في كل وجه كلّ عاصفة ..

والأخلاقية هذه تجعل أعمال المسلم ليست غاية في ذاتها ، إنما هي طريق للوصول إلى الله ، وكل عمل لا يراد به الوصول إلى الله هو عمل باطل وإن كان جميلاً في ظاهره .. إنه الربط بين ما هو دين وما هو دنيا وذلك من أهم مقومات الانبعاث الحضاري ، إذ بفضله استطاع الإسلام أن ينتشر على نصف المعمورة ، ويُحيي حضارات انقرضت مثل الحضارة الرومانية والبيزنطية واليونانية ليصهرها جميعاً في حضارة جديدة ذات طابع خاص : الحضارة الإسلامية[٧] .. وعندها لا يخاف الفكر الإسلامي من التفتح على علوم الآخرين وثقافاتهم ، ولا يخاف من تطور العلوم النووية والتكنولوجية وغيرها لأنها سوف لن تستخدم إلّا في صالح البشرية .

يقول الفيلسوف الفرنسي رجاء جارودي ـ :

«إذا لم تتخذ العلوم الإسلامية المنهاج نفسه الذي اتبعته العلوم الغربية بداية من القرن السادس عشر ، فليس ذلك راجعاً إلى نقص في العلوم الإسلامية ولكن لرفض المسلمين طرق بعض الفروع العلمية منفصلة عما يعتقده الإسلام هدفاً وتفسيراً للوجود»[٨] .

ويؤيد هذا القول ما ثبت من أن المسلمين تمكنوا من صنع البارود منذ العهد الأموي ، لكنهم لم يفكروا في استعماله في الحروب لأعتقادهم أن ذلك يتنافى مع عقيدة الإسلام .. أما حين يخلو الفكر التربوي من قيم العقيدة والأخلاق ، فإنه لن يكون إلّا جرياً وراء الحياة وأخطاء المجتمعات دون أن يكون له إطار يعرفه وهدف يحدده ، أو غاية يعمل لها .. يقول الكاتب **الأوروبي ـ جود ـ لقد وهبنا من العلم قوى لم يكن يحلم بها أجدادنا السابقون ولكننا نستخدمها بعقول الأطفال والمتوحشين ، وإنه لا شيء يسد الثغرة التي تفصل قدرتنا عن حكمتنا غير إحياء القيم الأخلاقية العليا ، وذلك بإحياء العقيدة الدينية في النفوس ، وإنّ المطلوب هو سد الثغرة بين العلم والأخلاق** .

الخاتمـــة ..

إنّ هذه الخاصيات التي يتميز بها الفكر التربوي الإسلامي هي التي مكّنت الحضارة الإسلامية من أن تقف شامخة متميزة ، ثابتة أمام مختلف التحديات عبر عصور طويلة ، حتى إذا تخلينا عنها لنجري وراء فضلات الحضارة الغربية في التربية وفي الاقتصاد وفي الاجتماع وفي السياسة ، أصبنا بشلل حضاري ، ورحنا في سبات لن نفيق منه حتى نطرد العدو من أنفسنا ، وصدق الحق تبارك وتعالى الذي يقول : **﴿ لَا يُغَيِّرُ اللَّهُ مابِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِم ﴾** .

هوامـــش ..

١ ـ إطار إسلامي للفكر المعاصر للأستاذ انور الجندي .
٢ ـ انظر «معركة التقاليد» للأستاذ محمد قطب .
٣ ـ انظر «منهج التربية الإسلامية» للأستاذ محمد قطب .
٤ ـ انظر «حول تشكيل العقل المسلم» للأستاذ عما الدين خليل وكذلك «نوابغ الفكر الإسلامي» للأستاذ انور الجندي .
٥ ـ انظر «منهج التربية الإسلامية» .
٦ ـ انظر «إطار إسلامي الفكر المعاصر» للأستاذ انور الجندي .
٧ ـ انظر «مبشرات الإسلام» للأستاذ رجاء جارودي .
٨ ـ المصدر السابق نفسه .

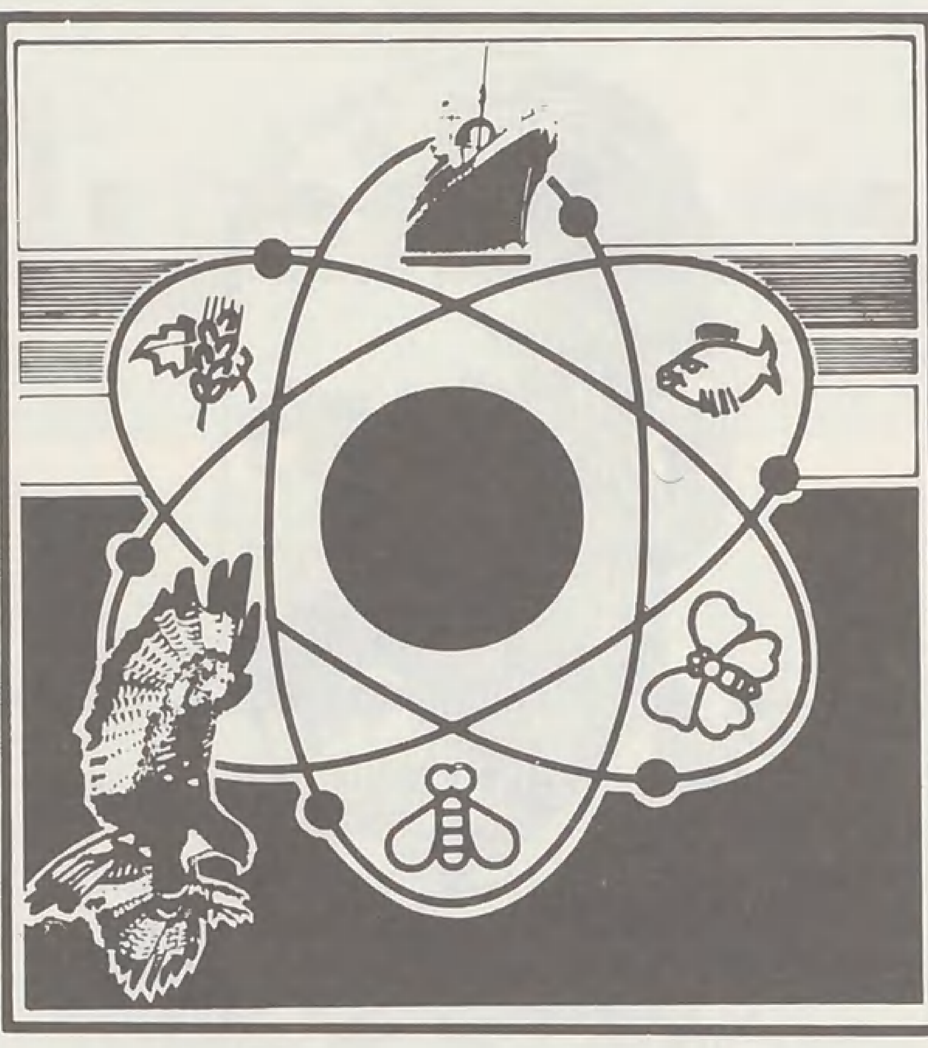

العلم والحياة

كلمة

●● في بريد القراء ـ العدد السابع والأربعين ـ من مجلة الأمة ، رسالة من الأخ القارىء خالد الغامدي تتعلق بسلسلة الحلقات التي نشرتها المجلة عن الصحراء ؛ يقول الغامدي : « ... بالرغم من أن أغلب المسلمين يعيشون في بيئات صحراوية إلّا أني أعتقد أن مثل هذه المقالات لا تثير انتباههم أو تشدهم لقراءتها » وهو يحبذ استبدالها بمقالات أخرى طبية أو تعريفية بكتاب أو نحوه .

لا ندري ما الوسيلة العلمية التي استخدمها الأخ الغامدي ليحكم بأن المقالات المتعلقة بالصحراء لا تثير انتباه المسلمين أو تشدهم لقراءتها ، اللهم إلّا أن يكون قد حكم على ذلك من خلال وجهة نظر ذاتية نحترمها .

على أية حال ، إن المقالات المتعلقة بالصحراء جاءت في إطار باب العلم والحياة ، الذي يتضمن عادة معلومات علمية وطبية شاملة ومتنوعة نرجو أن ترضي القراء .

ولم يكن اختيار مقالات الصحراء عبثاً أو عشوائياً ... وهذه فرصة لنطلع القارىء على سياستنا في هذا الباب بالذات ، إننا نهدف ـ من ضمن أهداف كثيرة ـ إلى ربط الإنسان بالبيئة ، وحياة الإنسان في بيئة معينة لا تعني أن يعرفها تماماً ، صحيح أن كثيراً من المسلمين يعيشون في بيئة صحراوية ، ولكن هل كلهم يعرفون الصحراء ؟ لا نعتقد ذلك .

إن اغتراب الإنسان عن بيئته المادية والاجتماعية هو إحدى سلبيات العصر الحديث ، أو الحضارة المعاصرة ، ذلك الاغتراب الذي يؤدي أحياناً إلى تدمير البيئة أو معاداتها ، فيعود ذلك على الإنسان أمراضاً نفسية مختلفة .

ولقد كان لفت انتباه الإنسان للبيئة أسلوباً متميزاً استخدمه القرآن الكريم لإيقاظ حواس الإنسان ونفض الركام عن فطرته السوية ، وتخليصه من سلبيات الاعتياد وألفة الأشياء . ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً . وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ... ﴾ .

يقول الدكتور فاروق الباز : « الصحراء العربية من أكبر الأماكن التي لا نعلم عنها شيئاً ، وهذا عيب في الجيولوجيين العرب ، فعلوم الأرض بدأت في أوروبا ، أي في بلدان لم تكن فيها صحراء ، لذلك لم يُكتب عن الصحراء شيء كثير » .

لذلك نعتقد أن ما كتبناه عن الصحراء شيء بسيط ، وذلك في إطار سياسة ربط الإنسان بالبيئة من جهة ، ولفت نظره إلى عجائب المخلوقات التي تشهد على وحدانية الخالق وقدرته جل وعلا من جهة أخرى . ●●

طب

مشكلة الدواء في العالم الثالث

لا تزال مشكلة تسويق الأدوية المصنوعة في الدول المتقدمة ، في أسواق العالم الثالث تثير الجدل ؛ بعض تلك الأدوية عديمة الفائدة ، وبعضها الآخر يحظر تداوله في الدول المنتجة نفسها ، وبعضها يسمح بتداوله ولكن بقيود . في دول شرقي آسيا مثلاً تنتشر العقاقير المنشطة للجنس والقائمة على أساس إطلاق الهرمون الذكري ، « التيستوستيرون » ، مع أن ٢٪ فقط من حالات العجز الجنسي هناك ترتبط بهذا الهرمون ، في أمريكا اللاتينية تنتشر أدوية الإسهال التي تحتوي على مضادات حيوية ، مع أن بريطانيا تمنع تلك الأدوية للأطفال دون الثانية عشرة ، كما تمنع دول أوروبية أخرى استعمال بعض تلك الأدوية لأنها تؤذي الجهاز العصبي .

في آسيا تنتشر « المسمِّنات » التي يستخدمها الرياضيون لتقوية أجسامهم وبناء عضلاتهم ، لمقاومة سوء التغذية ، بينما لا تصرف تلك المسمنات في بريطانيا إلّا بوصفة طبية ، ولعلاج أمراض العظام لدى الكبار ، أو في حالات فقر الدم ، أما إعطاؤها للصغار فقد يعوق نموهم ويحدث تغيرات جنسية في أجسامهم .

في أيار (مايو) الماضي قررت الجمعية العامة لمنظمة الصحة العالمية التحقيق في المسألة ، ولكن الولايات المتحدة عارضت المبادرة ، وامتنعت اليابان وألمانيا الغربية عن التصويت .

وكانت منظمة الصحة العالمية قد قررت عام ١٩٧٨م دراسة مشكلة أسعار الدواء ووضع ميثاق أخلاقي لتسويق الأدوية ، ولكن شركات الأدوية العالمية مدعومة من إدارة ريغان عارضت ذلك بشدة ، ولتمييع القضية أعلن الاتحاد العالمي لصانعي الأدوية ، ميثاقاً أخلاقياً تطوعياً للتسويق ، وذلك عام ١٩٨١م . ولكن الدول المستهلكة رفضت اعتبار ذلك بديلاً للميثاق العالمي الذي تنادي به منظمة الصحة العالمية .

هذا ويحمِّل الاتحاد العالمي لصانعي الدواء الأطباء المحليين مسؤولية سوء استخدام الأدوية ، ويقول : إن على الأجهزة الطبية في العالم الثالث أن تصف جيداً للمريض كيفية استخدام الأدوية ، وأن تضبط صرفها ... ومع أن في هذا قدراً كبيراً من الصحة إلّا أن الشركات المنتجة تستغل ضعف ضوابط استخدام وصرف الدواء في العالم الثالث لتوزيع أدويتها ؛ بل إن بعض تلك الشركات هددت حكومات العالم الثالث ، أنه في حالة تشديد الضوابط فسوف تمتنع عن توزيع بعض الأدوية الأساسية أو تسحب بعض التسهيلات ، هذا إضافة إلى أن بعض الأطباء والصيادلة في العالم الثالث يقاومون وضع تلك الضوابط حتى لا يفقدوا عمولاتهم .

في العام الماضي أحدثت بنغلاديش ضجة كبيرة عندما حظرت استخدام ألفٍ وسبعمائة دواء وسحبت قائمة بمائة وخمسين دواء ، وقائمة أخرى بمائة دواء لمختلف الأغراض ، منها : بعض المسكنات والفيتامينات . كما تنوي المكسيك حظر استخدام سبعمائة دواء .

هذا وسوف تعيد الدولتان النظر في أسعار الدواء ، فقد أظهرت الدراسات أن لا علاقة للأسعار بالتكلفة وإنما بالعرض والطلب ، وتبين أن الدواء الواحد يباع بأسعار مختلفة باختلاف البلدان .

زراعة

تكنولوجيا زراعة الأنسجة

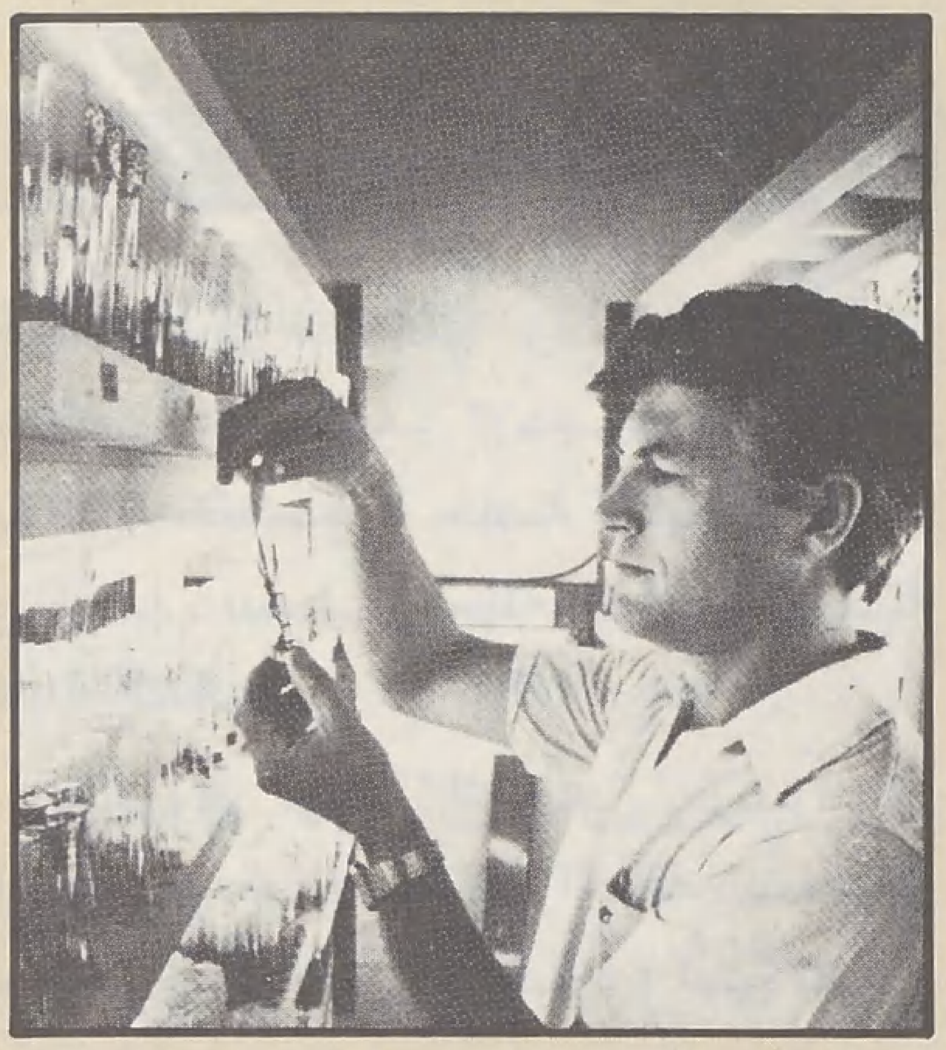

أصبح بالإمكان الآن إنتاج بعض المستحضرات النباتية في انابيب المختبرات ؛ وقد تم ذلك بفضل تقدم تكنولوجيا زراعة الأنسجة ، حيث تؤخذ شريحة من نسيج نباتي حي ، وتغمس في مغذيات تؤدي إلى نمو في الخلايا يعادل ملايين المرات النمو العادي ...

يقول « مايكل فاولر » من معهد « ولفسون » للبيوتكنولوجي في بريطانيا : « لقد وصلت تكنولوجيا زراعة الأنسجة درجة يمكن اعتبارها معاً بديلاً لطرق الإنتاج التقليدية » ، ويضيف « فاولر » بأن المحصول الذي تم إنتاجه في المختبرات من خمسين نوع من النباتات يعادل ، بل يزيد أحياناً ، عن المحصول الذي يستخلص من النباتات بالطرق التقليدية .

من تلك المحاصيل : «القنين» وهو مستخلص صيدلاني ضد الملاريا ويؤخذ من شجر «الكينا» ، وكذلك المورفين والكودايين ، وهما من المسكّنات التي تستخلص من شجر الخشخاش .

الحقيقة أنه لم يعد هناك محصول نباتي يستعصي على التحضير في المختبرات ؛ لقد بدأت شركتا « نستلة » و « هيرشي » التجارب على زراعة أنسجة الكاكاو ، كما بدأت شركة « بيوتيك » البلجيكية التجارب على استخلاص «البيرتروم» المستخدم في تحضير المبيدات الحشرية . ويشكل هذا المستحضر جزءاً هاماً من صادرات أقطار افريقيا الشرقية ، حيث يستخلص من نباتاتها .

كما أن محصول قصب السكر سوف يتعرض للتهديد إذا استمرت شركتا « تيت » و « ليل » في تجاربهما على استخلاص السكر بواسطة زراعة أنسجة شجرة «ثاوماتوكوكس» التي تنمو في ليبريا وغانا وماليزيا .

من مزايا استخلاص المنتجات النباتية في المختبرات ، كما يقول المختصون ، أنها توفر الفرصة لضبط الإنتاج والتحكم في النوعية ، والتحصين ضد الحشرات وسوء المناخ . العائق الوحيد حالياً أمام هذا الإنتاج : ارتفاع التكلفة ، وهو أمر عادي في بداية أي إنتاج ؛ ويرى الخبراء أن أي منتج نباتي تبلغ قيمته الف دولار للكيلوغرام الواحد ، يمكن استبداله بمنتج مختبري بكلفة أقل ..

هناك عوائق فنية لا تزال تعوق إنتاج بعض المحاصيل في المختبرات ؛ وتتمثل هذه العوائق في تهيئة البيئة الطبيعية لزراعة الأنسجة ، مثلاً : تشير تجارب «تيت» و «ليل» لإنتاج السكر في المختبر ، إلى أنه رغم نمو الأنسجة في المختبر إلَّا أنها أخفقت في إنتاج عنصر التحلية .

ويعتمد مدى النجاح أو الإخفاق في زراعة الأنسجة النباتية على مدىٰ تعقيد البنية النباتية ؛ وعادة ما يتحقق النجاح في الأنسجة التي تفرز العنصر المرغوب فيه في الوسط المختبري ، بينما يكون الإخفاق في الأنسجة التي تحتفظ بالعناصر المرغوب فيها في خلاياها .

لا تزال التجارب حتى الآن تتركز حول استخلاص المنتجات الصيدلانية بواسطة المختبرات ، ولكن في المستقبل سوف تتجه الأنظار إلى تحضير الأغذية أيضاً بواسطة تكنولوجيا زراعة الأنسجة ؛ ويتوقع بعض الخبراء أن تستوعب السوق العالمية ما قيمته (٣٠) بليون دولار من المنتجات الغذائية المستحضرة بواسطة زراعة الأنسجة مقابل ما قيمته تسعة بلايين دولار من المستحضرات الصيدلانية ، وذلك في السنوات العشر القادمة .

تكنولوجيا

القمر الصناعي العربي : متى ينطلق ؟

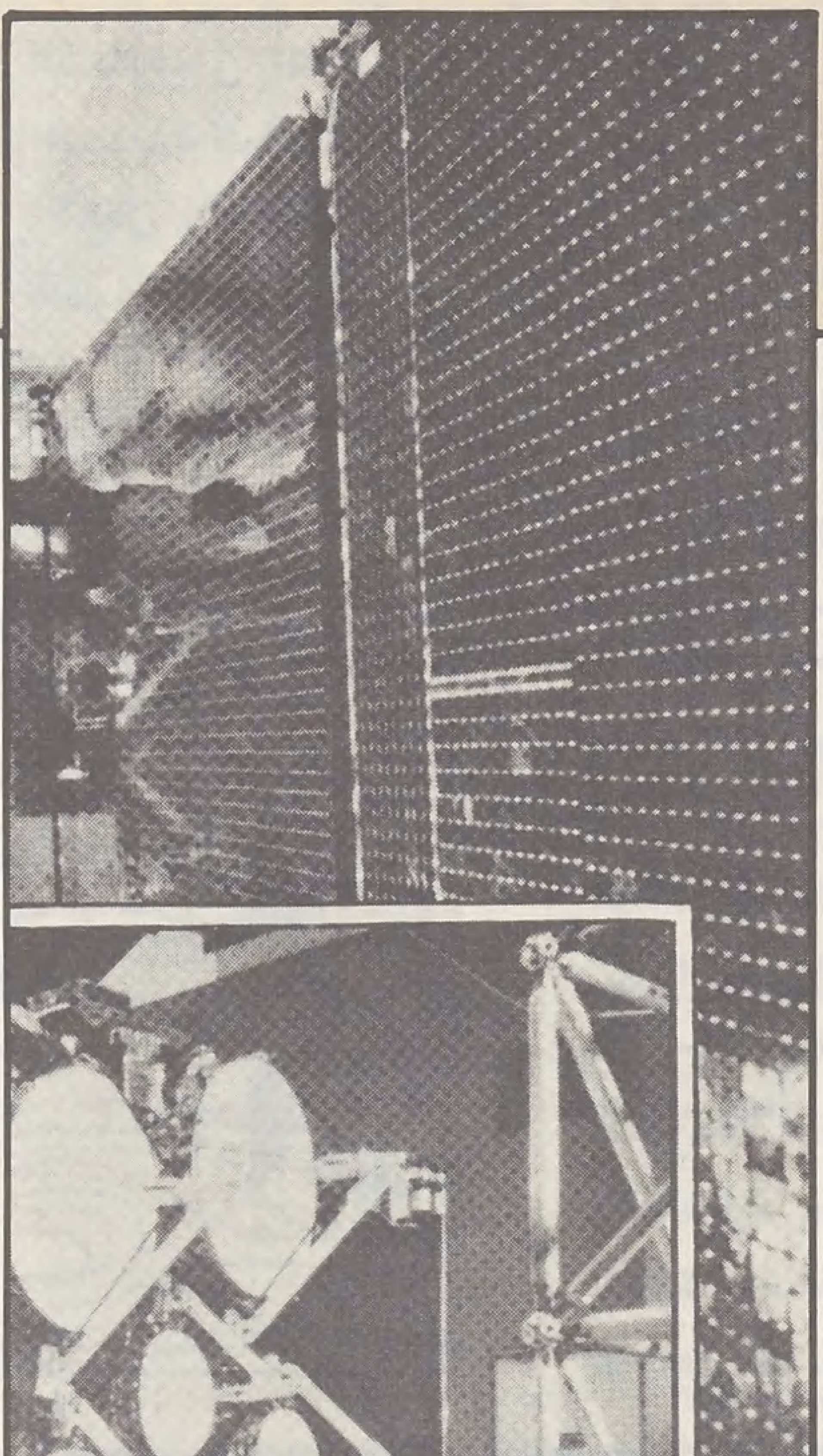

تأجل إطلاق القمر الصناعي العربي أكثر من مرة ، ولا يتوقع أن يتم إطلاقه في الموعد الجديد وهو مطلع نوفمبر من هذا العام ، ولا أحد يعرف السبب بالضبط !

المعروف أن القمر الصناعي العربي سيطلق في الفضاء بواسطة صاروخ «ايريانا» الأوروبي على ارتفاع (٢٢) ألف ميل فوق سطح الأرض ليغطي المنطقة من المحيط الأطلسي حتى المحيط الهندي ، ومن المتوسط إلى الصحراء والقرن الافريقي . ويحمل القمر (٢٥) « مستقبلاً مرسلاً » Transponder (راديو أو رادار لا يكاد يستقبل إشارة معينة حتى يرسل بدوره إشارة لاسلكية) توفر ثمانية آلاف دائرة هاتفية تعمل في وقت واحد ، وسبع قنوات تلفزيونية ، كما أنه سيسهل التبادل بين شبكات الكومبيوتر .

المعروف أيضاً أن هناك قمراً صناعياً عربياً آخر سوف يطلقه مكوك فضاء أمريكي بعد خمسة أشهر أخرىٰ .

هذا ويتطلب الاستغلال الأمثل للقمر الصناعي العربي إقامة محطات أرضية للاتصال به ، كما يتطلب تعاون عدد من المنظمات الدولية الاقليمية وشبه الإقليمية العربية ، مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، واتحاد الإذاعات العربية ، وغيرها .

ورغم أن عدداً من المحطات الأرضية المطلوبة لم يتم بناؤها أو اكتمالها بعد ، إلَّا أنه يمكن الاستفادة من القمر باستخدام الهوائيات المنقولة التي يمكن تصنيعها ونقلها وتشغيلها خلال شهور .

العلم والحياة

الجديد في الطاقة الشمسية

ترسل الشمس كل يوم من الأشعة ما يكفي لتوليد الطاقة اللازمة لتشغيل المصانع والبيوت على الأرض. وقد تمثل التحدي العلمي في استغلال كامل تلك الطاقة وتخزينها لاستخدامها عند الحاجة، والأهم من ذلك أن يتم الاستخدام بشكل اقتصادي يناسب الحياة اليومية.

كانت أهم الإنجازات في هذا المجال تصنيع الخلايا «الكهروبيضوئية» التي أصبحت في قلب كل نظام كهربائي يستخدم الطاقة الشمسية.

وكانت هذه الخلايا أكثر تكلفة وفعالية من خلايا السيليكون التقليدية، وقد مكنت الخلايا الجديدة الباحثين من تصنيع أجهزة متطورة تعمل بالطاقة الشمسية. ولكن قد تمضي سنوات قبل توليد الطاقة من هذه الخلايا بشكل اقتصادي. ولذلك فإن الباحثين يعكفون على تكييف الأجهزة التي تعمل بالطاقة الشمسية، خاصة أجهزة التبريد والتدفئة، لتعمل بواسطة الخلايا التقليدية قليلة التكاليف.

هذا وقد توصل الباحثون مؤخراً إلى أسلوب جديد لاستغلال الطاقة الشمسية بواسطة الخلايا «اللا متبلرة» التي تتكون من غشاء من السيليكون بسمك «ميكرون» (واحد على ألف من الملليمتر) يوضع على طبقة مرنة من الزجاج والبلاستيك.

هذه الخلايا رخيصة التكاليف لسببين: الأول أنها تحتاج إلى ٦٠٠/١ من السيليكون الذي تحتاجه الخلايا المتبلرة، كما أن الذرات تنتشر بشكل عشوائي وليس بنظام كما هي الحال في الخلايا المتبلرة.

من أجل زيادة فعالية الخلايا اللا متبلرة فإن الباحثين يحاولون وضع عدة طبقات من السيليكون، كل طبقة منها حساسة لأحد إشعاعات الطيف الشمسي.

حتى وقت قريب اقتصر استخدام الخلايا اللا متبلرة على الأجهزة التي تتطلب طاقة كبيرة، مثل الحاسبات والساعات. ولكنّ هناك أملاً كبيراً في استغلال هذه الخلايا لتوليد الطاقة اللازمة لتشغيل الأجهزة المنزلية، وكذلك لتخزين تلك الطاقة واستخدامها عند اللزوم.

لقد طورت شركة «سانيو» اليابانية جهاز راديو صغيراً جداً مزوداً بخلية لا متبلرة قادرة إذا تعرضت للشمس أربع ساعات، أن تسخن بطارية صغيرة داخله كافية لتشغيله (٢٦) ساعة.

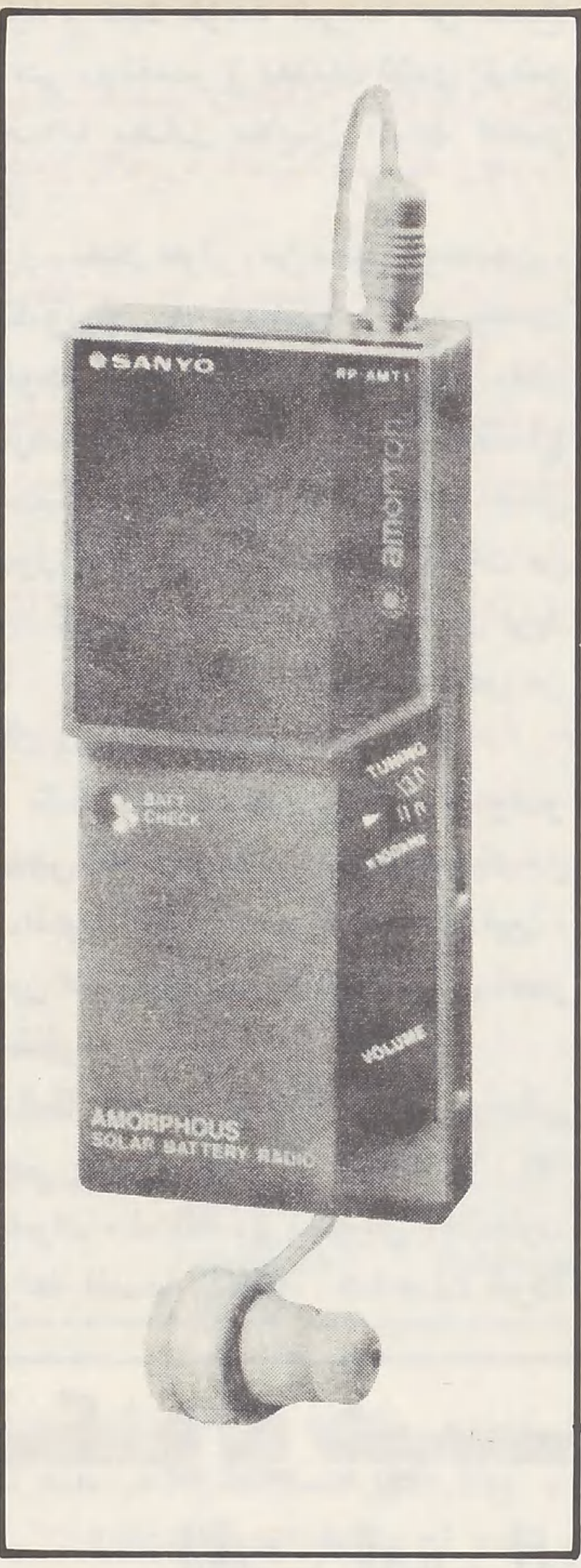

توليد الطاقة من الرياح

تعمل الصين الآن على استغلال الرياح لتوليد الطاقة ضمن برنامجها التحديثي؛ وقد عقد مؤتمر في بكين مؤخراً حول استغلال الرياح لتوليد الطاقة خاصة في المناطق النائية التي لم تصلها الكهرباء بعد، وقد أظهرت إحدى الدراسات أن لدى الصين (١٦) بليون كيلو واط كهرباء يمكن توليدها من الرياح، وكانت الصين قد بدأت منذ سنوات بتبادل المعلومات الأكاديمية والفنية مع استراليا والولايات المتحدة والدانمارك حول الموضوع، كما دخلت في مفاوضات مع الشركات العالمية لتقديم التكنولوجيا والمعدات اللازمة، أما التنفيذ فقد بدأ منذ العام الماضي.

توليد الحرارة من المجاري

تُجري السويد تجارب على طريقة لتوليد الحرارة من المجاري بهدف تقليص الاعتماد على النفط. وقد بدأت التجارب ببناء محطتين لهذا الغرض في مدينة «أوريبرو» لتوفير التدفئة لـ (٩٠) ألف شخص.

وقود من الرمل والزيت ونشارة الخشب

توصل فريق من العلماء البريطانيين إلى طريقة لتصنيع وقود من الرمل والزيت النباتي ونشارة الخشب، يعادل وقود الفحم ولكنه أرخص منه؛ يصنع الوقود بمزج عناصر كيماوية تولد الحرارة مع نفايات الخشب والرمل، مما يؤدي إلى إشعاع حراري.

أراك على الأفق .. شمس اخضرار ..!

إلى
رسول الحب
والأخوة
والحرية
والمساوة
محمد ﷺ

أرَاكَ بِصَمْتِ الزَّمَانِ الكَئِيبْ وَبَغْي الظَّلَامِ ، وَعَصْفِ الخُطُوبْ .. !
وَعُقْمِ الحياةِ ، وخِصْبِ الفَنَاءِ وَجَدْبِ الحقولِ ، ومَوْتِ القُلُوبْ .. !
أرَاكَ .. أرَاكَ بِدَمْعِ اليَتِيمِ وَذُلِّ الأسِيرِ ، وَحُزْنِ الغَرِيبْ .. !
أرَاكَ عَلَىٰ الأفقِ .. نَهْرَ ضِياءٍ يُبَشِّرُنا بالصَّباحِ القَرِيبْ .. !!

◆◆◆

أرَاكَ عَلَىٰ الأفقِ .. شَمْسَ اخْضِرارٍ تُرَفْرِفُ فَوْقَ القُرَىٰ والدُّرُوبْ .. !
تُذِيبُ جِبالَ الأسَىٰ والهُمُومِ حَدَائِقَ ضَوْءٍ بِسَفْحٍ خَصِيبْ
أرَاكَ تُفَجِّرُ صَخْرَ الدُّجَىٰ لِيَنْسابَ نَبْعُ الضِّياءِ الحبِيبْ
وَتَنْحتُ في لَيْلِهِ الوَثَنِيِّ مَآذِنَ تَطْوِي الظَّلَامَ الرَّهِيبْ .. !

◆◆◆

أرَاكَ بِصَمْتِ الزَّمانِ الكَئِيبِ تَشُقُّ الظَّلَامَ ، وَتَطْوي الغيوبْ
بِعُقْمِ الصَّحارىٰ تَعُودُ اخْضِراراً يُطارِدُ قَحْطَ الزَّمانِ الجَدِيبْ
تُغَنِّي الطُّيورُ ، وَتَشْدُو السَّواقي وَتَنْسَىٰ لَيالي الأسَىٰ والشُّحوبْ
بِلَيْلِ اليَتامَىٰ تَعُودُ نهاراً وَشَمْساً بِأعْماقِهِمْ لا تَغِيبْ .. !

◆◆◆

وَسَبْعَ سَنابِلَ خُضْرٍ .. تَعُودُ فَتَشْدُو الحُقولُ .. وَتَشْدُو القُلوبْ
وَتَهْرُبُ سَبْعُ عِجافٌ وَيَمْضي عَنِ الأفقِ نَوْحُ الرَّدَىٰ والنَّعِيبْ
أرَاكَ فَيُورِقُ لَيْلُ الذُّبُولِ جَداوِلَ ضَوْءٍ .. يُذِيبُ الغُروبْ
وَيَوْمَ يَعُودُ إلَيْنا هُداكَ فَكُلُّ المَعالي .. إلَيْنا تَؤُوبْ .. !!
تَعُودُ إلَيْنا بِشَرْعِ الإلَٰهِ وَلَيْسَ سِواهُ لَنا مِنْ طَبِيبْ
تَعُودُ إلَيْنا بِألْفِ « صَلاح يُمَزِّقُ لَيْلَ الرَّدَىٰ وَالخُطوبْ
« أذاناً » تَعودُ .. وَنَصْراً .. وَقُدْساً وَشَمْساً تُعِيدُ النَّهارَ السَّلِيبْ

◆◆◆

يَارَبِّ إنَّا ضَياعٌ كَئِيبٌ وَنُورُكَ مِنَّا قَرِيبٌ قَرِيبْ ..
وَيارَبِّ إنَّا بِهٰذا الزَّمانِ ضَحايا لِمَنْطِقِ ظُلْمٍ عَصِيبْ
وَإنِّي أرَاكَ عَلَىٰ أُفْقِنا تَشُقُّ الظَّلَامَ وَتَطْوِي الغُيُوبْ
وَتَرْفَعُ مِئْذَنَةً في السَّماءِ بَشِيرَ الخَلاصِ لِكُلِّ الشُّعوبْ

شعر : سعد دعبيس

الإعلام في الدول غير الإسلامية

دراسة تطبيقية عن إثيوبيا

رسالة دكتوراه في فلسفة الإعلام الإسلامي قدمها الباحث : مرعي مدكور - جامعة الأزهر

عرض : أحمد زرزور

■■ يستعرض الباحث في مقدمة بحثه مصطلحات الإعلام ، الدعوة ، الدعاية ، مبيناً أن الصحوة الإسلامية المعاصرة تحتم الأخذ في الاعتبار تطورات العصر كافة والوقوف على منجزاته والاستفادة من الإعلام الحديث ووسائله لنشر الدعوة الإسلامية من حيث كونه إعلاماً غير مباشر يصل إلى الجماهير العريضة ويتم في سرعة مذهلة ، ويذكرنا - في هذا الخصوص - بان الرسول الكريم ﷺ استخدم منجزات عصره من إرسال الوفود أو الرسائل الشخصية أو القدوة الحسنة لنشر الدين ، ومن ثم وجب على القائمين باجهزة الدعوة الا يتجاهلوا ادوات الإعلام الحديثة ، أما مصطلح الدعاية فقد تعرض على يد وزير الدعاية الألماني « جوبلز » إلى كراهة استعماله حيث ارتبط بالهذيان والتعصب والكذب وإثارة القلق والقلاقل اثناء الحرب العالمية الثانية ، رغم انه مصطلح قديم ورد في القرآن الكريم وفي رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والحكام عندما دعاهم إلى الإسلام مثلما حدث في واحدة من الرسائل المتبادلة بينه وبين النجاشي ملك الحبشة ، وقد فُضّل لذلك مصطلح « الدعوة » ، ولكن هذا المصطلح اقتصر عند بعضهم على « الخطابة » ، و « الوعظ » القولي فقط بدلاً من ان تكون برنامجاً متكاملاً يضم كل المعارف التي يحتاج إليها الناس ليتبصروا الغاية من وجودهم وياخذ بالوسائل المتاحة في عصره لتوصيل هذه الغاية المعرفية لكل الناس ، ولذا ادخل مصطلح « الإعلام الإسلامي » ، على اساس ان الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين راي صائب في واقعة ما لإحداث التجاوب مع الشخص المتصل به ، والمهم كما ينبهنا الباحث في استخدام الوسائل الاتصالية الحديثة من طباعة وراديو وفيديو هو كيفية هذا الاستخدام ضماناً لتحقيق انجح النتائج خدمة للإسلام واهله ■■

● الباب الأول - الإعلام الإسلامي الطباعي في البلاد غير الإسلامية : الأهداف - الوظائف ...

يتناول هذا الباب : الإعلام الإسلامي المكتوب في المواثيق الإسلامية منذ فجر التاريخ حتى الآن ، ثم يبين منهاجه في الدعوة لنشر الدين حالياً ومستقبلاً ، في الفصل الأول الخاص بالإعلام الطباعي الإسلامي وتطوره ، يخلص الباحث الدكتور مرعي مدكور بعد استعراض وسائل الاتصال في التاريخ الإسلامي الشفهية فالتدوينية فالطباعية الصحفية فالإذاعية ، إلى أهمية الاستفادة من وسائل الاتصال الجماهيرية خصوصاً الصحافة والصحافة الإسلامية حيث يبرز دورها الملح والأساسي في البلاد غير الإسلامية لكونها الوسيلة الحية لربط الأقليات الإسلامية بالمجتمع الإسلامي الكبير ، خصوصاً وقد كانت هناك تجارب كتابية خطية تمثلت في الدستور الإسلامي الأول الذي وضعه الرسول ﷺ بعد هجرته للمدينة المنورة والمعروف باسم « الصحيفة » ، إضافة إلى رسائله للملوك والحكام كما سبق القول ، وقد كانت الصحيفة دستور مؤاخاة ونظام حياة للدولة الإسلامية الأولى ، كما كانت بمثابة الإعلام المكتوب عنها والذي يقوي جبهتها ضد اي خروج او مساس بها .. ، كما استخدم الرسول ﷺ الإعلام المكتوب في البيان المعروف « ببيان البراءة » ، وقد اصدره في نهاية العام التاسع للهجرة واذاعه في يوم اجتماع العرب الأكبر « الحج الأكبر » ، حيث أعلن فيه أن مكة وحرمها وبيتها مكان إسلامي خالص لا يدخله مشرك ، وأن الحج صار حجاً إسلامياً بعد أن تطهرت مكة من الأصنام ، كما ان القرآن الكريم هو رسالة إعلامية متجددة تحمل في طياتها كل عوامل الاستمرار والتجدد ، وقد ازدهر الإعلام الإسلامي المكتوب بازدهار الدعوة وشمولية افقها مما ادى إلى إنشاء « ديوان الرسائل » ، وهكذا استمرت حركة الكتابة التدوينية إلى ان ظهرت المطبعة إبان الغزو الفرنسي للشرق العربي ، فانتشرت الصحف والكتب والمجلات الإسلامية « كالعروة الوثقى » ، عام ١٣٠١هـ وام القرى عام ١٣١٦هـ وكذلك النشرات الدورية وغير الدورية ...

اما الإعلام الإسلامي الطباعي في البلاد غير الإسلامية فيتمثل في صحيفة العروة الوثقى الصادرة بباريس عام ١٣٠١هـ وكان يديرها « الأفغاني » ، وتعتبر علامة بارزة في تاريخ الصحافة الإسلامية ، أما حالياً فالصحافة الإسلامية في البلاد غير الإسلامية فهي شبه

الإعلام الإسلامي والطباعي الإسلامية في إفريقيا

نادرة في حين تتوفر المطبوعات الأخرى المضادة ، والمنتظر الآن إنشاء صحف ومجلات شهرية وأسبوعية بعدة لغات تصدر في البلاد الإسلامية وتوزع في البلاد غير الإسلامية لتكون وسائل اتصال جيدة وصادقة وفعالة تربط المسلمين بدينهم ...

ويحدد الباحث أهداف الإعلام الإسلامي بهدفين : أولهما : **هدف تنسيقي تركيبي وهو العمل على تماسك الأمة الإسلامية والالتزام بالقيم الإسلامية ، وثانيهما : هدف انتقائي توجيهي وهو إلقاء الضوء على كل جديد وتقويمه بمعايير الإسلام وعلى هدي مبادئه ، وذلك استناداً إلى مهامه الجسيمة في بعث الفكر الإسلامي الصحيح وبناء الثقافة العربية الإسلامية والربط بين الدين والعلم وبين الدين والأخلاق وبين الدين ومعطيات الحضارة الحديثة كافة ...**

أما المنهاج الصائب للإعلام الإسلامي الحديث الناجح فيتمثل في حُسن اختيار رجاله سلوكاً وأخلاقاً ، فالدعوة إلى الإسلام - حتى في هذا العصر المتوتر - تكون بعرض ثمار الإسلام في الأخلاق والأحوال ، أو باختصار : هو الإيمان المطلق بعدالة قضية هذا الإعلام ، والالتزام الصادق بالدور المنوط به ، ثم العمل المخلص من أجل تحقيق هذه الأهداف النبيلة ..

● الباب الثاني - تحديات الإعلام الإسلامي في البلاد غير الإسلامية بأفريقيا :

يتحدث الباحث عن معوقات الاتصال ، وعن صعوبة تغيير الاتجاهات ، ممهداً لذلك بالإشارة إلى احتكار الإعلام الدولي الذي يستهدف تشويه الشخصية الإسلامية عند المسلمين وغيرهم وتفريغ مجتمعنا من الداخل تمهيداً لملئه بما يريد ، فنعود إلى وهدة التبعية ، وتتمثل هذه النزعة الاحتكارية الخبيثة فيما تبثه الوكالات والصحف والإذاعات والاقمار الصناعية من حملات دعائية مكثفة لتمزيق الشمل الإسلامي وصرف الأنظار عن الصحوة الإسلامية داخل الأقطار العربية والإسلامية وغيرها ..

كما أن التعدد اللغوي المتشعب والمعقد في أفريقيا خاصة يشكل عائقاً أمام وصول هذا الإعلام الإسلامي إلى هدفه ، ذلك أن اللغة هي المدخل الطبيعي لفهم كيفية التأثير ومعوقات الاتصال والتغلب عليها لتغيير الاتجاهات وخلق الجو الملائم لانتشار الدعوة وتدعيمها ، وهي مهمة عند دراسة الأجناس الافريقية بالذات لفهم المعتقدات والطقوس الراسخة لديها ، وليست اللغة المكتوبة وحدها هي السبيل لإقامة تفاهم مشترك بين أبناء أفريقيا فهناك الطبول والرقص والنار واللهجات المختلفة ، والمهم هو معرفة وسيلة الاتصال الذي عن طريقه نتمكن من معرفة الوسط أو الوجود - على حد قول الباحث - الذي أنتج هذا النوع من الاتصال المعرفي ، وحينئذ يتم توظيف هذه الوسائل في خدمة السلوك الاتصالي ..

ولان اللغة هي الأهم واكثر وسائل الاتصال شيوعاً كعامل وكحامل للثقافة وكوسيلة للتفاهم ، فهي ضرورية لفهم الاتصال عبر افريقيا المغلقة ، وبداية لوضوح الهوية الثقافية للجماعات المتعددة بها ، وللخروج من مازق التعدد اللغوي المذهل في افريقيا - حيث تزيد اللغات الأصلية والأوروبية عن الفي لغة ، فعلى الإعلام الإسلامي ان يرتكز على الطباعة كوسيلة للإعلام عن الدين بلغة سهلة مبسطة عربية وكذلك باللغة المحلية في المنطقة المراد مخاطبتها ، وقبل أن نبدأ بإصدار هذه المطبوعات علينا ان نقف على معرفة التراث « والفولكلور » الافريقي ووجهة نظر الافريقي تجاه العربي حيث الارتباط الكبير والوثيق بين العروبة والإسلام ، وذلك لمعرفة الصورة الشائعة لدى مستقبل الرسالة الإعلامية عن الإسلام ..

كما ياتي الجوع في افريقيا ليقف عائقاً امام الدعوة الإسلامية حيث الوضع السيء لشعوب القارة وارتباطها تبعاً لذلك بقوى خارجية لها اهدافها وراء المنح والمساعدات التي تقدمها ، ومن ثم وجب اخذ هذا الأمر في اعتبار العالم الإسلامي حيث تسعى اجهزة عديدة لتوظيف الفقراء خصوصاً « اللاجئين » لصالحها وخدمة اهدافها ، كما يتسبب الجوع والفقر او يرتبط في الوقت نفسه بالحروب والصراعات الكثيرة الناتجة عن الحروب التي اصطنعها المستعمر لتفصل بين ابناء الجنس الواحد .. كل هذا جعل افريقيا منطقة متعددة الاتصال لغياب الاستقرار ..

ويستعرض الباحث الجهود المشبوهة لتغيير الاتجاهات في أفريقيا عن طريق الاستغلال الخبيث لأزمة الجوع ، لينتهي بنا إلى ضرورة تمهيد جو من الأمان ولقمة الخبز للذين نقدم لهم الإعلام الديني الإسلامي ...

ولا تنتهي العقبات الناتئة أمام الدعوة الإسلامية ، حيث يسعى الإعلام الأجنبي المغرض إلى مقاومة الإسلام في أفريقيا بإشاعة التصورات غير الصحيحة عنه - وذلك من خلال حركات التنصير ، ومنع القيادات والمثقفين الإسلاميين من الوصول إلى مراكز المسؤولية ، وتقديم الإسلام على أنه علامة تخلف وتعبير عن عدم التحديث والتقدم ، وخلق هوة حقيقية بين العالم الإسلامي العربي في شمالي الصحراء الافريقية وبين العالم الإسلامي الأسود في منطقة جنوبي الصحراء ، ويبقى على المسلمين إذن أن يكشفوا هذا الزيف ويبرزوا الوجه الصحيح للدين الإسلامي ويقفوا أمام حركات التشويه الانحرافية وقفة دحض جسورة !

■ البؤس والجوع هما سبيل التنصير والاستعمار في أفريقيا ■

رسائل جامعية

الإعلام الإسلامي والطباعي
في الدول غير الإسلامية في إفريقيا

● **الباب الثالث ـ الاتصال في مجال الإعلام في الخارج:**

ويتناول ـ كما يحدد الباحث ـ قضايا الاتصال الإسلامي، فيركز على القائم بالاتصال في مجال الإعلام، والاتصال في إطار المنظمات والهيئات والجامعات والمعاهد الإسلامية، وبيان أثر هذه الهيئات والمنظمات على الإعلام الإسلامي في البلاد غير الإسلامية ودور التضامن الإسلامي في إيجاد صيغ للتعاون مع المسلمين في تلك البلاد، فأمام الاهتمام بالتسلح، والتوترات والانقلابات في الدول الفقيرة، **يجب أن يكون الإعلام الإسلامي مرتبطاً بتكافل إسلامي يتمثل في العمل على تنمية شاملة لهذه البلدان الفقيرة لإبعادها عن شبح الاستعمار الخفي الذي يحوم حول ووراء منح المساعدات** المشروطة من جانب الدول الكبرى...

دراسة تطبيقية عن أثيوبيا

ونتتبع مع الدكتور مذكور الوجود الإسلامي في أثيوبيا منذ الاتصال الإسلامي الأول والذي تمثل في الهجرات الإسلامية إليها خصوصاً عندما امر الرسول ﷺ اصحابه بالهجرة إلى الحبشة عندما اشتد إيذاء قريش لهم، ثم هاجر بعد ذلك بعض الصحابة المسلمين ـ فيما سمي بالهجرة الثانية ـ **وقد احسن النجاشي وفادتهم، وذلك لما لمسه من صدق منطق جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه الذي شرح للنجاشي ما خفي عنه من امور الإسلام** والأسباب الوجيهة التي من أجلها اضطر هو وإخوانه إلى المجيء إلى الحبشة رغبة في جواره وأملاً في عدله...

ثم كانت الخطوة الإعلامية الثانية للاتصال بالحبشة عندما أرسل النبي ﷺ إلى النجاشي رسائله المتبادلة معه للتعريف بالإسلام في هذه البلاد ـ وتعتبر هذه الرسائل أول رسالة إسلامية إلى ما وراء البحار، وقد استقرت العلاقات الطيبة بين الأحباش والمسلمين فترة طويلة إلى أن اضطر **الخليفة عمر بن الخطاب** إلى إيفاد حملة لتأديب بعض القراصنة الأحباش، ولم تفلح هذه الحملة إلى أن أيقن الأمويون فداحة خطر القراصنة فجهزوا حملة كبيرة احتلت جزيرة «**دهلك**» وفرقت شمل القراصنة، وكانت هذه الجزيرة والموانىء القريبة منها على البحر الأحمر كـ«**مصوع**» وغيرها مراكز للحضارة الإسلامية، وبهذا صار البحر الأحمر ليس فقط لنزوح الشعوب ولا لتبادل التجارة، ولكن معبر أفكار وعقائد وتشييد جسور إلى أفريقيا..، وأصبحت «**دهلك**» نظراً لهجرة الفقهاء والشعراء والسياسيين المغضوب عليهم وكذلك من يطلبون الأمان لأنفسهم من بني أمية والعلويين بعد انتقال الحكم إلى العباسيين ـ أصبحت مركزاً لتعليم الفقه والدين ووفد إليها الطلاب من مختلف أنحاء شمالي أفريقيا، ثم كان ذلك الانتشار الإسلامي الساحق من خلال الشبكة الواسعة من طرق القوافل التجارية الإسلامية بعد أن أعطى هؤلاء التجار القدوة والمثل والسلوك الإسلامي النظيف، بالإضافة إلى نشر الأدب الديني والتاريخي الذي كان نتاج زعماء الطرق الدينية المختلفة من «**الأوراد والاذكار**»!

وكان من الطبيعي أن تهب الكنيسة النصرانية الأثيوبية لمواجهة الخطر الجديد، وقد دخلت في صراع سافر مع الإسلام على امتداد التاريخ حتى وقتنا الحالي، ومع ذلك فالإسلام يواصل تألقه المدهش بمبادئه الرائعة من الإخاء والمساواة والتسامح، الأمر الذي جعل الغربيين يقولون بأن العصر التاريخي لأفريقيا السوداء لم يبدأ إلا منذ ظهور الإسلام حيث تقدم السود وتطوروا وبلغوا شأناً كبيراً في المدنية...

ويستعرض الباحث الانتصارات الكبيرة للإسلام في فترات مختلفة في الحبشة خصوصاً تلك الفترة التي أسلم فيها أحد أباطرة الدولة وهو **الامبراطور «ليج ياسو»** الذي لم يسلم من مؤامرات الكنيسة والقبائل النصرانية حتى سقط صريع دسائسهم ومؤامراتهم..!

● **الإسلام في أثيوبيا في الوقت الحاضر:**

كانت أثيوبيا في العهد البائد إبان حكم هيلاسلاسي تعلن أن النصرانية هي دينها الرسمي، أو بالأصح هي دين البلاط الملكي، فكانت الكنيسة بتسلطها والامبراطور هيلاسلاسي بقبضته الشديدة على البلاد يشكلان وضعاً باهظ القهر والتعسف والتعصب على المسلمين الذين طالبوا بتحسين أحوالهم الاجتماعية والسياسية والتعليمية، ووضع حد لسياسة الباب المقفل ضدهم في المدارس والجامعات والوظائف، وناشدوا الدولة مراعاة حقوق المواطنة، إلى أن قامت الثورة الأثيوبية عام ١٩٧٤م فاستبشر المسلمون خيراً، حيث تقررت المساواة بين المواطنين والاعتراف بالأعياد الدينية لكل ذي ديانة، وبهذا تحولت الدولة الأثيوبية الجديدة من دولة نصرانية مطلقة إلى دولة جميع الأديان والأجناس واللغات، الأمر الذي جعل اريتريا تطالب بحقها الشرعي في الاستقلال، غير أن النظام الجديد رفض هذا الأمر معتبراً إياه تمرداً، وأن المهادنة معه ستفتح أبواباً جديدة لحركات انفصالية، هذا وقد حصر الباحث القبائل ذات الكثافة السكانية الإسلامية في قبائل «جبرت، عاد شيخ، بنو عامر، بيت اسجيد، حبّاب، عاد تكليس، عاد تماريام، وقبائل منسا، وبيت جوك، وقبائل بيلين والبوغوص، وماريا» كما توجد قبائل أريترية إسلامية مثل قبائل سمهر، وعاد سورا، وعاد معلم، وبيت مالا، وسيدرات عند الحدود السودانية، وقبائل الجزر المحاذية لساحل البحر الأحمر، وفي جزر دهلك..، وكذلك قبائل سيداما في الجنوب الأثيوبي، ثم أخيراً قبائل الجالا وينتشرون في جميع أثيوبيا حول المرتفعات..

ويستوقفنا سؤال هام حول أهمية التوقف عند اريتريا في سياق الحديث عن الإسلام في أثيوبيا، ولماذا يطيل الباحث الوقوف عندها؟

يجيب عن ذلك بأن **أريتريا كانت ولا تزال مدخل الهجرات العربية إلى القارة الافريقية ابتداءً من الهجرات الإسلامية القديمة في عهد الرسول ﷺ، كما تعتبر جزر أريتريا بمثابة الوطن الآخر للعرب خارج أرضهم العربية ـ على حد قول الدكتور مذكور ـ** مما جعل الصلة العربية الأريترية واضحة ومتأصلة؛ الأمر الذي جعل الشواطىء الأريترية في العصور الوسطى نتيجة لهذه الصلة تعرف باسم «**بلاط الطراز الإسلامي**».

● **الإعلام الإسلامي الطباعي في أثيوبيا:**

ويتناول الباحث تحت هذا العنوان الإعلام الإسلامي الطباعي في مبحثين: **المبحث الأول** حول الإعلام الإسلامي الطباعي في أثيوبيا،

■ اللغة هي المدخل الطبيعي لفهم كيفية التأثير ومعوقات الاتصال والتغلب عليها،لتغيير الاتجاهات وإيجاد الجو الملائم لانتشار الدعوة وتدعيمها ■

والمبحث الثاني حول الإعلام الإسلامي الطباعي في اريتريا ...

وقد خلص بعد استعراضه للمبحث الأول حول الإعلام الإسلامي الطباعي بأثيوبيا إلى هذه الحقائق التالية :

* **أولاً** : احتلت القضايا السياسية المقام الأول في اهتمام الصحف الأثيوبية خاصة القضايا الداخلية الخاصة بوضع النظام الحاكم ومؤسساته .

* **ثانياً** : الاهتمام بالقضايا الاقتصادية ..

* **ثالثاً** : أما القضايا الدينية فلم تحظ بأي اهتمام ! وذلك سواء أكانت إسلامية أو نصرانية ...

أما فيما يختص بدراسة الإعلام الإسلامي الطباعي بأريتريا ، فقد انتهى الباحث بعد دراسة وتحليل الإعلام الطباعي الحديث الذي يبدأ تاريخياً منذ دخول إيطاليا أريتريا عام ١٨٩٠م وحتى بداية التوغل الأثيوبي فيها ، وبعد دراسة الإعلام الصادر عن حركات تحرير أثيوبيا إلى أن الصراعات المختلفة للقوى الجبهوية الأريترية قد استهلكت هذه القوى ، وأصبح الإعلام الطباعي الأريتري يحارب بعضه بعضاً ، وبذلك أصبح الإعلام الأريتري الذي يصدر خارج أريتريا غير مؤثر في حكومة أثيوبيا من الناحية الفعلية !

نتائج الدراسة ..

ويختتم الدكتور مرعي مدكور هذه الرحلة العلمية التوثيقية مع الإعلام الإسلامي الطباعي في البلاد غير الإسلامية [**ودراسته التطبيقية في أثيوبيا**] ، ببعض الاقتراحات الهامة نوجزها بما يلي :

● **تأسيس هيئة إسلامية للدعوة في الخارج بعيدة عن الارتباطات السياسية بحيث تتولى التنسيق والتوجيه والإشراف بين الجهات العربية والإسلامية كافة ، توحيداً لأجهزة الدعوة .**

● **التنسيق بين اجهزة الدعوة في كل دولة إسلامية او عربية بحيث تتوحد وتتوفر لها الإمكانات منعاً للتعدد والتشتت .**

● **رسم خريطة للإعلام الإسلامي في الخارج شاملة وضع المسلمين في الخارج والاماكن ذات اولوية التوجه ، وكذلك طرق الإعلام عن الإسلام بين أصحاب الديانات الأخرى ، ووضع غير الدينيين في العالم وانتماءاتهم والمؤثرات آلتي يستجيبون لها .**

● **إجراء دراسة ميدانية للأماكن التي ستوجه أليها الدعوة الإسلامية لمعرفة مشاكلها وثقافاتها واتجاهاتها وظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والواقع الذي تعيشه لربط الدين بحياة هذه الجماعات .**

● **الاخذ بمبدا التخصص في الإعلام الإسلامي ، وحسن اختيار القائم بالاتصال الإسلامي ومعرفته بظروف من سيخاطبهم التاريخية والثقافية والاقتصادية والسياسية .**

● **توطين القائم بالاتصال في المنطقة التي يدعو فيها إلى الإسلام لاكتساب الخبرة والتآلف معهم وفهم حقيقة المجتمع من حوله .**

● **التحرك الإعلامي داخل الإطار الوظيفي لإعطاء القدوة والمثل والسلوك الحسن وذلك باختيار العاملين في السفارات والقنصليات والمكاتب العربية والإسلامية الخارجية على اساس حبهم للعمل الإسلامي .**

● **التحرك الإعلامي الإسلامي وسط التجمعات الإسلامية وربط الجماهير بالمؤسسات الإسلامية بحيث يعودون إلى بلادهم وفي اعتبارهم انهم دعاة للإسلام وسط ذويهم واهلهم .**

● **الجمع بين الوسائل الإعلامية المختلفة الحديثة والتقليدية جنباً إلى جنب وتحميل هذه الوسائل الاتصالية المضمون الإسلامي .**

● **وضع كتب ورسائل مبسطة عن الإسلام باللغات الأجنبية وكذلك بالعربية او طبعها على شرائط تسجيل ، وتزويد الجاليات والمراكز الإسلامية واماكن التجمعات في الخارج بهذه المطبوعات ..**

● **دراسة إمكانية إصدار صحيفة يومية ومجلات اسبوعية وشهرية إسلامية بعدة لغات تصدر في يوم واحد بالعواصم العالمية بحيث تنسق هذه الصحافة جهودها وتتعاون في إبراز رسالتها وتتمتع باستقلالها التام عن المواقف والتيارات السياسية المختلفة ، وان تتسلح بالعلم والمعرفة لتتصدر الساحة الثقافية في جميع المجالات ...**

● **المساهمة في إنشاء « اوقاف » إسلامية على مستوى العالم الإسلامي تمول من اوقاف المسلمين وتضمن دخلاً ثابتاً يوجّه للمؤسسات الإسلامية في الخارج ..**

● **إنشاء مكاتب إسلامية في الخارج لمتابعة ما ينشر عن الإسلام في الكتب والدراسات والدوريات ووسائل الإعلام الاخرى كلها ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عنه ..**

● **مواجهة محاولات الاستقطاب الدولي ووضع حدّ للمواجهات بين الدول الإسلامية ، وتوحيد جهودها في العمل الإسلامي ، وكذلك العمل على إبراز كيانها المستقل والمتميز دولياً ..**

● **تبادل زيارات المفكرين المنصفين للإسلام والوقوف بجوارهم ضد موجة العداء الغربي ، وإبراز جهود علماء ومفكرين آمنوا بالإسلام مثل رجاء جارودي ، أو اقتنعوا به مثل : موريس بوكاي ، والفيلسوف السويسري دومينيك جوردان ، وغيرهم ...**

● **الاهتمام بالأقليات الإسلامية ومطالبة الدول بمعاملة هذه الأقليات معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، وربط هذه الاقليات بالمجتمع الإسلامي .**

● **إعادة النظر في مواثيق المنظمات الإسلامية لتحقيق التكامل الاقتصادي بمفهومه الإسلامي ، والالتزام باستراتيجية ثابتة بالنسبة للقضايا المشتركة بحيث يعضد التكامل الاقتصادي الإعلام الإسلامي من الجوانب جميعها ؛ ذلك ان الصحفي المسلم ـ كما يقول الباحث ـ داعية ومبلّغ وليس مجرد ناقل للأخبار او باحث عنها ، فهو بجانب وظيفته الاتصالية ، له ايضاً دوره القيادي والفكري في مجتمعه الإسلامي ، خاصة وان هذا المجتمع يتمتع بثروة بشرية تبلغ ربع سكان العالم ، وقوة مادية متميزة من حيث الموقع والمساحة الممتدة والثروات الهائلة ، بالإضافة إلى العقيدة الراسخة التي تخاطب العقول دون وسيط بين الإنسان وخالقه ..**

وهذه القوى المتعددة لا ينقصها سوى ان تعمل للإسلام فكراً وسلوكاً وعاطفة !..

تصورات أولية

بقلم : أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

■■ من ظاهرات الغزو الفكري الحيلة اللئيمة المحكمة في إشغال فكر المسلمين وتبديده تارة وتعطيله تارة.

وهذا التناغم الحاذق بين إيجابية الفكر المسلم وسلبيته هو مخطط التبشير النصراني والتدمير العلماني.

شبه وشكوك باسم العلم

لقد عبئت الجهود لتصدير الشبه والشكوك إلى الشرق مموهة بصيغ العلم والبحث عن الحقيقة تلتهب بإطار الإرهاب الفكري، لأنه يزعم - بالبناء للمجهول - أن هذه الشبه والشكوك حقائق علمية وافدة من مصدر معصوم، وهو العالم الأقوى الذي فجر الذرة وسبح فوق الجاذبية.

فمنجزات العلم المادي المعاينة هي سياط الإرهاب الفكري التي تقرع بعض العقول الخاملة في الشرق؛ لتذعن لصحة ما يروج لها من شكوك وشبه تنال العقيدة والكيان. وصاحب ذلك إحياء ركام الجهالة والضلال الذي أثقل التاريخ الإسلامي، فكان البحث في الفرق والنحل خير ما تزكيه الجامعات الأجنبية للوافد الشرقي.

واستهلكت الطاقة المشرقية بزخم ثقافي يعتبر في هامش حياة المسلم المتطلع وليس من صميم رسالته، كالإسهاب في الدراسات الأدبية والفنية، وشتى الأمور النظرية التي يرتفع بها من مجرد التسلية - كنص أدبي يحول إلى فيلم أو وقائع اجتماعية تسجل في رواية تبلغ مئات الصفحات - إلى تقنية فكرية صاخبة كالجدل البيزنطي في نظريات وقواعد الفن والأدب واللغة... الخ.

إشغال المسلم بفضول العلم والموضوعات الهامشية

والمشرقي يقاد إلى هذه الفروع لا على أنها ثانوية تكمل بها ثقافته، بل على أنها مجال تفكيره وعمله من بلوغ تمييزه إلى أن ينتهي أجل حياته في هذه الدنيا.

فكل هذه الوقائع ابتداء بالشبه والشكوك وانتهاء بفضول الفن والأدب هي الموضوعات الموجهة لإشغال فكر المسلمين وتبديده.

إلا أن لسبيل الله دعاة يقفون على قارعة الطريق مبشرين ومنذرين، ومن ثم تتحرك الحيلة اللئيمة الثانية لتعطيل فكر المسلم فتنطلق دعوى العالم الأقوى المحمومة منادية بأن الدين تابع لعقيدة غيبية، فلنحسن حياتنا بوسائل العلم الحديثة، ولا نحكمها بتصورات مغيبة لا يضرنا تجاهلها، فالإيمان بالله جل جلاله أو الكفر به سيان لا أثر لهما في صقل أو تجميد عبقرية العالم في مختبره، والمفكر في صومعته.

وبهذا تجسد الوعي بأن الدين مزاج فردي مع عزل الدين عن الحياة.

ووجد في الشرق المسلم قطيع من السائمة يقضي حياة دنيوية آلية، فالطبيب والمهندس والمزارع والأديب والفنان والمؤرخ.. إلخ: يهمه أن يخلص لفنه ويوظف له فكره وجهده مدى حياته وهو عامي أمي في عقيدته ودينه.

وإن فرص حياته تتيح له أن يستمتع بأغنية أو مشاهدة فيلم أو نزهة أو سياحة دون أن يجد حاجة إلى اهتبال شيءٍ من الفرص للتفقه في دينه والعمل به.

وبهذا مُني الشرق بالحرمان من إيجابيات عدد من مواهب أبنائه، لأنها عطلت عن عزائمها واستهلكت في وقائع هامشية.

وفي بداية هذا العقد من هذا القرن نعايش صحوة إسلامية كبيرة كريمة مباركة.

تصورات ينبغي تأكيدها وإبرازها

وسيكون من إيجابيات هذه الصحوة تجسيد هذه التصورات:

أولاً: إن عمر الإنسان ليس هو ما بين المهد واللحد، وإنما هذه المرحلة هي ظرف التكليف فحسب، وإنها جزء من الحياة الدنيا فقط. وأن هناك حياة أبدية بعد البعث.

ثانياً: إن حياة المسلم كلها لله، فإذا عمل لدنياه - وذلك من واجباته - فبنية العبادة لله والامتثال لشرعه.

ثالثاً: إن هدف المسلم في عمله الدنيوي أن يكون عضواً لإعداد القوة للأمة لا المساعدة في إغراقها بالمتعة.

وإنما تكون المتعة - بشرط البراءة والإباحة الشرعية - حالة استثنائية الهدف منها

■ لقد عبئت الجهود لتصدير الشبه والشكوك إلى الشرق، مموهةً بصيغ العلم والبحث عن الحقيقة ■

ترويح النفس لتستعد للواجب.

وإذن فالإنسان مسؤول عن تبديد فكره وعن تعطيله.

رابعاً : إن القضية الدينية ليست حرية إرادية ينصرف عنها الإنسان متى شاء، ويصطنعها استمزاجاً متى شاء.

ولكنها مطلب فكري حتمي تلح على العقل وتحرك نشاطه.

فصد الناس عن العقيدة تحطيم لإيجابيات الفكر وتعطيل لملكاته.

فإذا أخلص الفكر لهذا المطلب الفطري أصبحت العقيدة علما ضرورياً فوق كل العلوم الدنيوية الجادة، لأنها علم لعمارة الحياة الدنيا وعمارة حياة أبدية بعد الحياة الدنيا، وبهذا يرتبط العالم الدنيوي الجاد بدينه وحياته الأبدية دون أن يفقد شيئاً من جديته.

وبهذا يكون المثال الأعلى للعلم ماربط بين الحياتين (الدنيا، والآخرة).

خامساً : إن المعضلة في الإيمان بالحقيقة الدينية تنحصر في حقائق الغيب، وهي علم بذاته بغض النظر عن ربطها بين الحياتين، لأنها تعني وجود حقائق مغيبة عن حسِّ بني آدم.

وتكون معضلة لو حفنا على المنهج العلمي وطالبنا

بمعرفتها معرفة كيفية.

والواقع أن الإيمان بها علم بوجودها، بطريق اللزوم العقلي.

أما الإيمان بكيفيتها فهو تصديق المخبر عنها إذا صح الخبر عنه.

ولو كان الطموح إلى معرفة كيفيتها في هذه الدنيا لما كانت واقعاً مغيباً.

والعلم يؤمن بعدد من الحقائق المغيبة إيماناً بوجودها ومعرفة بآثارها، فإذا علم بكيفيتها أصبحت واقعاً مشهوداً.

سادساً : إن العلم الدنيوي الذي يقره الخبر الشرعي أو ينبثق من منهجه هو المثل الأعلى للمعرفة، لأن خبر خالق الحقيقة وهدايته أصدق من خبر وهداية من يحاول اكتشافها.

العقيدة أهم العلوم

ومن هذه التصورات الأولية نصبح على يقين بأن العقيدة أهم العلوم التي يجب أن تخدم في هذا العصر بشكل جدي في بداية هذه الصحوة المباركة، ويجب أن يكون الاهتمام بها من منطلقين.

١ ـ المنطلق الأول استخراج العقيدة من نصوص الشرع الصحيحة بعرض عصري جذاب، وفي هذا امتداد لمسيرة الإمام أحمد بن حنبل وسلفه من الصحابه والتابعين الذين اهتموا بتقرير الحقيقة الشرعية.

ونتائج هذا المنطلق هي ما يجب أن يدرس للناشئة والعامة.

٢ ـ والمنطلق الثاني تزييف الشبه المستجدة كشبه العلمانيين والوجوديين والصليبيين بقدرة علمية وثقافة عالية، وفي هذا امتداد لمنهج شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وعلماء الكلام الذين أفادوا في دفع الشبهة دون مسيس حاجة إلى جهودهم في تقرير الحقيقة ■■

«المحاضرة»

بقلم : أمـة الله الـودود

■■ .. « أسرة الكلية تدعوكم لحضور الندوة الفكرية ظهيرة الثلاثاء » ..

.. « شباب الجامعة يرحب بالضيف الكبير » ..

.. « بروفيسور شـابلن : مرحباً بك في بلدنا » ..

هكذا برزت اللافتات محتلة جُدر شرفات الكلية وأعمدتها ، بل ونواصي أبوابها .. ونشط عمال النظافة في تلميع أروقة الكلية الشائخة ومداخلها ، واستجلاب أصص الزهور ورصِّها في كل زاوية ومعبر خاصة أمام مدرج (٣) أكبر المدرجات حيث ستُعقد الندوة الفكرية .

تذكرت .. إن ميعاد الندوة يعقب مباشرة محاضرتنا الأخيرة لهذا اليوم ، وهذا يعني تأجيل ذهابي وشقيقي لشراء أحدث ما نزل إلى السوق من كتب فكرية .. ولكن هذا ما سأتدبره لاحقاً بعون الله ..

ارتديت حجابي .. وضعت كتبي تحت إبطي ثم قبَّلت يد والدتي الحنون وخرجت . كان عليَّ قبل الذهاب اصطحاب زميلتي وجارتي [سحر] كما تعودنا دائماً .. ورغم أنها فتاة متبرجة وتختلف عني في الطباع والأفكار والسلوكيات إلَّا اني أعاملها بالحسنى ؛ انطلاقاً من تعاليم الإسلام الحنيف وأملاً في أن تغير من أفكارها تدريجياً ؛ خاصة أن لديها استعداداً فطرياً طيباً .

طرقت باب منزلها فأدخلتني الصغيرة [غادة] إلى حيث [سحر] أمام المرآة تحاول تثبيت الأمشاط في شعرها وقد خرجت لتوها مما تسميه (حمام الشعر الدافىء) .. بيد أنها اعتذرت عن حضور محاضرات اليوم لتتفرغ لتسوية شعرها وعمل « الماكياج » من أجل حضور الندوة الفكرية .. وذكَّرتني قبل أن أخرج ـ كعادتها ـ بأنها ستعتمد عليَّ في فهم ما يفوتها من محاضرات ... ■■

وانتهت محاضرة الظهيرة .. الندوة ستبدأ بعد قليل ، لكن سأصلي الظهر أولاً فقد يطول الملتقى .. الساعة تجاوزت الواحدة .. أسرعت في صعود السلم الحجري .. دفعت برفق باب المدرج الكبير .. كلمات الترحيب بالضيف تتوالى من الميكرفون .. كدت أتعثر من خجلي لتأخري وانا اتجه إلى المكان المكتظ بالطالبات ، ولم ينتشلني مما انا فيه إلَّا صوت [سحر] تدعوني للجلوس جانبها .. اخرجت الدفتر لأدون ملاحظاتي بينما اتكات [سحر] على مرفقيها تتابع أعمال الندوة باهتمام ..

المنصة مزدانة بباقات الورود نضدت أمام جمع من أساتذة الجامعة يتوسطهم رجل تبدو ملامحه الأوروبية في شعره الأشقر الذي يخالطه الشيب ، بينما اختفت عيناه وراء زجاج نظارته الطبية ..

كان الضيف الزائر يعبث بأطراف أصابعه بورقة أمامه ويبتسم هـادئاً في وجوه الحاضرين .. وبين الفينة والأخرى يسجل بعض العبارات ..

كلمات المحاضرين من أساتذتنا راحت تمتدح البروفيسور الأوروبي معددة مناقبه وأعماله ودراساته علاوة على اهتماماته

كلمـــة

شـــقائق الرجـــال

□□ لا شك أن السلوك السوي إنما يأتي ثمرة للتصور الاعتقادي السليم . وقد يكون السلوك من جانب آخر دليلاً على صدق التصور واستيقانه في القلب . ومن كان سلوكه يناقض قوله فكأنما يوبخ نفسه . لذلك كان مستنكراً على المسلم ديناً أن يقول ما لا يفعل ، واعتبرت هذه الحال من المقت الكبير عند الله الذي حذَّر من أن يصاب به مجتمع المؤمنين . والذي يلمحه الإنسان في واقع مجتمعات المسلمين اليوم : أن المرأة لم تأخذ البعد العملي الذي رسمه لها الإسلام في أسرنا ، وإن اعترف بهذا البعد كثير من الناس ؛ من الناحية النظرية البحتة واستدلوا له بآية أو حديث صحيح ، إلَّا أن نفوسهم تظل تأباه من الناحية العملية ، إما بسبب من وراثة سابقة لصور التدين عند البيئة والأهل دون مناقشة ، أو بسبب من ضغط العادات والتقاليد التي أصبحت حواجز وجدراناً سميكة أمام رؤيتنا لموقع المرأة في الحياة الإسلامية ، إلى درجة يكاد يتصور معها الإنسان اليوم أن المرأة في بعض بيئات المسلمين لو مارست الحياة التي مارستها الصحابيات في عصر النبوة لسبب ذلك كوارث اجتماعية وأسرية لا حصر لها ؛ وقد يصل الأمر إلى إراقة الدماء عند بعض الذين لا يدركون حقيقة التدين .

والله تعالى يقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ يَأْمُـرُونَ بِـالْمَعْـرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ (التوبة : ٧١) .

فأين حقوق الموالاة وأين ممارسة الرقابة العامة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة للمـرأة بوسائله المتعددة المشروعة ؟ وأين ممارسة الحياة المطلوبة للمرأة المسلمة حتى تتحقق وظيفتها التربوية التي نلح عليها بحق ؟ وكيف تحسن المرأة إعداد أبنائها للحياة التي لا تعرفها ولا تدرك مشكلاتها .

إن النساء شقائق الرجال كما يقول الرسول ﷺ ، وندع كلمة « الشقيقة » وما تحتمله من أبعاد إلى فرصة أخرى ، إنها الشقيق وليست الرقيق كما أنها ليست شريكاً بالمفهوم المادي أو التفسير المادي للعلاقات الأسرية حيث ينظر لكل فرد من أفراد الأسرة من خلال إنتاجه المادي فإذا توقفت عن الإنتاج واستهلكت أُلقي بها خارج الأسرة .

فهل نستعيد المرأة المسلمة الشقيقة ؛ وهل تستعيد المرأة المسلمة الحياة الإسلامية التي فقدتها ؟ □□

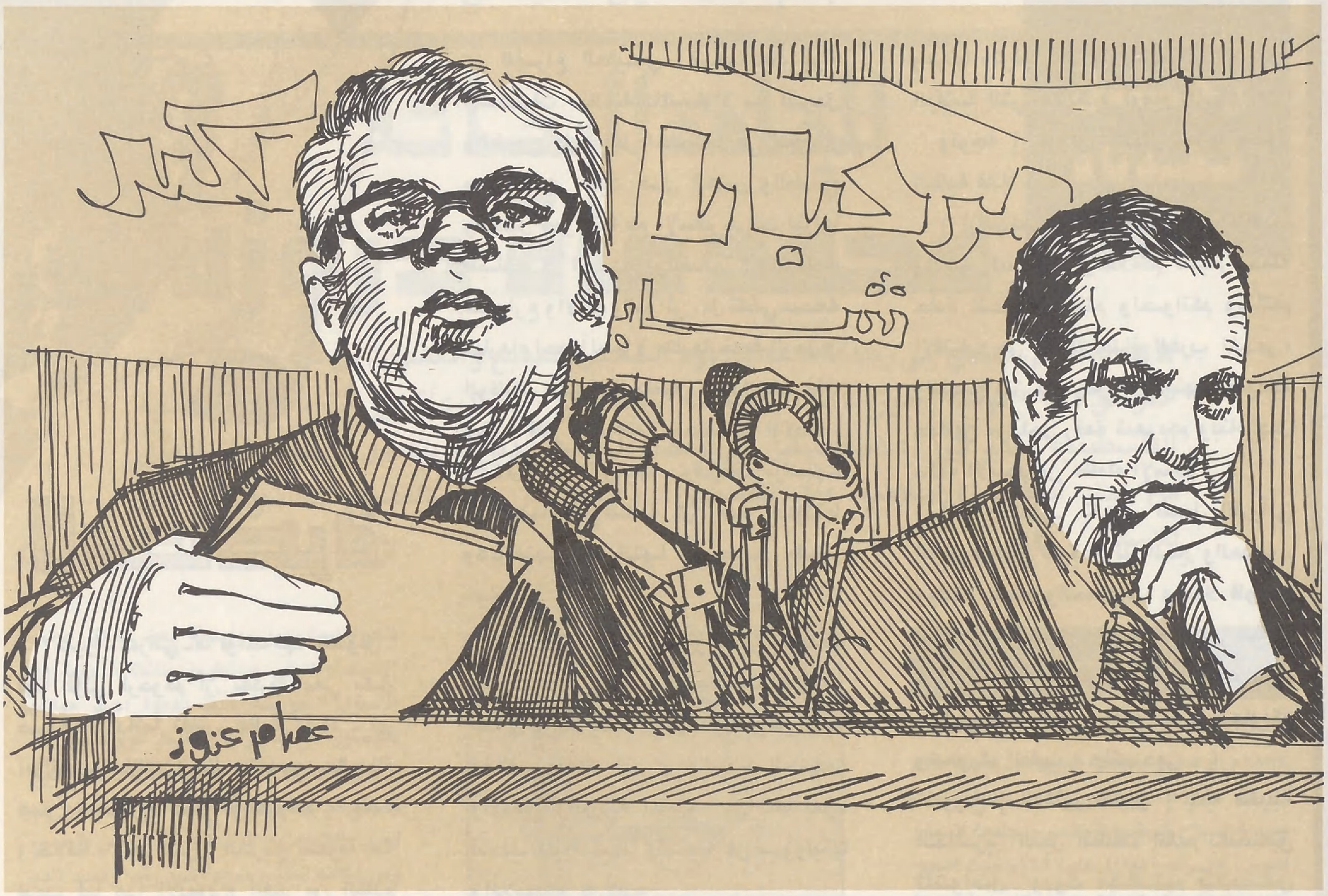

بحضارة الشرق ولغاته .. وعندما وصل دور الدكتور [يحيى] الأستاذ العائد بشهادة أوروبية وزوجة باريسية أيضاً أخذ يمتدح أساتذة الغرب لدورهم المشرق في تناول تاريخ المشرق وآدابه مما فتح المعابر والنوافذ أمام طلبة الشرق وأساتذته في تفهم تراثهم بصورة علمية !!... وفي نهاية كلمته المنمقة حوَّل الميكروفون بكل احترام إلى الضيف الكبير قائلاً : « والآن ليتفضل أستاذنا العظيم البروفيسور [شابلن] في إلقاء كلمته ... » .

وبعد لحظة تصفيق شكر الدكتور [شابلن] جموع الحاضرين بعبارات رقيقة مبدياً سروره من روعة الاحتفال به .. وأرجع البروفيسور - الذي كان يتكلم العربية بطلاقة - هذه الروح الطيبة إلى أصالة الإنسان الشرقي صاحب الحضارة والفكر الإنساني الذي أنار الطريق لفلاسفة الغرب وعلمائهم للقيام بنهضتهم الكبرى ..

رحت أتابع بحماس كلمات [الدكتور شابلن] في إشادته بالدين الإسلامي الذي استطاع - على حد تعبيره - أن يجعل من الأعراب والبدو الأجلاف أمة نور وعلم ، محبة وتسامح ، عقيدة وشريعة بسطت ظلالها في يوم ما على معظم أنحاء المعمورة ..

وتساءل [الدكتور شابلن]عن سبب اختلاف حاضر المسلمين وواقعهم المأساوي عن ماضيهم الأغر .. وقال : قد يكون السبب اجتماعياً أو سياسياً أو فكرياً أو اقتصادياً أو كلها معاً ، ولكن من خلال دراساتي المتفحصة في علوم الأديان والاجتماع والتاريخ توصلت إلى نتيجة اعتبرها حتمية وهي : أن المسؤول عن كل ذلك هو غياب العقيدة الراسخة على المستوى الفردي والجماعي .. ومتى عادت الحاكمية للعقيدة على هذين المستويين فإننا سنسلم لكم - بكل تأكيد - مقود الحضارة ...

وضجت القاعة بالتصفيق ، وسرت همهمة بين صفوف الطلبة الذين أيقظتهم كلمات البروفيسور القادم من وراء البحار لينصف الإسلام .. والتفتُّ إلى [سحر] لأرى انطباعاتها ، ولكن عودة [الدكتور شابلن] إلى الحديث جعلني أتابعه وهو يبين أهمية العودة إلى الإسلام الصحيح ومستقبل البشرية في حكمه مقارناً بين إفرازات حضارة الغرب وما جلبت على الإنسان من ضياع وخواء روحي دفعت به إلى أتون الشقاء ، وبين عطاءات الدين الإسلامي الذي يُحلق كالطائر الفرد بجناحي الروح والمادة ، الدنيا والآخرة ، العلم والعمل .

وبقدر ما كان منظر [الدكتور شابلن] مؤثراً وهو ينطلق في مقارناته كانت عبارته الأخيرة مثار عاصفة حارة من التصفيق أحنى لها البروفيسور رأسه ثم رفع يده شاكراً وأعاد الميكرفون إلى [الدكتور يحيى] .

تابعت أسئلة منظِّر الندوة [الدكتور يحيى] وهو يسأل المحاضر الزائر عن حياته العلمية وأبحاثه ومساهماته المتعددة وآماله و ... ... وأرهفت الأسماع لدى السؤال الأخير الذي قدم له [الدكتور يحيى] بأنه (مهم) يبغي معرفة رأي [الدكتور شابلن] بكل موضوعية ..

— (دكتور شابلن ، ما رأيك في إنجازات المرأة الشرقية على طريق التقدم والمساواة ؟!!..) .

غمزتني [سحر] وهمست لي : أنصتي باهتمام للبروفيسور الكبير فإن إجابته بلا شك ستكون عظيمة ...

وبالفعل .. وبعد لحظة صمت حُبلى بالترقب المثير رفع [الدكتور شابلن] رأسه وبكل هدوء أجاب :

«المحاضرة»

(كثيراً ـ أعزائي ـ ما أواجه بهذا السؤال ؛ لهذا فإني أرجوكم أن تفكروا معي بكل صراحة .. دائماً تقاس عظمة المرأة ـ أي امرأة ـ بإنجازاتها في بناء وتخريج رجال بناة صرح حضاري فكراً وسلوكاً .. علماً وأخلاقاً .. ولقد تشرف التاريخ بمعرفة أمة قدمت لنا هذا الأنموذج الفذ من التقدم الإنساني والتحضر البشري ما نزال ندين لها بمعظم ما توصلنا إليه .. وتلك أمة الإسلام في عهودها الوضيئة ، وهذا راجع بلا شك إلى الدور الأكبر الذي أدته المرأة المسلمة الراقية فكراً ، والمتحضرة مسلكاً عندما عاشت في الأطر السامية التي حددها لها دينها ، فقامت بتأدية رسالتها العبادية التربوية بحيوية وفاعلية .. فكانت أمّاً .. وكانت أمة .

وإذا تفحصنا واقع المرأة في الحضارة الغربية الآن ، فلن نجد أنها تمتُّ إلى واقع مهمة الأمومة بشيء ـ اللهم إلّا في الإنجاب ـ والمأساة التي انتهت إليها فتاة الغرب بدأت من الفراغ العقيدي ، فاندفعت وراء الشعارات منادية بالمساواة مع الرجل والخروج إلى العمل احتجاجاً على انحصار مهمتها في البيت على الكنس والطبخ والغسل .. ولكنها مع الأسف خرجت لنراها طباخة في المطاعم والفنادق ، وكناسة للشوارع والأزقة والدوائر ، بل تقضي سحابة نهارها وأحياناً ليلها في متابعة خدمة الرجل في الوظائف العامة والخاصة .. فماذا جنت ؟ أمّا بيتها فقد أضاعته ، وخسرت أولادها ، وعددت من أزواجها ، وفرَّطت براحتها وسعادتها ، بالإضافة إلى إهدار أنوثتها وكرامتها ومكانتها في جميع أطوار حياتها ...) .

الكل كان يتابع [الدكتور شابلن] باهتمام وتأثر جادين ، وخاصة في استنتاجه الذي عبر عنه في حركات يديه : (إن ما نعاني من انهيار أخلاقي وتفكك أسري وشيوع الجريمة والإدمان والفردية المقيتة ، كل ذلك يعود لتخلف المرأة عندنا وتخليها عن مسؤوليتها وإفلاسها في كل شيء) ...

والتفت البروفيسور إلى [الدكتور يحيى] والأساتذة ثم إلى جموع الطلبة والطالبات وقال بلهجة يشيع فيها الأسى : (ترى لماذا تلهث المرأة الشرقية وراء أختها الغربية في ارتكاسها وعقم فاعليتها ؟! إن للمرأة الشرقية ديناً يحترمها ويكرمها .. فيه حريتها وتقدمها ورفعة قدرها .. ولو تعرفت المرأة في الغرب على هذا الدين لكانت من أحرص الناس على اتباعه .. فلماذا تُزيف شعارات استُهلكت عندنا فأهلكت نساءنا وتُدس لفتاة الشرق ؟! بل إني أسأل بناتي الطالبات ـ مشيراً إليهن ـ لماذا تتخلى الواحدة منكن عن ذكائها وإبائها وعزتها وترضى بالتبعية للشقراء الأوروبية البائسة التي تتخبط في أوهام المادة ؟!) .

وتوجه [الدكتور شابلن] إلى حشود الطلبة قائلاً :

(أناشدكم ـ شباب الجامعات المثقف ـ وأناشد أساتذتكم وعقلاءكم للقيام بحملة جادة لتحذير نسائكم وأخواتكم وبناتكم الاقتراب من طريق فتاة الغرب المدمر ، والنصح لهن بالحرص على دينهن ومقومات حياتهن من أجل رفعة شعوبكم وبناء جيل سلفه الأماجد من عظماء الإسلام ..

إننا في الغرب نترقب الجيل القرآني الوضيء الذي سيحمل لنا الخير والعدالة ، ويقدم العلم والحضارة ، ويملأ قلوبنا بالإيمان والنور وحب الله وبذل النفع لعباده .. وهذا الطريق واضح ـ أعزائي ـ فهيا أرونا عزماتكم .. ولكم شكري لتجاوبكم وشعوركم الطيب .. ولكم حبي ..) .

ورفع [الدكتور شابلن] يديه محيياً الحاضرين الذين انطلقت أكفهم بالتصفيق المتواصل ، ودوت هتافاتهم بالحماس الشبابي اللاهب وسط ذهول [الدكتور يحيى] وتقاطر الطلبة والالتفاف حول البروفيسور الزائر .

أمسكتُ [سحر] من يدها وأسرعنا خشية الزحام .. كانت صديقتي مأخوذة بكلام المحاضر كما بدا من إطراقها .

لم أشأ أن أقطع عليها صمتها رغم حاجتي لمن تشاطرني التعليق على المحاضرة .. وقبل أن أبلغ بها البيت التفتت إليَّ قائلة :

[الدكتور شابلن] كان عظيماً .. محاضرته الرائعة استطاعت أن تكشف لي عن أبعاد المسؤولية الملقاة على عاتقنا .. إنها مسألة أن نكون أو لا نكون ..

ابتسمت لها مشجعة : والآن هل لي معرفة ما تنوين من اتخاذه كقرار مثلاً ؟!

شردت ببصرها قليلاً وتنهدت :

أستطيع القول : إن العناد والمكابرة لا سبيل لهما عندي بعد ما تبين لي الحق .. كم كنت عاجزة عندما عطلت تفكيري وزيفت إرادتي واندفعت وراء تقليد المرأة الغربية التعيسة .. ولعل هذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها باستقلالي الفكري عندما أضع حداً لحياتي السابقة وأبدأ من جديد على طريق الحق كما يريد الله ...

بقلم : اسماعيل الكيلاني

رجل فقدناه

المجاهد البحاثة محمد عزة دروزة رحمه الله

■■ انتقل في دمشق إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس السابع والعشرين من شوال ١٤٠٤هـ . الموافق لـ ٢٦ يوليه [تموز] ١٩٨٤م البحاثة الموسوعي « محمد عزّة دروزة » ، مؤرخ القضية الفلسطينية وأحد أبرز أعلام فلسطين في العصر الحديث الذين لم ينفصل في حسهم أن العمل من أجل القضية الإسلامية عمل لفلسطين ، والعمل من أجل القضية الفلسطينية عمل للإسلام .. ■■

حياتــــه

ولد رحمه الله في مدينة نابلس عام ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م ، وعمل في مصلحة البريد منذ عام ١٩٠٦م إلى عام ١٩١٨م ، وفي عام ١٩٢٢م عندما انشئت مدرسة النجاح الوطنية في نابلس (جامعة النجاح اليوم) عين رئيساً لها إلى عام ١٩٢٧م حيث اصبح مديراً للأوقاف الإسلامية في مدينة نابلس ، ثم مديراً للأوقاف الإسلامية في فلسطين عامة حتى عام ١٩٣٧م عندما استحوذت حكومة الانتداب البريطاني على الأوقاف الإسلامية والمجلس الإسلامي الأعلى بعد أن حلّته ؛ متخذة من اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م ضدها وضد ربائبها من يهود ذريعة لهذا العدوان على أوقاف المسلمين ، معتبرة إياه - رحمه الله - « الشرير الأكبر » عندما نسبت إليه انه القلب النابض والدماغ المحرك وراء قوافل المجاهدين ؛ للدور الذي كان يقوم به بدأب ومثابرة وصمت من تنظيم وتزويد قوافل المجاهدين في فلسطين بالسلاح ، وهو يشغل منصب سكرتير اللجنة الفلسطينية العليا للثورة في دمشق نائباً عن مفتي فلسطين الأكبر الشيخ محمد امين الحسيني رحمه الله الذي كانت سلطات الانتداب البريطاني قد ابعدته إلى بيروت لإقصائه عن ميدان الجهاد في فلسطين ولإضعاف وإخماد أوار الثورة الفلسطينية ...

مشاركته في العمل الوطني

شارك رحمه الله في العمل الوطني في مرحلة تعتبر من أعقد المراحل التاريخية في حياة العرب والمسلمين ، وكان منذ نشأته عميق الارتباط بآصرة الأخوة الإسلامية[1] وضرورة السعي إلى إصلاح دولة الخلافة واستقامتها ، من هنا جاءت مساهمته الأولى في حركة الاتحاد والترقي - بعد أن توهم فيها الأمل بالإصلاح - التي تمكنت من الوصول إلى

السلطة في أعقاب الانقلاب العسكري الذي دبرته ضد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني رحمه الله ، إلَّا أن استعلاء الاتحاديين وخضوعهم ليهود الدونمة ودعوتهم إلى الطورانية ، واتجاههم إلى تتريك العناصر غير الطورانية في الدولة العثمانية أصابته بخيبة أمل ، أوقعته وأمثاله من الذين أحسنوا الظن بهذه الجماعة بداية في ردود الفعل التي حدت به ودفعته إلى الوقوف في وجه هذه النعرات العنصرية الجاهلية ، فأسس مع إخوة له آخرين فرعاً لحزب الائتلاف والحرية العثماني في مدينة نابلس [هذا الحزب مناوىء للاتحاديين ، ينادي بالأخوة الإسلامية ووضع العربية في المكانة التي تستحقها في موضعها الصحيح] وكان ذلك في وقت مبكر من عام ١٩٠٨م ، وفي الوقت نفسه تنبه إلى أطماع يهود فلسطين ، وإلى خطورة حركة الاستيطان اليهودي في فلسطين ، فسعى مع بعض رجالات نابلس إلى إحباط بدايات هذه الحركة التي سعى إليها يهود بواسطة بعض أركان جمعية الاتحاد والترقي عن طريق طائفة الدونمة ذات الأصول اليهودية حيث دفعوا احد عملائهم للحصول على امتيازات استثمار غور نابلس .

وفي عام ١٩١٢م اندمج في الحركة الإصلاحية ، وسعى مع بعض إخوانه عام ١٩١٤م لتأسيس فرع لحزب اللامركزية الذي كان قد تأسس في مصر ، ومن أركانه الشيخ محمد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب رحمهما الله ، وكان هذا الحزب يرى ضرورة الحذر من الإنكليز والفرنسيين وعدم التعاون معهم لأنهم في نهاية المطاف يعملون على تحقيق أطماعهم في استعمار البلاد وإذلال العباد بعد اقتسام تركة الرجل المريض [الدولة العثمانية] .

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، وتقاسم المستعمرين أسلاب الرجل المريض ، ونكثهم بالعهود التي قطعوها لشريف مكة الحسين بن علي أثناء الحرب ، استأنف دروزة وإخوانه جهادهم ضد المستعمرين ، واصبح عضواً واميناً للسر للمؤتمر العربي الفلسطيني الذي انعقد عام ١٩١٩م في القدس ، وكان للشيخ محمد امين الحسيني رحمه الله فيه الدور المؤثر الذي ادى إلى إعلان عروبة فلسطين وانها جزء من بلاد الشام ، ثم أصبح دروزة عضواً في المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق في العام نفسه ، وفي المؤتمر السوري العام الثاني المنعقد عام ١٩٢٠م اصبح سكرتيراً له ومقرراً للدستور ، وفيه تقرر إعلان استقلال بلاد الشام بحدودها الطبيعية ، ورفض وعد بلفور والهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ورفض كل شكل من اشكال الانتداب الفرنسي أو الإنكليزي ... وبعد معركة ميسلون ودخول القوات الفرنسية دمشق ٢٤ تموز [يولية] ١٩٢٠م واستشهاد وزير الدفاع يوسف العظمة رحمه الله ، أصدرت السلطات الفرنسية الحكم بإعدام دروزة الذي رجع إلى فلسطين لمناجزة الإنكليز ومقاومة الخطط اليهودية للهجرة والاستيطان على الأرض المقدسة ... وعندما انعقد المؤتمر الإسلامي العام في

المجاهد الباحث
محمد عزة دروزة رحمه الله

القدس ١٩٣١م في اعقاب قضية البراق وبروز المطامع اليهودية في الأماكن المقدسة كان دروزة احد اعضاء اللجنة التحضيرية له التي كانت برئاسة الحاج محمد امين الحسيني رحمه الله ، ثم اميناً لسر المؤتمر ، وكانت الغاية من المؤتمر بيان ان قضية فلسطين هي قضية المسلمين كلهم في مختلف اقطار الدنيا ، وان فلسطين ليست ملكاً لأحد ، ولكنها ملك للمسلمين جميعاً ولا يملك احد - مهما كانت مكانته وصفته - التصرف بشبر منها ...

وفي عام ١٩٣٢م . ساهم مع عدد من إخوانه بتأسيس حزب الاستقلال العربي بهدف تحرير فلسطين من الانتداب البريطاني والاستيطان اليهودي معاً ، والدعوة إلى عدم التمييز بين الخطرين البريطاني واليهودي ، وانتقد دروزة رحمه الله اولئك الذين يحاربون الخطر اليهودي وهم في الوقت نفسه يتعاملون مع البريطانيين متناسين خطرهم وانهم راس الداء واساس البلاء ... واصبح دروزة ممثلاً لهذا الحزب في اللجنة العربية العليا لفلسطين واميناً لسر هذه اللجنة عام ١٩٣٦م ، وكان احد اعضاء لجنة الإشراف على الإضراب التاريخي الذي عم فلسطين باكملها في ذلك العام وامتد ستة شهور كاملة ، وكان اطول عصيان مدني في التاريخ ... وتنتهي الثورة وتاتي إلى فلسطين لجنة بيل التي قررت تقسيم فلسطين بين العرب ويهود ، ويقف دروزة رحمه الله في وجه التقسيم ، ويذهب في وفد من إخوانه إلى البلاد العربية محذراً ومنبهاً إلى رفض التقسيم مما اجبر بريطانيا على سحبه ...

الهجرة إلى دمشق

وفي عام ١٩٣٧م اجبر على مغادرة فلسطين متجهاً إلى دمشق ، مستقراً فيها ومواصلاً جهاده وخدمة بلاده ، الأمر الذي احنق عليه السلطات الفرنسية ايضاً فاعتقلته وقدمته لمحاكمة عسكرية قضت عليه بالسجن لمدة خمس سنوات ، قضى منها ستة وعشرين شهراً في سجن المزة العسكري بدمشق ، ثم اطلق سراحه عام ١٩٤٠م إثر الاعتراض العام على سجنه وإرسال محمد علي الطاهر المجاهد الفلسطيني برسالة إلى الجنرال ويغان المندوب السامي الفرنسي معترضاً على حبسه ورفاقه ، فاطلقت السلطات الفرنسية سراحه ونفته إلى تركيا حيث بقي فيها إلى عام ١٩٤٥م حيث عاد إلى دمشق ، وعندما تاسست الهيئة العربية العليا لفلسطين برئاسة الحاج محمد امين الحسيني رحمه الله مفتي فلسطين الأكبر كان دروزة احد اعضائها ، ولما وقعت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م ؛ وكان لا يزال في دمشق . اصيب بمرض ادى إلى إجراء جراحة له كان من نتيجتها إصابته بثقل في سمعه وصل إلى درجة الصمم ، فاعتزل السياسة ، وآثر الانصراف إلى القراءة والكتابة والتاليف ، وكانه رحمه الله تنبه إلى اهمية الفكر والثقافة في حياة الأمة ... من هنا نجد ان اسمه كان بعيداً عن دوائر الأضواء الإعلامية ، بل ربما كان مجهولاً من كثير من المتعلمين واشباه المثقفين في الوطن العربي ، وهو رحمه الله رغم فقره الشديد الذي حال دون متابعته الدراسة النظامية منذ بداية حياته واضطراره إلى العمل لم ينقطع عن قراءة الكتب والتزود بالثقافة العامة وبناء نفسه ...

جذور المشكلة

وفي اثناء عزلته رحمه الله هذه وضع الكثير من مؤلفاته القيمة في مجال القضية الإسلامية والعربية وفلسطين[١] ، وقد تكون بعض آرائه محل نظر - وكل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك إلَّا المعصوم ﷺ - إلَّا ان هذا لا يجعلنا نغمطه حقه ، فهو يشكل علامة مضيئة على طريق البحث المنهجي الذي بَصَّرَهُ بعد جولاته السياسية والفكرية المتعددة بجذور المشكلة التي تعاني منها الأمة ، وبأن الغزو الفكري « التنصيري والمادي والإلحادي » الذي يخرب العقول اخطر عليها من الغزو العسكري الذي يحتل البلاد ويستعمرها ، لخفاء الأول وتسلله إلى الجذور ، ووضوح الثاني وسيطرته السطحية ، فتراه يؤلف كتابيه « القرآن والمبشرون » و « القرآن والملحدون » ، وفي الوقت نفسه لا يرضى بالمغالاة التي وقع فيها اولئك الذين رفعوا « القومية العربية » شعاراً لا دينياً في مواجهة عقيدة الأمة ، والذين كانوا من وجه آخر صورة من صور الغزو الفكري الذي تنبه لخطورته رحمه الله ، فياخذ عليهم ذلك معلناً ان لا انفصام بين الإسلام والعروبة ، ومن يقُل بغير ذلك يتجنَّ على حقائق التاريخ ويجهل الأثر الرئيس والجوهري للإسلام في المجد الذي يتغنى به هؤلاء . ويتصدى لمحاولات تزييف القضية الفلسطينية والانحراف بها عن حقيقتها وجذورها ، فيصوب ويوضح الكثير من غوامضها في كثير من بحوثه ، ولا غرابة في ذلك فهو ابن بجدتها ، ويعتبر مع عارف العارف رحمه الله واكرم زعيتر ادق واصدق من دوّن تاريخ القضية الفلسطينية الحديث والمعاصر وجهاد اهلها في وجه الاستعمار والأطماع اليهودية ؛ ويكتب رحمه الله رسالة نقدية للكتاب الذي وضعه انيس الصايغ بعنوان « فلسطين والقومية العربية » ، يبين فيها وجه الحق في هذه القضية المقدسة التي كثيراً ما استغلها هواة حب الظهور والزعامة لتحقيق اغراضهم ، وتاجر بها وبدماء ابنائها المتاجرون ولا يزالون ... وهو في اثناء ذلك كله لا ينسى مقارعة اليهود الحجة بالحجة ، فياخذ في بيان حقيقة بني إسرائيل من خلال اسفارهم ، ويضع كتابه القيم « تاريخ بني إسرائيل من اسفارهم » ويلحق به رسالة عن « اليهود في القرآن الكريم : احوالهم واخلاقهم ومواقفهم من الدعوة الإسلامية ، والجزاء الذي تلقوه من الرسول ﷺ » استكمالاً لصورتهم الحقة ... وهو من خلال ما ترك عن هذه القضية المقدسة لا ينسى أن يبين الدور الذي قام به الغربيون المستعمرون في التمكين ليهود في فلسطين ومدهم باسباب الحياة والقوة ، وانهم جميعاً رمونا عن قوس واحدة لشل كياننا ، وان الخلاص من هذا الداء العضال لا يكون إلَّا بالاستئصال ، وهذا لا يتحقق إلَّا بجهاد كجهاد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ومن قبله نور الدين وعماد الدين رحمهما الله ، اما انصاف الحلول والمهادنة فلا يمكن ان تاتي بخير لهذه الأمة ؛ حيث لا يمكن ان يجتمع على صعيدها حضارتان ، وان وجود يهود في فلسطين ككيان سياسي [دولة] موت للعرب وخذلان للمسلمين ...

من آثاره القرآنية

ومن آثاره القيمة التي لم يسبق إليها - فيما نعلم - كتابه « سيرة الرسول ﷺ : صور مقتبسة من القرآن الكريم » حيث تناول فيه استخلاص تاريخ لسيرة محمد ﷺ وعصره من خلال آيات كتاب الله عز وجل حيث لا مجال للشك في التوثيق ، وقد اعانه على ذلك حفظه لثلثي القرآن الكريم ومداومته على تلاوته ، والقرآن كما يقول رحمه الله « يشف عما كان في الشخصية الكريمة من قوى ومواهب جعلت صاحبها ﷺ موضع التكريم والعناية الربانية ، واهلاً للاصطفاء بالرسالة العلوية ، ويطلعنا على الناحية الرائعة حقاً من الظروف والأدوار التي تقلبت فيها الدعوة حتى انتهت إلى ذلك النصر العزيز والفتح المبين ، وحتى صارت كلمة الله هي العليا ... » .

وكذلك محاولته القيمة في تفسير القرآن الكريم « التفسير الحديث » الذي وضعه في اثني عشر مجلداً رتَّبه حسب ترتيب نزول السور ، وقدم السور المكية على المدنية ليجعل القارىء يعيش جو نزول القرآن مع اعتقاده ان ذلك لا يخل بقدسية ترتيب المصحف ، لأن التفسير عمل علمي ، وقد استفتى بعض العلماء وافتوه بذلك ، وجمع فيه بين المأثور والراي ... ولإيمانه بشمولية الإسلام وتنظيمه شؤون الحياة المختلفة وضع كتابه « الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة » الذي يقول فيه :

[... ومن واجب كل مخلص لدينه وقومه

وإنسانيته منها ـ الأمة العربية ـ أن يبذل جهده في سبيل أن يبقى القرآن أقوى مؤثر في حياة الأمة العربية ، لأن القرآن قد احتوى من النظم والقواعد والمبادىء والتلقينات ما من شأنه أن ينهض بها إلى ذرا الكمال في كل مجال من مجالات الحياة ، ويوجهها في أحسن السبل وأشرفها وأنزهها وأعدلها وأتمها صفاءً وسناءً وكمالاً وحقاً ، ولأن الدين الإسلامي الذي يمثله القرآن ، ليس ديناً روحياً أو أخلاقياً أو عنصرياً أو محلياً فحسب ـ كما هو حال الديانات الأخرى ـ بل هو دين كيان وسياسة ونظام وعمل وواقع ، ثم هو دين إنسانية شاملة يدخل في نطاق الناس جميعهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم ومواطنهم ، فلا جرم أن يكون مدد الأمة العربية في حياتها الجديدة ؛ تستمد منه نشاطها وفعاليتها وحيويتها ، وتستبين منه صراطها المستقيم الذي تسير عليه في شؤونها السياسية والاجتماعية والأخلاقية والشخصية حتى تكون لها تلك الصورة التي تتوق إليها والمركز الذي تتطلع إليه] ويقرر رحمه الله أن [الدعوة إلى الاستمداد بالقرآن والاهتداء بهداه والسير عليه تحتوي جميع عناصر الاستجابة لما احتواه من تلك النظم والقواعد والمبادىء والتلقينات ، ولا يستطيع أي فرد أن يرتاب في قوتها وتأثيرها النافذ العميق في نفس الأمة إذا ما صدرت عن قوة وجد وإيمان وحسن فهم ...] .

دحـض افتـراء

بهذه المناسبة نرى من الواجب بيان ظلم ما اتُّهم به نتيجة اقتباسه من القرآن الكريم ، من أنه يهمل السنة النبوية أو يشكك فيها ... والأمر الذي يجب أن يكون واضحاً ابتداءً أن الفترة التي قضاها في الحبس بين سجني قلعة دمشق والمزة ، لم يكن له من رفيق فيها سوى كتاب الله عز وجل ، وفيها استعاد ما كان يحفظ منه ، وتابع محاولة إتمام حفظه حتى حفظ حوالي ثلثيه أو أكثر قليلاً ، وكان أثناء تلاوته المتدبرة لكتاب الله عز وجل يسجل على ما يقرأ تعليقاته وشروحه ، فتكونت لديه حصيلة جيدة من هذه الشروح والتعليقات كان من نتيجتها : [عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة ـ سيرة الرسول ﷺ ـ الدستور القرآني ...] هذا إلى جانب تشكيك المستشرقين وتلامذتهم من المستغربين بالسنة النبوية ، وطعنهم بأخبارها ، فكأنه رحمه الله أراد أن يعتمد ـ فيما يكتب ليفحم هؤلاء وأمثالهم ـ على القرآن الكريم الذين لم يستطيعوا إلَّا التسليم بصحته وعدم دخول التحريف إليه ... ويؤكد هذه الحقيقة رحمه الله بنفسه حيث يقول : [... لم يكن اقتصارنا على القرآن ناشئاً عن قصد إغفال السنة النبوية أو التوقف فيها ، وهي المصدر الثاني للدين الإسلامي على مختلف مقاصده ، والواجب الأخذ به بنص القرآن في آيات عديدة ، منها ، آية سورة الحشر هذه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ... ﴾ وإنما هو ناشىء عن قصد تجلية وجه الإسلام في شؤون الحياة من مصدره الأول ـ القرآن ـ الذي دوِّن في عهد رسول الله ﷺ بادائه وحروفه وكلماته التي أنزلها الله ، أملاها رسول الله ﷺ على كتَّابه ، والذي وصل إلينا كذلك سليماً من أية شائبة ... ثم هو ناشىء كذلك عن ما هو المتفق عليه عند علماء الحديث من كونه لا يخرج عن المصدر الأول ـ القرآن ـ في المبادىء والخطوط العامة ... وما رواه الترمذي عن الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا إنها ستكون فتنة . فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ... من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله ... من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه دعا إلى صراط مستقيم »] [الدستور القرآني : ١٨/١ ـ ٢٠] .

ولا ينسى رحمه الله أن يذكر بعض « المثقفين » من العرب الذين يعتبرون دعوته هذه ـ الاستمداد بالقرآن والاهتداء بهداه ـ رجعة إلى الوراء ، ويذكرون النقاط السود من تاريخ الأمة ... فيقول لهم : [... إننا إذ ندعو إلى القرآن الذي نزل قبل أربعة عشر قرناً لا ندعو إلى رجعة وقهقرى وإنما إلى تجديد وثورة على ما نحن فيه من جمود ، لأنه قد انطوى على سعة من الأفق ، ومرونة في التطبيق ، وسمو في الأسس والأهداف ، ما يكفل تقدمنا إلى الأمام قدماً إنْ نحن تفهمناه والتزمنا به ... وإنّ الدعوة إلى استلهام القديم لا يمكن أن تكون شاذة ، أو دعوة إلى القهقرى دائماً ، لأن البشرية سلسلة متصلة الحلقات ، وأجيال متواثقة الصلات يمد بعضها بعضاً ويرث بعضها بعضاً ، وتظل أولاها ممتزجة بأخراها ، وأخراها مقتبسة من أولاها ، وإن القول بغير ذلك هو تجاهل للحقائق والوقائع ، وتحكم لا مبرر له ولا سند] ، كما أن من الحقائق التي لا يمارى فيها [أن النظام شيء وتطبيقه شيء آخر ... وأن عدم تطبيق نظام ما لا ينتج عنه دائماً عدم صلاح ذلك النظام ، وأن شذوذ جماعة أو حكومة في ظرف ما عن الطريق القويم لا يتأتى دائماً عن عدم صلاح ما عندها ، وأنه كثيراً ما يتأتى عن عوامل أخرى ... وهو شيء ممكن الحدوث في كل بلد وفي كل دولة وفي كل زمن ... وأن الدعوة التي ندعو إليها ترمي إلى تفهم واستجلاء ما في الإسلام من أهداف ونظم ومبادىء وقواعد لا يماري في فائدة الاستلهام منها والرجوع إليها في يقظتنا الجديدة إلَّا مكابر أو مغرض ...] خاصة وأن [جذور الدين متأصلة في الناس تأصلاً لا يمكن لأي قوة أو دعوة أن تقتلعها منهم ... وما دام أن القرآن الكريم ـ الذي هو كتاب المسلمين المقدس عامة ، وكتاب أكثرية العرب العظمى خاصة ـ بين أيديهم يتلونه صباح مساء ، ويعتقدون أنه نبراسهم ومرجعهم ، وفيه من النظم والمبادىء ما يمس جميع نواحي حياتهم فإن صلتهم به وتأثيره فيهم لا يمكن أن ينقطع مهما تقلبت الظروف وتطورت الأحوال .] .

ومن مؤلفاته القيمة في القضية المقدسة كتاب « القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها » ، وقد أوضح فيه رحمه الله بالوثائق والإحصاءات حقنا الثابت في فلسطين ، كما فنَّد دعوى تفريط الفلسطينيين في أرضهم بالبيع ليهود ، وبين أنها دعوى باطلة وأبعد ما تكون عن الحقيقة والواقع ...

وفي مجال قضايا العرب : كتاب « تاريخ الجنس العربي » في ثمانِ مجلدات بيَّن فيه تاريخ هذا الجنس في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار من أقدم الأزمنة ، ووصل فيه حتى نهاية الدولة الأموية . إلى جانب كتاب « العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي » وكتاب « عروبة مصر قبل الإسلام وبعده » رحم الله الفقيد ونسأله تعالى أن يعوض الأمة المسلمة فيه وفي أمثاله من العلماء العاملين ، وأن يبارك في آثارهم التي تركوها لمن بعدهم ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

هـوامش

(١) لقد كانت الأخوة الإسلامية التي يجتمع في ظلها المسلمون مضرباً للمثل بقوتها حتى لتعد أقوى رابطة تربط بين الأجناس المجتمعين في ملة واحدة بسبب ما امتاز به الإسلام من عدم تميز أحد من العناصر الداخلة فيه على الآخر مهما اختلفت في الجنس واللون واللغة والمرتبة الاجتماعية ... « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ، « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم » [الدستور القرآني : ١٣/١] .

(٢) وقد تيسر لي فراغ ، كان القرآن فيه لي نعم العون والرفيق ، فرأيت أن أحاول سد شيء من هذه الحاجة (إلى كتاب جامع تصنف فيه الفصول القرآنية المتصلة بشؤون الحياة) فكان من هذه المحاولة مسودة هذا الكتاب (الدستور القرآني) إلى جانب الكتابين الأولين (عصر النبي ﷺ وبيئته قبل الإسلام) و (سيرة الرسول ﷺ) المقتبسين من القرآن الكريم ... [الدستور القرآني : ١٥/١]

تصريحات وأقـوال

■■ [ليس الخلود أن يتحدث التاريخ عن الخالدين ، ولكن أن تسري أرواحهم في الأحياء المتعاقبين ، وأن تعمل أخلاقهم عملها في كل عصر على مر التاريخ ، ولم يجتمع ذلك لعظيم كما اجتمع لمحمد ﷺ ..] ■■

(الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله)

■■ [إن كثيراً مما نسميه « قوميات » كان من غايته تقسيم البلاد العثمانية بين الدول الغربية ، وإذا كانت الدعوة إلى « قومية عربية » دعوة صحيحة غايتها ـ كما قيل ـ توحيد البلاد العربية واستقلالها ، فلماذا نجد في البلاد العربية اليوم نحو عشرين دولة ، قلَّ أن تجد دولتين منها على وفاق ؟!] ■■

(الدكتـــور عمــر فروخ)

■■ [لا يوجد شيء اسمه الفصل بين الدين والسياسة ، والقائلون بهذا الفصل لا يفهمون القيم التي قام عليها المجتمع الأمريكي ..] ■■

(الرئيس الأمريكي « رونالد ريجان »)

■■ [الشعب الجزائري شعب مسلم ، يعيش بالمثل الإسلامية السامية التي توجه وتتحكم في تصرفاته ، فقد أدى الإسلام دوراً رائداً في معركة التحرير ، إذ وقف في وجه الاستعمار ، وحارب الطغيان والأفكار المزيفة والمشعوذة ...] ■■

(« الشاذلي بن جديد » الرئيس الجزائري)

■■ [إن لبنان هو ضحية كيسنجر والسياسة الأمريكية ... أمريكا باعت نفسها وروحها وعقلها لإسرائيل ... إسرائيل هي التي تقرر وأمريكا هي التي تنفذ ..] ■■

(ريمون إدّه النائب اللبنـــاني)

■■ [إن ما نحتاجه هو المزيد من الرجال الكبار ، والكبير هو الذي يضع سلامة المجموع فوق سلامته ، ومصلحة الأمة فوق مصلحته ، وخير الوطن فوق خير الحزب ، وخلاص القضية قبل خلاص الأنصار .] ■■

(محمد أحمد محجوب رحمه الله ـ رئيس وزراء السودان الأسبق)

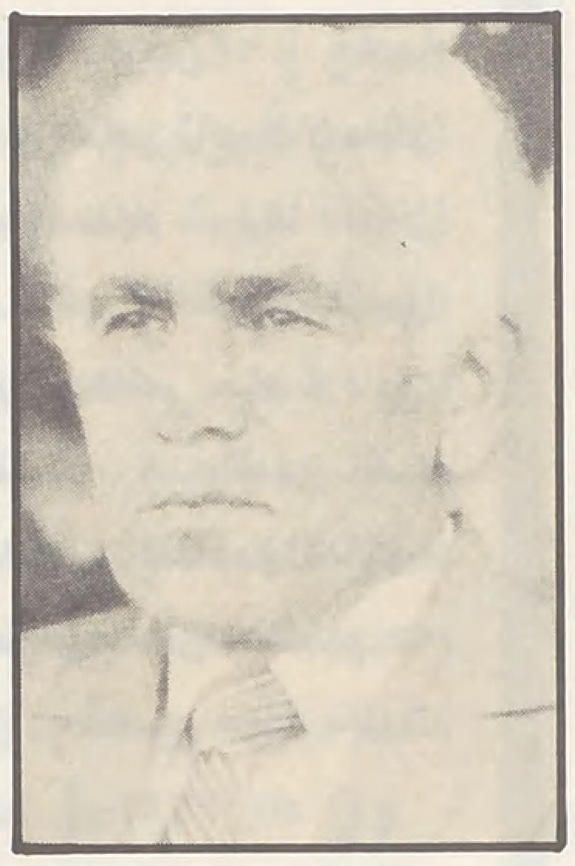

● الشاذلي بن جديد ●

● رونالد ريجان ●

● ريمون إدّه ●

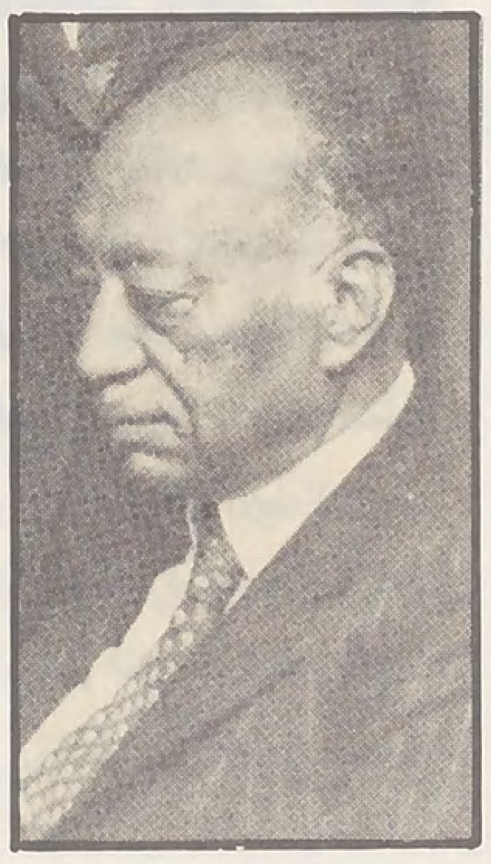

● محمد محجوب ●

هكذا الإسلام قد علمني

هَكَذا الإسْلامُ قَدْ عَلَّمَنِي عِزَّةَ النَّفْسِ وَحُبَّ الوَطَنِ
وإلى دَرْبِ العُلا أرْشَدَني وَحَباني بالهُدَىٰ وَالفِطَنِ
هَكَذا الإسْلامُ قَدْ عَلَّمَنِي
إنَّهُ الإسْلامُ ذو النَّهْجِ السَّديدْ يَمْزِجُ الأخْلاقَ بالعِلْمِ المُفيدْ
وَيُغَذِّي الرُّوحَ والعَقْلَ الرَّشيدْ بشُعاعِ الحَقِّ وَالذِّكْرِ السَّني
هَكَذا الإسْلامُ قَدْ عَلَّمَنِي
إنَّهُ دُسْتُورُ رَبِّ العالَمينْ جاءَ بالتَّوْحيدِ وَالنُّورِ المُبينْ
يُسْعِدُ الإنْسانَ في دُنْيا وَدينْ وَيُقيمُ العَدْلَ سَمْحَ السُّنَنِ
هَكَذا الإسْلامُ قَدْ عَلَّمَنِي
أنا بالإسْلامِ أبْني وَحْدَتي لَمْ تَقُمْ إلَّا عَلَيْهِ أُمَّتي
إنَّهُ المِعْراجُ نَحْوَ العِزَّةِ إنَّهُ حِصْني لِدَرْءِ الفِتَنِ
هَكَذا الإسْلامُ قَدْ عَلَّمَنِي
أرْفُضُ الذُّلَّ وَأجْتاحُ العِدىٰ رابِطَ الجَأْشِ قَوِياً أيِّدا
في سَبيلِ اللَّهِ لا أخْشىٰ الرَّدىٰ أتَحَدَّىٰ كُلَّ باغٍ أرْعَنِ
هَكَذا الإسْلامُ قَدْ عَلَّمَنِي
أنا لي في كُلِّ أرْضٍ وَسَماءْ إخْوَةٌ في اللَّهِ .. جُنْدٌ أوْفياءْ
يَوْمَ أنْ شِدْنا على الدِّينِ البِناءْ لَمْ تُفَرِّقْنا صُروفُ الزَّمَنِ
هَكَذا الإسْلامُ قَدْ عَلَّمَنِي
نَحْنُ أحْفادُ الصَّناديدِ الكِرامْ نَحْنُ أهْلٌ لِلْمُهِمَّاتِ الجِسامْ
في طَريقِ المَجْدِ نَمْضي لِلأمامْ لَمْ نَحِدْ عَنْ دَرْبِنا أوْ نَهِنِ
هَكَذا الإسْلامُ قَدْ عَلَّمَنِي
يا إلٰهي .. كَمْ جَأرْنا بِالدُّعاءْ نَطْلُبُ الغَوْثَ وَتَفْريجَ البَلاءْ
ضاقَتِ الدُّنْيا .. وما ضاعَ الرَّجاءْ يا إلٰهي .. يا عَظيمَ المِنَنِ
هَكَذا الإسْلامُ قَدْ عَلَّمَنِي
هُوَ ذا الفَجْرُ .. وفيهِ الأمَلُ هُوَ ذا عَبْرَ اللَّيالي مُقْبِلُ
دينُنا الهادي .. لَهُ المُسْتَقْبَلُ وَالغَدُ المَوْعُودُ رَغْمَ المِحَنِ
هَكَذا الإسْلامُ قَدْ عَلَّمَنِي

شعر : أحمد محمد الصديق

مكتبة الأمة

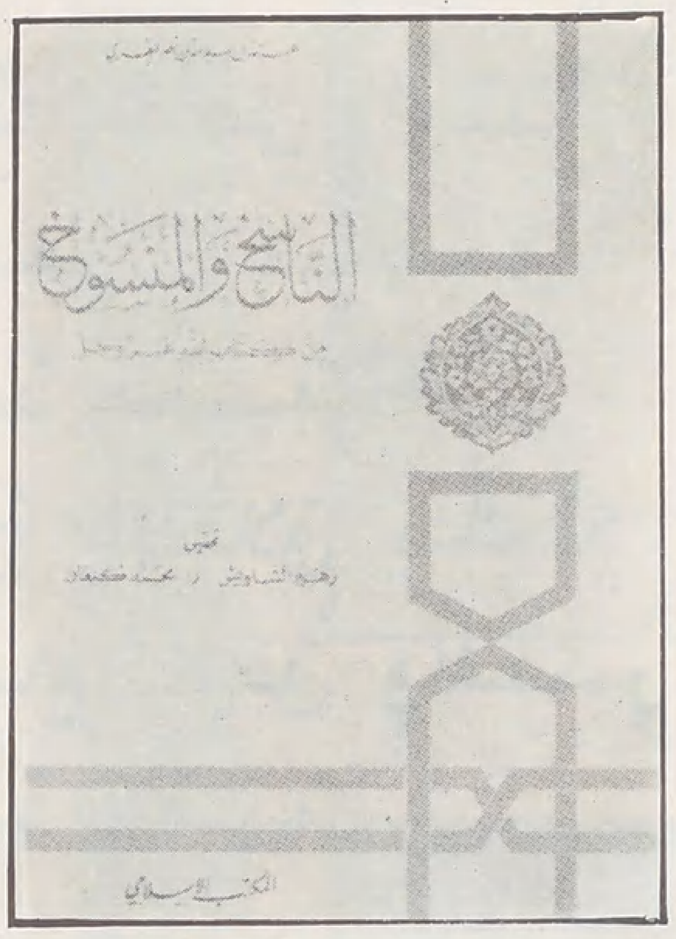

الكتاب : الناسخ والمنسوخ من كتاب الله عزَّ وجل

المؤلف : هبة الله بن سلامة ابن نصر المقري

المحقق : زهير الشاويش - محمد كنعان

الناشر : المكتب الإسلامي

□□ اهتم علماء المسلمين من القديم اهتماماً كبيراً بمعرفة الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل لتستقر الأحكام الشرعية على الثابت المطلوب منها ...

وهذا الكتاب على وجازته، جمع فيه مؤلفه أقوال سابقيه، وصحح أوهام غيره، وقد قام المحققان ببذل المستطاع في تقويم ما اضطرب من عبارة الكتاب بيد ناسخ أو تشويه من ناقل معتمدين على مخطوطة جيدة للكتاب بعد مقارنتها بالنسخة المطبوعة على هامش كتاب «أسباب النزول» للواحدي النيسابوري، وفي الرجوع إلى ما تيسر من مخطوطات ومطبوعات في هذا الفن .. وقاما كذلك بذكر رقم الآية واسم السورة الواردة فيها، وخرَّجا أحاديث الكتاب تخريجاً يناسب الحاجة، وترجما للأعلام الواردة فيه تراجم موجزة، وصنعا له فهرساً يرشد إلى موضوعاته، كما ترجما للمؤلف ...

والكتاب يتألف من مقدمة للمؤلف بيَّن فيها سبب تأليفه الكتاب، ومن الأبواب التالية : باب الناسخ والمنسوخ - باب في تسمية السور التي دخلها النسخ - باب في تسمية السور التي دخلها المنسوخ - باب في تسمية السور التي دخلها الناسخ والمنسوخ - باب في اختلاف المفسرين على المنسوخ - باب في ما ردّ الله على الملحدين - باب في النسخ على التوالي - باب في الناسخ والمنسوخ على نظم القرآن :

وأنهى المؤلف كتابه بذكر السند الذي اعتمده وأخذ عنه ما ذكر . □□

الكتاب : دليل المؤسسات والجمعيات العاملة في مجال المعوقين بالدول العربية

إعداد : المكتب الإقليمي للجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين

طبع في : مطابع الحرس الوطني - الرياض

□□ لا يخفى ما لإعداد مثل هذا الدليل من فائدة تعود بالخير العميم على الجهات الرسمية والعلمية المتخصصة في مجال رعاية المعوقين وخدمتهم وتأهيلهم، وكذلك لطلبة العلم الذين يحضرون الدراسات العليا في هذا المجال ... وكما يقول رئيس اللجنة ... «فكرة عمل دليل للهيئات والجمعيات والمراكز العاملة في ميدان المعوقين، طالما راودتنا، وكان يزيد من إلحاح الفكرة احتكاكنا المستمر مع المنظمات والهيئات الدولية من خلال المؤتمرات والاجتماعات التي تعقد لدراسة وإيجاد حلول للمصاعب والمشكلات التي يعاني منها المعوقون بغرض القضاء عليها أو الحد منها ...» وشكلت لجنة لدراسة ومتابعة هذا الأمر، بدأت العمل في شهر المحرم ١٤٠٣هـ . بعد توفير الكثير من الصلاحيات والإمكانات لها، وانتهت في رمضان من العام نفسه، واستخدم الكمبيوتر لاستخراج المعلومات وترتيبها وإعادة تدقيقها ...

وفي الدليل بيان للمؤسسات والجمعيات العاملة في مجال المعوقين في المملكة الأردنية الهاشمية - دولة الإمارات العربية المتحدة - دولة البحرين - الجمهورية التونسية - الجمهورية الجزائرية الشعبية - المملكة العربية السعودية - سلطنة عمان - الجمهورية العربية السورية - جمهورية السودان الديمقراطية - الجمهورية العراقية - دولة قطر - دولة الكويت - الجمهورية اللبنانية - المملكة المغربية - جمهورية مصر العربية - الجمهورية العربية اليمنية - جمهورية اليمن الديمقراطية .. □□

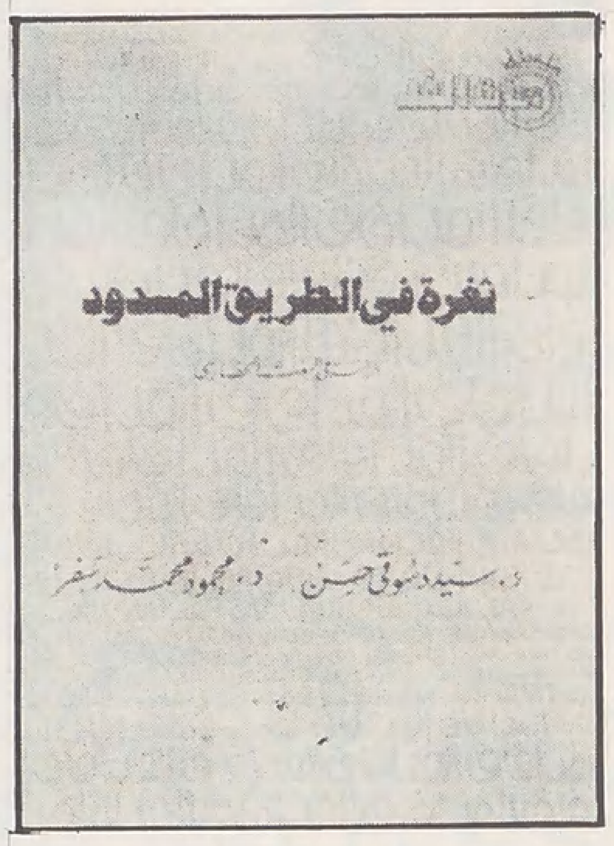

الكتاب : ثغرة في الطريق المسدود

المؤلف : د . سيد دسوقي حسن و د . محمود محمد سفر

الناشر : دار آفاق الغد - القاهرة

□□ لقد اعتاد الكثير من المسلمين إلقاء أسباب ما يعانون من مشكلات، وما يعيشه مجتمعهم من فرقة وجهل وما إلى ذلك على عاتق غيرهم من استعمار وصهيونية وإلحاد وما شابه ذلك تهرباً من الاعتراف بخطئهم وحملهم المسؤولية، وما بهذا يُخدم الإسلام، إنما يخدم الإسلام بالصدق في وصف هذه المشكلات، وبالإنصاف في رؤية الذات الإسلامية كما هي، ورؤية غير المسلمين، كما هم على حقيقتهم، وبعد ذلك يخدم الإسلام باستخدام الوسائل الناجعة وأكثر أدوات التحريك قدرة وفاعلية، تحريك المجتمع نحو أهدافه وغاياته، وبالتعامل الصحيح مع السنن الكونية التي وضعها رب العالمين وأجرى حكمها بين عباده جميعاً ...

وعلى هذا لم تعد القضية الانتصار للإسلام بالحجة والكلمة أو أن يُدافع عنه في وجه تهمة مفترضة، وإنما صارت القضية أن يسهم أي بحث أو دراسة في تحريك وتوجيه واقع المسلمين الذي يجري بهم وسط موج كالجبال من التحديات

القديمة والجديدة ... وهذا البحث الذي نقدمه للقارىء يأتي في هذا السبيل ، فقد « حشدت فيه أجزاء منهج في الإصلاح الإسلامي لا تحركه روح الدفاع عن شيء أو الانتصار لأحد ، كما لا تحركه الحساسيات التاريخية الموروثة التي تهدم الموضوعية وتضيع معها رؤية الواقع ... وإنما يحركه حرص واعٍ على إعلاء القيم والأخلاقيات الأساسية التي هي جوهر الإسلام ، ورؤية دقيقة للحركة الداخلية لعمليات النمو الحضاري ، ومعرفة دقيقة بمكونات هذه الحركة كما تمت في حضارة الغرب ... » كما ورد في تقديم الكتاب « بين يدي الكتاب » الذي كتبه الدكتور احمد كمال أبو المجد ... ويتالف الكتاب من مقدمة واربعة فصول (ديناميكية التحدي - قيود التحدي - شروط موضوعية - عناصر هامة في شحذ الفعالية الاجتماعية للأمة) والحق به بعض الملاحق مثل : « حول كلمة التراث - حول لفظة الفعالية ... » .

والكتاب إنما يضع القارىء المسلم بين يدي المنهج الأساسي للإصلاح ويطوف به على بعض معالمه الرئيسة تاركاً لمؤلفات لاحقة ، ولكتَّاب آخرين أن يسهموا في إتمام صياغة المنهج الجديد ، وتحديد معالم التيار الذي ينتمي إليه ويبشر به .. □□

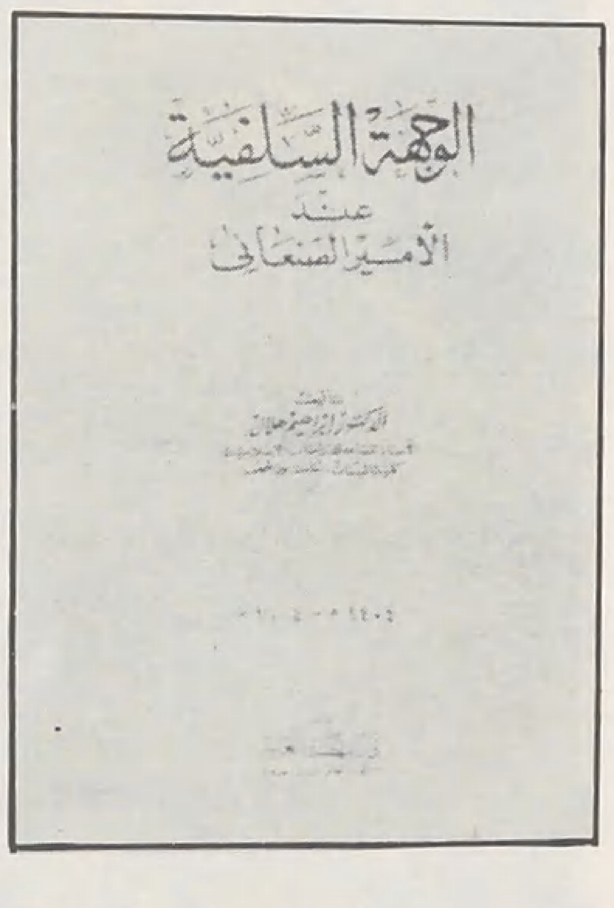

الكتاب : الوجهة السلفية عند الأمير الصنعاني

المؤلف : الدكتور إبراهيم هلال

الناشر : دار النهضة العربية القاهرة

□□ الأمير الصنعاني هو الإمام محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩ - ١١٨٢هـ) درس في اليمن ومكة المكرمة على طريقة اهل الحديث . كان من المنادين بالتمسك بالكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل امر لتحقيق قوله ﷺ :

« لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ابداً : كتاب الله وسنة رسوله ... » وقد سر بظهور الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رغم عدم معرفته به ، بعد وصول الأخبار إليه بظهور عالم في نجد ، ووصول بعض تلاميذه إلى اليمن وإخبارهم عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقامت بينهما مكاتبة إثر ذلك كما يقول مؤلف الكتاب في مقدمته ...

وفي الفصل الأول يتحدث المؤلف عن حياة ابن الأمير التعليمية والمؤثرات الأولى في فكره .

وفي الفصل الثاني يمهد قبل الحديث عن الوجهة السلفية عند ابن الأمير بالتعرف على الوجهة السلفية في ذاتها كما تكلم بها انصارها والمؤسسون لها من أهل السنة ، فجاء تحت عنوان « مدخل إلى الوجهة السلفية » .

وفي الفصل الثالث يتحدث عن الاجتهاد ونبذ التقليد عند ابن الأمير الصنعاني الذي يحدد شروط الاجتهاد بمعرفة علم العربية ، ومعرفة أصول الفقه ، ومعرفة علم المعاني والبيان ، ومعرفة آيات القرآن الشرعية « آيات الأحكام » ومعرفة جملة من الأخبار النبوية ، ويكفي في ذلك معرفة جامع مثل الترمذي ، وسنن أبي داود ، والبخاري ومسلم ... كما يقوم بتفنيد أدلة المقلدين .

وفي الفصل الرابع تحدث المؤلف عن إخلاص التوحيد لله عز وجل وحدوده عند ابن الأمير ، وبين رأي ابن الأمير في « الولاية » وتعريف الأولياء ومن هم ، والمقصود من عبارة « أولياء الله » الواردة في القرآن الكريم ، ورأي ابن الأمير في الكرامات .

وفي الفصل الخامس يبين ما ذهب إليه ابن الأمير من عدم التعويل على علم الكلام في تثبيت العقيدة ، ويوضح رأيه في مسألة الصفات وما يتصل بأمور الآخرة ...

وقد الحق بالكتاب قائمة بأهم مراجع الدراسة . □□

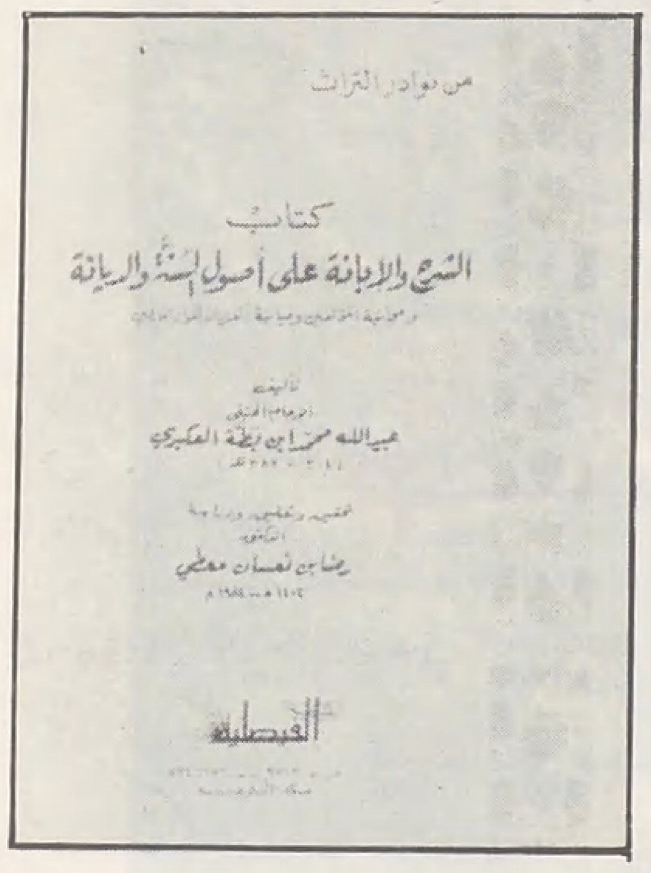

الكتاب : كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة

المؤلف : عبيد الله محمد بن بطة العكبري

المحقق : الدكتور رضا بن نعسان معطي

الناشر : المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة

□□ هذا الكتاب وضعه مؤلفه العكبري رحمه الله لتعريف الناس بما كان عليه النبي ﷺ والصحابة في أمر الدين من اعتقادات وعبادات ومعاملات وآداب ، بعد أن ذر قرن المعطلة والجهمية والمشبهة والجبرية وما إلى ذلك من فرق الله أعلم بحقيقتها وحقيقة نوايا أصحابها ... والكتاب يمثل مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، إمام أهل السنة المدافع عن عقيدة السلف ، فالمؤلف على مذهبه في الأصول والفروع ، وقريب عهد به حيث روى عن تلاميذه ، وهو من علماء الحديث في عصره .. لذا فقد حوى كتابه هذا ما يقرب من خمسمائة من الأحاديث والآثار ...

والكتاب بعد تحقيقه يقسم إلى ثلاثة أبواب وخاتمة :

ترجم المحقق في الباب الأول لمؤلفه ابن بطة العكبري رحمه الله ، حيث تحدث عن عصره ، وحياته ، وشخصيته وتدينه ، وثقافته ، ومؤلفاته ، وشيوخه وتلامذته ...

وجاء الباب الثاني دراسة تمهيدية عرف فيها المحقق بالكتاب وموضوعاته وأقسامه ، وتوثيق نسبته إلى مؤلفه ومصادره ، وقيمته بين الكتب السلفية ، ثم التعريف بالمخطوطة ووصف نسخها وسبب اختيار المخطوطة الأم ، والنسخة المطبوعة وتقييمها ، ومنهج التحقيق والتعليق ...

وفي الباب الثالث ، وهو نص المخطوطة ، وقد قسمها المحقق حسب ترتيب المؤلف لموضوعاتها إلى أربعة أقسام :

الأول : الأحاديث والآثار في وجوب التمسك بالسنة وذم البدعة والفرقة .

الثاني : أصول السنة في العقيدة .

الثالث : بعض السنن الفقهية وآداب الإسلام .

الرابع : البدع .

وفي الخاتمة أشار المحقق إلى أهم النتائج التي تضمنتها التعليقات على المخطوطة ... والحق بالكتاب قائمة بأهم مراجع التحقيق والتعليق ، وفهرساً عاماً لموضوعات الكتاب . □□

المسلمون في الصين بخير.. ولكن!

استطلاع

وخلال زيارة قمت بها للصين الشعبية في الشهر الماضي ، حرصت على التعرف على أحوال المسلمين هناك ، وكان الموضوع بالفعل مدرجاً في جدول الزيارة الذي وضعته لي صحيفة « كوامينج » اليومية قبل وصولي .

المسلمون في الصين

يبلغ عدد المسلمين في الصين الآن أكثر من (١٣) مليون نسمة ، وهناك عشر من الأقليات الصينية تعتنق الإسلام .

وينتشر المسلمون في الشمال الغربي من البلاد ، وبصفة رئيسة في المناطق التي تقع على (طريق الحرير) الممتد من الصين شرقاً حتى إيران والعراق وتركيا غرباً ، إلَّا أنهم الآن موجودون في كل مكان ... في العاصمة بكين في أقصى الشرق ، وفي شنغهاي وكوانشو (كانتون) في أقصى الجنوب ، وفي معظم المدن الصينية يوجد مسلمون ، وتوجد مساجد ، وتطالعك اللافتات بالعربية والصينية (مطعم إسلامي) ، والمطعم الإسلامي لا يقدم الخمر ولا لحم الخنزير ، ويقدم وجبات تماثل وجباتنا ، أهم عنصر فيها لحم الضأن .

كيف دخل الإسلام الصين

اختلف المؤرخون ، ومنهم الصينيون أنفسهم ، في تاريخ دخول الإسلام الصين ، إلَّا أنه من المؤكد أن الصين استقبلت أولى البعثات الإسلامية في عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه (٦٤٤ ـ ٦٥٥م) وأن هذه البعثات استمرت بمعدل بعثة كل أربع سنوات ، وأنها اقامت علاقات طيبة مع امبراطور الصين في ذلك الوقت « تانغ » وبدأ انتشار الدين الحنيف منذ تلك الفترة .

وخلال ثلاثة عشر قرناً من انتشار الإسلام في الصين ، ظهر عدد كبير من الأئمة الصينيين ، عكفوا على دراسة الدين وزاروا الحجاز والعراق ومصر ، لأداء الحج أو للدراسة بالأزهر الشريف ، ومن بينهم « **دون هوان** » الذي عاش في أواسط القرن الثامن الميلادي ، وزار بلاد العرب وألف كتاباً عنوانه (**رحلة إلى بلد الكتاب**) سجل فيه أحوال العرب والمسلمين ، ولا يزال هذا الكتاب مرجع المسلمين في الصين في أمور الدين .

القرآن في الصين

عرف المسلمون الصينيون معاني القرآن عن طريق أئمة المساجد ، وقد جمع هؤلاء معاني بعض السور في كتاب أسموه (**خاتمة القرآن**) وتضم سور : الفاتحة ، ويس ، والملك ، والطارق ، والأعلى ، والضحى ، والانشراح ، والقدر ، والزلزلة ، والتكاثر ، والعصر ، والفيل ، وقريش ، والماعون ، والكوثر ، والكافرون ، والنصر ، والمسد ، والإخلاص ، والفلق ، والناس .. ثم ظهرت مجموعات أخرى من (**خاتمة القرآن**) تضم بعض الآيات من سور : البقرة ، وآل عمران ، والفتح ، ويس ، والملك ، وجزء « عمَّ » .

وفي القرن السادس الميلادي ، ظهر الإمام (يوتشاو) ، وهو أول من دعا إلى تأسيس الكتاتيب بعد عودته من الحج ، وكانت تدرس القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة

■ بعد تلاوة القرآن الكريم ودرس العلم الشرعي ■

■■ تبدو الفرص متاحة الآن ، أكثر من أي وقت مضى ، للتعرف على ملايين المسلمين في الصين الشعبية ، ومد يد العون لهم ، وإقامة روابط وثيقة معهم .

الدولة نفسها في الصين ، تسعى إلى ذلك بعد سياسة الانفتاح الجديدة ، فهم بالنسبة لها نافذة يمكن أن تخرج منها إلى عالم أرحب وإنشاء علاقات صداقة معه .

والمسلمون يتوقون إلى ذلك ، فهم يحاولون وسط ظروف صعبة التمسك بتعاليم دينهم والحفاظ عليه .

وهم يعرفون كل شيء عن المسلمين في غربي آسيا والعالم العربي ويتابعون قضاياهم ، ويناصرونهم فيها ، ولكنهم يشعرون بتجاهل المسلمين لهم .. وهذا يؤلمهم ■■

بقلم : علي ماهر

باللغتين العربية والصينية ، وفي الفترة الأخيرة من القرن السابع عشر ، والنصف الأول من القرن الثامن عشر ، كثر الأئمة والعلماء المسلمون وكانوا يجمعون بين اللغتين الصينية والعربية ، وظهر منهم عدد كبير خاصة في مدينة (نانكين) العاصمة الجنوبية للصين .

لكن أكمل ترجمة لمعاني القرآن الكريم ، لم تظهر إلَّا في منتصف القرن الحالي ، وقد عكف على ترجمتها الأستاذ (**محمد مكين ماجيان**) ، الذي درس بالأزهر الشريف ثماني سنوات في الفترة من ١٩٣١م وحتى ١٩٣٩م ، وظهرت هذه الترجمة عام ١٩٥٢م ، ولا تزال هي المرجع الأساسي لمسلمي الصين الذين لا يتحدثون العربية ، وإن كان الأئمة يجيدون العربية خاصة كبار السن منهم .

المسلمون في ظل دولة شيوعية

ورغم أن دستور جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م ، بعد الثورة الشيوعية قد نص في مادته السادسة والأربعين ، على المساواة بين القوميات وحرية المعتقدات الدينية ، إلَّا أن المسلمين الصينيين عانوا كثيراً ، كغيرهم من أبناء الأقليات والديانات ، من سياسة عصابة الأربعة في الصين برئاسة (**لين بياو**) في الفترة من ١٩٦٦م وحتى ١٩٧٦م ، فقد أغلقت المساجد ، واضطُهد الأئمة ، ونُقلوا جميعاً للعمل بالمزارع والمصانع في أعمال يدوية ، وأهملت الدولة حقوقهم كلها ، وكان كل من يجهر بتدينه أو إسلامه يعد رجعياً !!

وتغيرت الصورة منذ عام ١٩٧٨م ، فأعادت الدولة فتح المساجد وبدأت ترميمها ،

■ صلاة عيد الأضحى في مدينة « شيان » ■

■ التهاني بعيد الأضحى بعد الصلاة ■

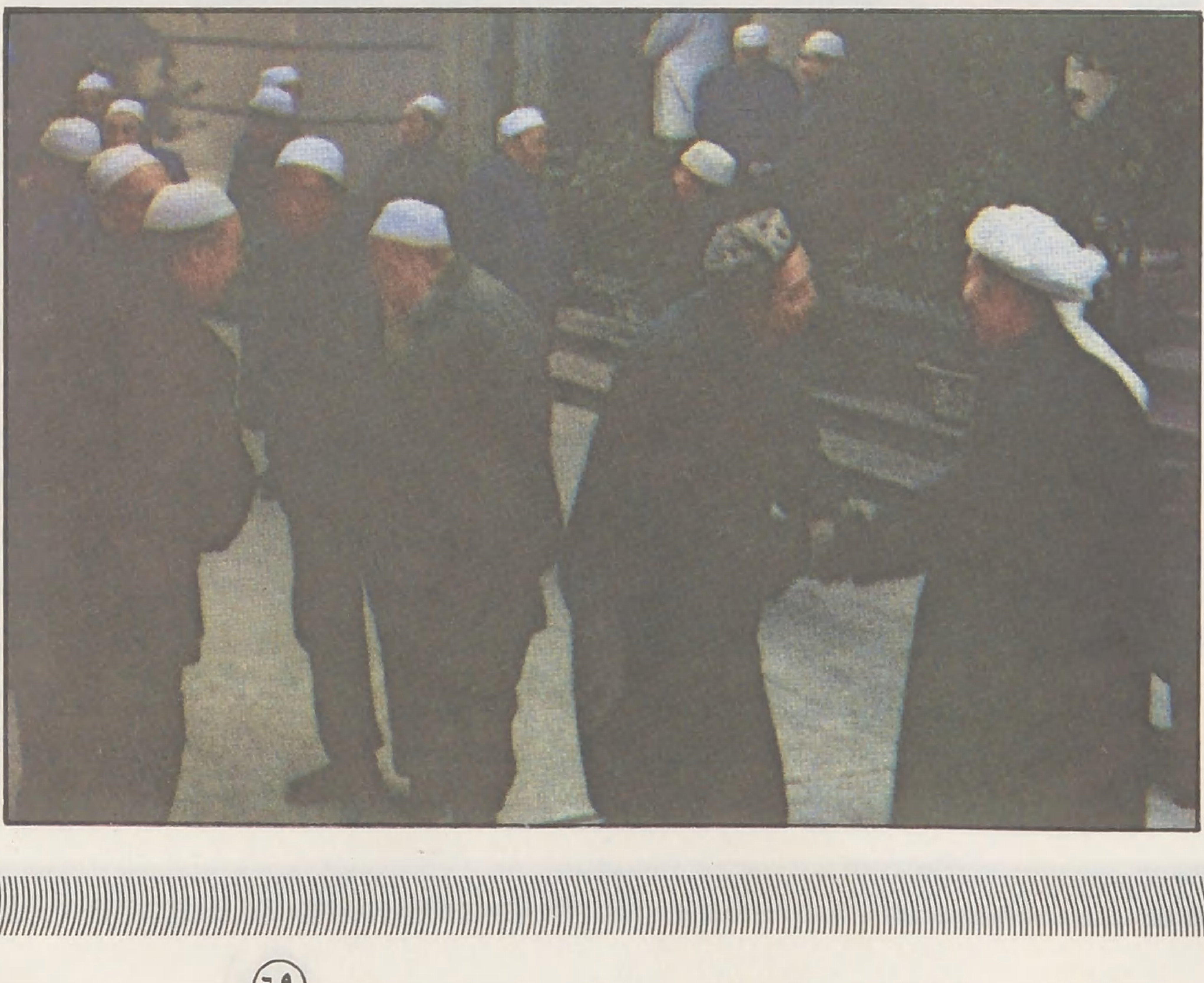

المسلمون في الصين بخير... ولكن !

استطلاع

وانعقد رسمياً في بكين (أبريل [نيسان] ١٩٨٠م) المؤتمر الرابع للمسلمين في الصين وانتخب هيئة جديدة للجمعية الإسلامية الصينية ، واحتفل المسلمون رسمياً بمقدم القرن الخامس عشر الهجري .

وتحرص الدولة الآن على إبراز الحرية الدينية للمسلمين ، ويجهر المسلمون بإسلامهم ، ويصلون في مساجدهم خاصة صلاة الجمعة ، ويحتفلون بالعيدين في المساجد .

المساجد في الصين

والمساجد الصينية لها طابع خاص ، هو الطابع الصيني ، فهي لا تشبه مساجدنا ، بل هي أقرب إلى القصور الصينية التقليدية : النقوش الإسلامية تكتب بالعربية والفارسية والصينية ، والمنبر يتوسط فناء المسجد ويعلو قليلاً عن الأرض ، والمساجد تحيطها الحدائق من كل جانب ، ولا توجد لها مآذن عالية .

في العاصمة بكين مسجدان قديمان ، جامع (دونغسي) ويتسع لحوالي (٧٠٠) شخص ، وهو مسجد أثري له صحن كبير مكشوف ، أعمدته من الخشب المنسق وفق الطراز الصيني ، وقد أعيد ترميمه عام ١٩٧٦م بعد أن أغلق طوال الثورة الثقافية ، وأصبح المسجد الرسمي في الدولة ، حيث يؤدي فيه السفراء العرب والمسلمون وكبار الزوار صلواتهم خاصة في الأعياد وخلال شهر رمضان المعظم وفي المناسبات الدينية .

أما المسجد الثاني فهو مسجد **(نيوجيه)** وهو مزخرف بالخطوط المذهبة ، والرسوم الزاهية . وقال لي المسؤولون الصينيون : إنه تم أخيراً رصد نحو (٢٠٠) مليون دولار من قبل الدولة لترميمه وإصلاحه باعتباره أثراً قومياً .

وهنا لا يخفي المسؤولون الصينيون ، أنهم يهتمون بترميم المساجد والكنائس والمعابد البوذية ، لقيمتها الأثرية التاريخية والسياحية ، وليس من منطلق رعاية الأديان أو بناء المساجد .

لقاء في شيان

كان لقائي بالمسلمين في الصين في مدينة (شيان XI,AN) وهي مدينة قديمة ، وتعد أول مدينة دخلها الإسلام في الصين ، فقد وصلتها أول بعثة إسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عام ٦٥١م ، وكانت وقتئذٍ عاصمة للصين في عهد أسرة « تانغ » .

وتقع شيان إلى الجنوب الغربي من بكين ، ويرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة ، وكانت عاصمة للصين في بعض فترات التاريخ القديم ، وفيها متاحف لأقدم الحقب الصينية ، ولا يزال فيها أكبر تجمع للمسلمين في الصين .

في المسجد الكبير في شيان ـ وهو تحفة أثرية قديمة ـ استقبلني الإمام **(ما لينجيه)** إمام المسلمين في المدينة مقدماً نفسه **الحاج محمد يونس** سألته و **ما لينجيه** .. ضحك قائلاً : الأئمة في الصين لهم اسمان .. اسم صيني واسم إسلامي .. وهنا أحب أن أخاطبك كمسلم بالاسم الإسلامي .

●● قال لي الحاج الإمام **محمد يونس** :

... المسلمون في الصين أحسن حالاً الآن ، عددهم يصل إلى نحو (١٣) مليوناً ، وفي هذا الإقليم (مقاطعة شنشي) وحدها (١١٠) آلاف منهم (٥٠) ألفاً في شيان .. معظم المسلمين يتواجدون في غربي الصين ، فالإسلام جاء عن طريقين : من الجنوب عن طريق ماليزيا

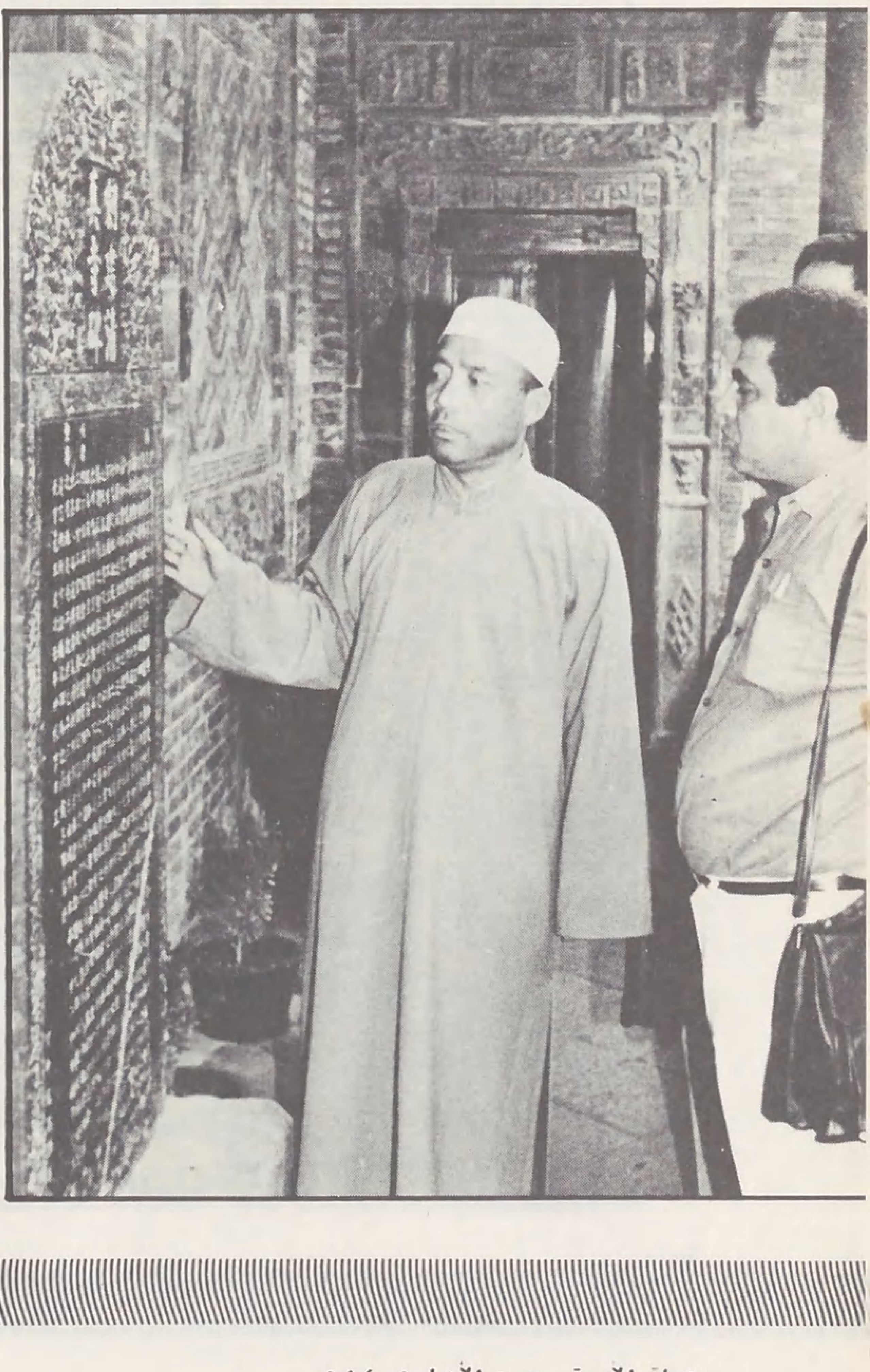

■ الحاج محمد يونس يتحدث عن الزخارف ويقرأ الآيات القرآنية المكتوبة على جدران المسجد الكبير في « شيان » .. ■

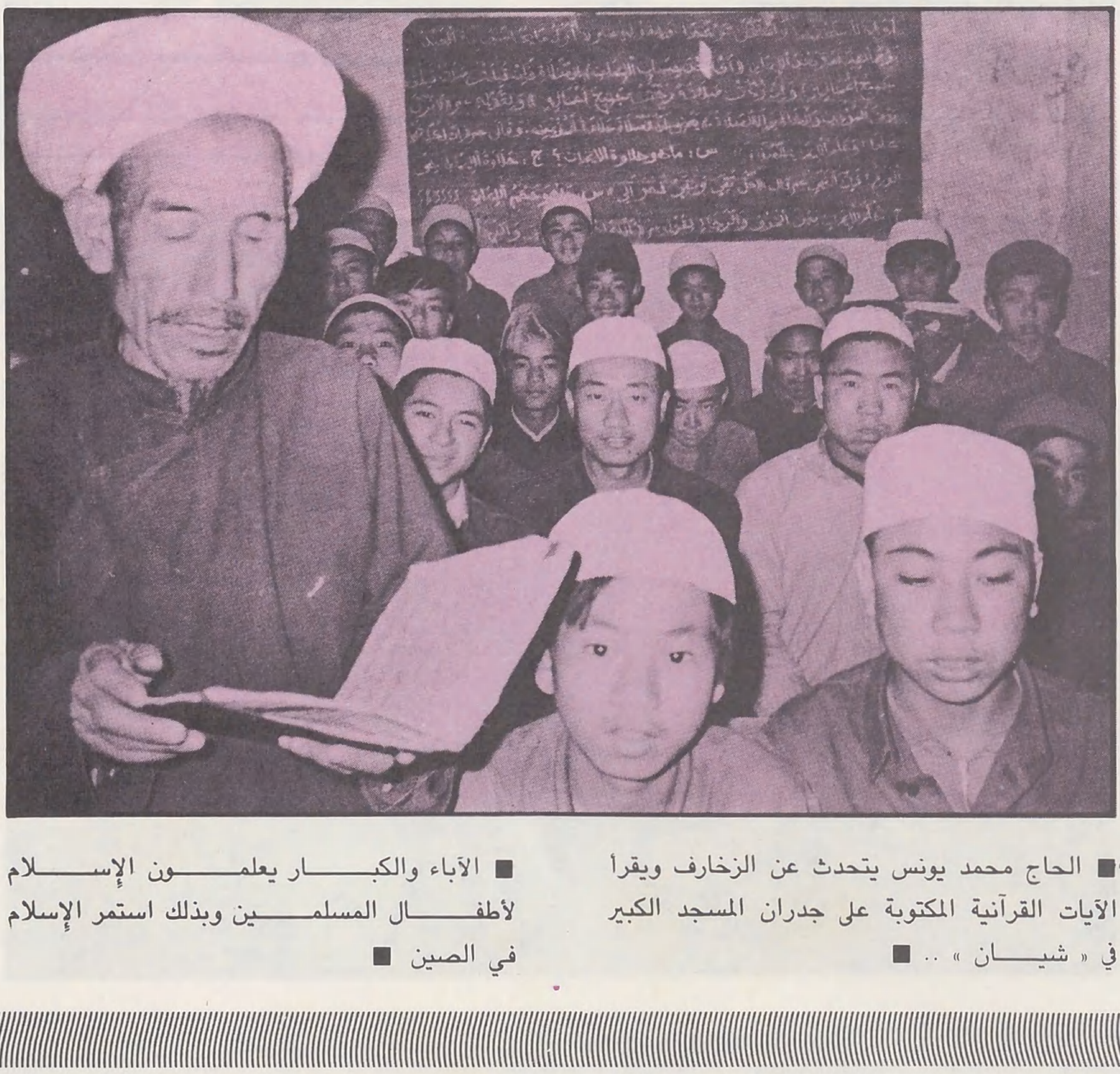

■ الآباء والكبار يعلمون الإسلام لأطفال المسلمين وبذلك استمر الإسلام في الصين ■

■ أمام المسجد الكبير في « شيان » ■

■ ١٣ مليون مسلم يتطلعون إلى الحج ؛ ولم يستطع ذلك منهم إلَّا مائة وعشرون تقريباً .

واندونيسيا ، ومن الشمال عن طريق الحرير وقوافله التي كانت تتجه شرقاً للتجارة .

قال الإمام يونس :

... إن المسلمين حافظوا على دينهم رغم التحديات الصعبة التي واجهتهم .

□ البعد المكاني عن قلب الأمة الإسلامية في الحجاز ومصر والعراق .

□ الظروف السياسية التي تحيط بهم كأقلية مضطهدة ، وقد تعرضوا لذلك خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر في عهد الأباطرة ، كما تعرضوا له أيضاً خلال فترة حكم عصابة الأربعة .

ولكن ـ كما يقول الحاج يونس :

... إن التحديات لا تزيد المؤمن إلَّا إصراراً .

●● كان الإمام يتحدث معي بلغة عربية سليمة ، وحوله عدد من المسلمين جاؤوا للترحيب بمسلم جاء من مصر ، وكان حريصاً طوال حديثه على الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .. وبدا لي واضحاً أنه ليس ملماً فقط بأمور الدين .. ولكن بالتاريخ الإسلامي ، وحياة الخلفاء والأئمة وقضايا المسلمين .

قال الإمام يونس :

« ... أوضاعنا الآن في تحسن ، المساجد أعيد فتحها ، والدولة اعترفت بنا كائنة ووعاظ ، وأصبحت لنا حياة مستقرة ، كل مسلم له عمل يرتزق منه ، نعلم أولادنا أمور الدين في المساجد بعد صلاة العشاء وفي يوم الجمعة بعد الصلاة ، نحتفل بصوم رمضان وبالعيدين ، نجمع الزكاة ونوزعها على فقراء المسلمين ، (يلاحظ أن الزكاة قليلة بسبب ضعف مستوى الأجور في الصين) .. الجيل القديم يعلم الجيل الجديد .. والأب يعلم أولاده ، وبذلك نتوارث التعاليم الدينية .. نحن مسلمون سنَّة نتبع مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله .. نحن الذين نصرف على المساجد وعلى طبع الكتب الدينية ونتولى إدارة شؤوننا الدينية . »

الدولة والمسلمون

■■ وحول العلاقة الحالية بالدولة ، قال إمام شيان :

ـ الآن الدولة تعترف بنا كأقلية مسلمة .. لنا حقوق المواطن الصيني العادي في الحقوق المدنية ، ولنا بعض الامتيازات كمسلمين ، لتتوافق مع أمور ديننا ...

■■ وما معنى بعض الامتيازات ؟!

ـ عندما صدر منذ سنوات قانون تحديد النسل بابن واحد لكل أسرة ، استُثني المسلمون منه حيث سُمح بولدين لكل أسرة منهم .

الموتى من غير المسلمين يحرقون ، بينما يسمح لنا بدفن موتانا في التراب .

المسلمون يحصلون على إجازة من أعمالهم في العيدين .

هذا ما قصدته ببعض الامتيازات ... أما باقي الأمور فتتم في نطاق الدولة ووفق قوانينها .. المسلمون ممثلون في المجالس المحلية كافة ، وعلى نطاق المحافظة والدولة كمواطنين صينيين وليسوا كمسلمين .. في مقاطعة (شنشي) وحدها عشرون مسلماً في مجلس المقاطعة الذي يضم (٧٠٠) عضو .

زواج المسلمين في الصين

قال الإمام محمد يونس :

... المفروض أنها تتم جميعاً في نطاق الدولة ، وهذا ما يكسبها قانونيتها ، ولكن بالنسبة لنا تمر في مرحلتين : مرحلة شرعية إسلامية ، تتم في المسجد ، وهي عقد قران إسلامي أقوم به .. وأسجل وثائقه بالمسجد .. والمرحلة الثانية وفيها يذهب العروسان إلى مكتب السجل المدني بالدولة لتسجيل زواجهما ، كأي مواطنين .

■■ وإذا تزوج مسلم في السجل المدني ، ولم يحضر للزواج الشرعي ، وإذا تزوجت مسلمة بغير مسلم ؟

ـ من وجهة نظر الدولة ، هو زواج رسمي ،

المسلمون في الصين بخير... ولكن !

استطلاع

ولكن من وجهة نظرنا فهو غير شرعي .. وغير إسلامي .. وابتسم لي وهو يقول :

... ولكن ذلك لا يحدث فالمسلمون هنا متمسكون بإسلامهم .. وروابطهم العائلية قوية لا تنفصم ، وهم حريصون على الزواج من بعضهم بعضاً ، بل إننا نشهد الآن موجة من الشبان - غير المتدينين - يلتحقون بالإسلام .

●● [لاحظت بنفسي خلال زيارتي للصين ، اهتمام الشباب من الجيل الجديد ، بالعودة إلى الدين ، وأن يكونوا منتمين إلى ديانة أو عقيدة .. بعضهم يصبح مسلماً والآخر نصرانياً والكثير يتردد على المعابد البوذية القديمة] ●●

■■ وحول إجراءات الطلاق ؟

- إجراءات الطلاق في الصين ليست سهلة ، وأعتقد أن ذلك موافق لروح الإسلام الذي جعله أبغض الحلال إلى الله ، ويجب أن تكون له مبرراته ، وعند وجود سبب قوي نوافق عليه ، وتوافق عليه الدولة ...

أما تعدد الزوجات فهو ممنوع بنص القانون الوضعي ، إلَّا أنه يمكن للمرء أن يطلق زوجته ويتزوج من غيرها ...

عادات المسلمين في الصين

■■ وعن أهم عادات المسلمين قال :

- في عيد الفطر يصنعون الكعك والحلوى الشرقية ويهدونها لبعضهم بعضاً .. وفي عيد الأضحى ، ينحرون الأضاحي ويتناولون الطعام سوياً في صحن المسجد .. أو في مقر النادي الإسلامي في بكين والمدن الكبرى .. يؤدون صلاة العيد في الخلاء أمام المساجد متمسكين بالسنة في ذلك .. ويحرصون عند دخول المسجد على ارتداء الجلباب وغالباً ما يكون أبيض اللون .

حديث الأشجان

■■ وحول المشكلات التي يعاني منها مسلمو الصين قال وهو يبتسم ابتسامة محزون :

- هذا حديث الأشجان .. **إننا نشعر بالغربة عن عالمنا الإسلامي .. نشعر أن المسلمين نسوا أن هناك (١٣) مليون مسلم في الصين ، يحافظون على دينهم وسط ظروف صعبة ... إننا نتابع كل قضايا المسلمين ، ونؤيد قضاياهم .. نؤيد حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه المغتصبة ، ونطالب بعودة المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين إلى أيدي المسلمين ، وليتنا نستطيع التطوع دفاعاً عنه ... نطالب بوقف الحرب الإيرانية العراقية لأنها حرب بين دولتين إسلاميتين ، ورفع السلاح بين مسلم ومسلم حرام ، نؤيد جهاد شعب أفغانستان ضد الاحتلال السوفييتي ... كل قضايا المسلمين نعرفها ، ونؤيدهم فيها وليتنا نستطيع المساهمة في حلها ، ولكننا لم نُدع إطلاقاً إلى أي مؤتمر إسلامي شعبي أو رسمي .. الدولة الآن في الصين تسمح لنا بذلك إذا تلقينا دعوة بل هي ترحب به .. لكن هذه الدعوة لم توجه لنا حتى الآن .**

هناك أيضاً مشاكلنا الخاصة هنا كمسلمين في أقصى الشرق .. وحلها لن يكون إلَّا بأيد إسلامية ..

ومضى الرجل مندفعاً يقول :

... إن دخولنا قليلة ، ولذلك فمصروفاتنا محدودة ، لقد نسخ أجدادنا القرآن الكريم وما نزال ننسخه ، لأننا لا نملك تكاليف طباعته بأعداد كبيرة ، الأجيال الجديدة لا تعرف العربية ، والكتاتيب اندثرت ، ونريد

■ مطلوب مدارس لتعليم اللغة العربيّة وأمور الدين . ■

■ المسجد في الصين له طابع خاص شبيه بالقصور الصينية التقليدية .. والنقوش تكتب على جدرانه بالعربية والصينية والفارسية ■

■ الدولة ترحب الآن بعلاقات المسلمين مع الدول الإسلامية .

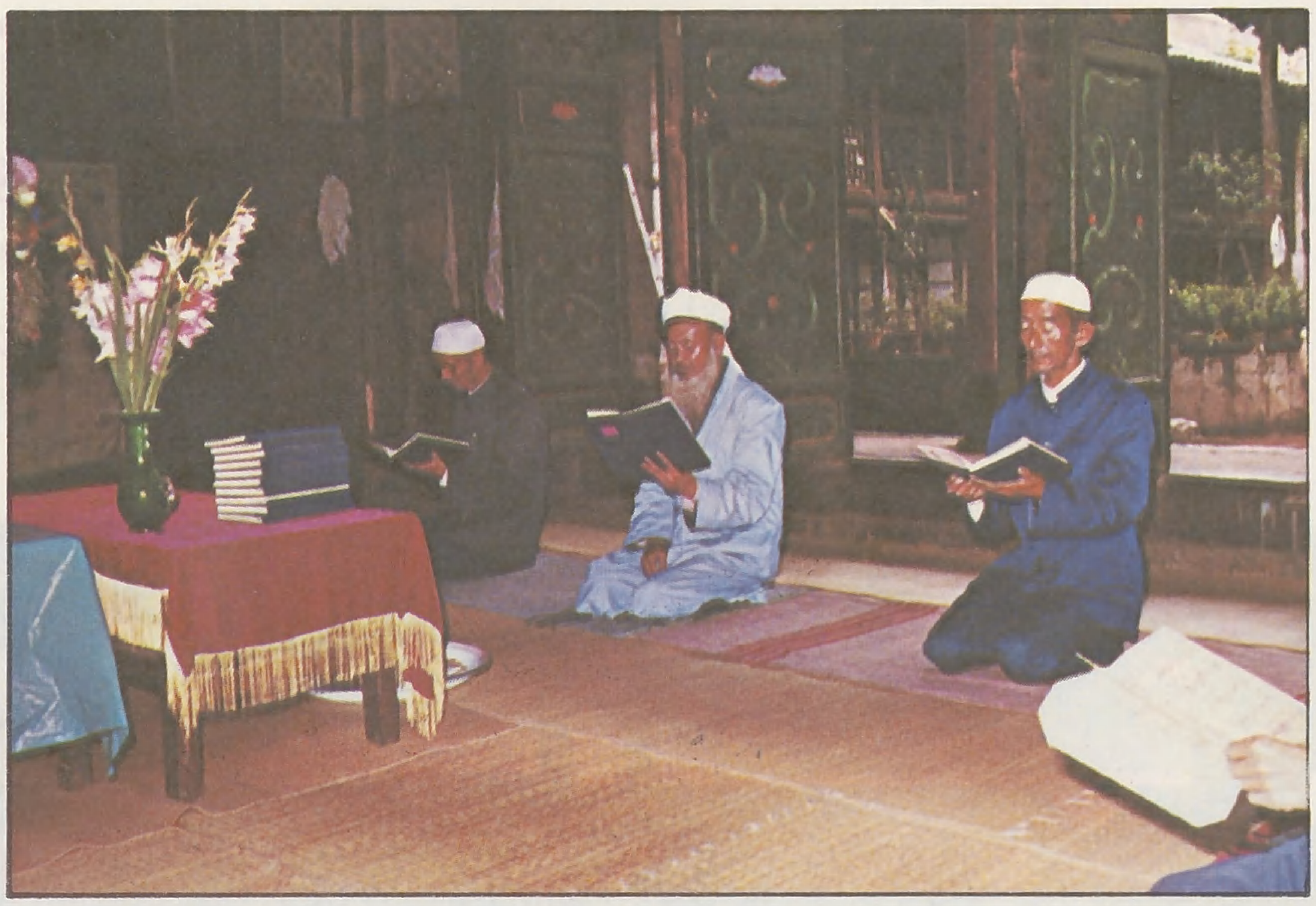

■ المسجد كان ولا يزال المكان الأهم لدراسة العلوم الشرعية ■

■ مطبوعات القرآن وتفاسيره لا تكفي والبعثات العربية قليلة ■

فتحها من جديد وأن تكون ملحقة بالمساجد ، دراسة العربية قاصرة على الجامعات التي لا تشترط الإسلام لدخولها ، والطلبة المسلمون كغيرهم من الطلبة قد يلتحقون بها وقد لا يلتحقون . وهم لا يهتمون بأمور الدين قدر اهتمامهم بأمور اللغة لخدمة الدولة ؛ نريد تعليم العربية لكل أبناء المسلمين ، وهم لا يعرفون منها سوى الفاتحة وبعض قصار السور لتأدية الصلاة ، وحتى الآن نقوم بشرح مبادىء الدين بالصينية فليست لدينا إمكانات تفرغ عدد من المعلمين ، لتدريس العربية لأبنائنا . فالكل يعمل .. وأنا أعلم كدارس للعربية من الجيل القديم أن كل مسلم يجب أن يدرس العربية ليعرف كيف يقرأ القرآن بلغته .. ونظر الإمام إلى السماء وهو يقول : « **لا يمكن أن تدرك عظمة القرآن إلَّا عندما تقرأه بالعربية** » .

الحـج

ومضى **الإمام يونس قائلاً** :

الحج بالنسبة لنا مشكلة كبيرة .. الدخول قليلة ، وكان الحج ممنوعاً من قبل الدولة حتى ست سنوات مضت ، ثم بدأت الدولة توافق على سفر بعثة حج رسمية .. لكن عددها لا يتجاوز عشرة أو عشرين عضواً من كبار الأئمة ، ونحاول أن نعالج ذلك بجهودنا ، وبمواردنا وهي محدودة ، وتمكنا في العام الماضي من تسفير نحو (١٢٠) حاجاً فقط - تصور - من (١٣) مليون مسلم لا يزيد حجاجه عن بضع عشرات !

■■ **دعنا نحدد مطالب المسلمين في الصين .**

- **أن يعرف المسلمون أن هناك (١٣) مليون مسلم يتطلعون إليهم في الصين ليساعدوهم في نشر الدين وتعلم العربية ، في بناء المساجد وإلحاق الكتاتيب بها لتعليم العربية ، في نشر الكتب الإسلامية وطبعها ومدهم بالمصاحف وخاصة المرتل منها فقد سمعناه ، ولكن ليست لدينا سوى نسخ محدودة ، ومساعدتنا في أداء فريضة الحج ، وتخصيص عدد محدود في الجامعات الإسلامية والعربية كلها لأبناء المسلمين في الصين للدراسة فيها .**

هل تتصور أن جميع علمائنا من كبار السن كانوا من خريجي الأزهر الشريف ، وظلت بعثات الأزهر قائمة حتى جاءت الثورة الثقافية وأوقفتها ؟! الآن يوجد لنا عشرة طلاب يدرسون بالأزهر .. ولكن أين الجامعات الإسلامية الأخرى .. لو منحت كل جامعة إسلامية - خاصة الجامعات العربية منها - عشر منح سنوياً لمسلمي الصين ، لأصبح لدينا آلاف الدارسين الصينيين .

■■ **وهل توافق الدولة الآن على ذلك ؟**

[هنا أجاب مرافقي الصيني]

- إن الصين في ظل سياسة الانفتاح الجديدة ، توافق على ذلك بل ترحب به .

ومضى إمام مدينة (شيان) يقول :

... إننا نفكر في بناء فندق إسلامي في هذه المدينة الإسلامية ، وعرضنا الأمر على الوفود الإسلامية والعربية التي زارتنا .. من الكويت وسلطنة عمان والمغرب وتونس ومصر وغيرها .

فهذا بلد سياحي أثري ، وبناء فندق إسلامي سيدر علينا دخلاً ثابتاً نستطيع في ظل الظروف الاقتصادية الجديدة في الصين أن نمول منه بناء المساجد وفتح المدارس وتمويل دراسة أبنائنا لأمور الدين في الخارج ، وزيادة عدد الحجاج .. وقبل ذلك كله ، نريد أن نشارك في المؤتمرات الإسلامية ، وفي قضايا المسلمين فنحن منهم .. وإذا كانت المشاركة في المؤتمرات الرسمية غير ممكنة الآن ، فيجب أن نشارك في المؤتمرات الشعبية الإسلامية .

وعندما كنت أودعه ، كان السؤال يتردد في ذهني .. ترى هل من طريق لمساعدة المسلمين في الصين ؟

بقلم الدكتور: فاروق مساهل

■■ المدخنون من المسلمين هم إخواننا في الدين ، لهم علينا كامل حقوق الأخوة التي أمرنا بها المشرع الكريم ، ومن هذه الحقوق تقديم النصح لهم بكل الأدب والاحترام ، وبما يحمله من حب لهم ، وحرص عليهم فالرسول ﷺ يقول : « الدين النصيحة » ، قلنا لمن ؟ قال : « للّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1] ، بل إننا إذا لم نقم بتقديم النصيحة لهم نكون قد قصَّرنا نحوهم ، ولم نؤدِّ واجبنا الشرعي تجاههم ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

« المؤمن مرآة المؤمن ؛ والمؤمن أخو المؤمن ؛ يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه »[2] .

أما من جانبهم فنحن نتوقع منهم قبول النصيحة بصدر رحب ، وتفهم كامل ، وتجاوب بناء ، ولم لا ، فهي صادرة من أخٍ لهم ، يرجو لهم كل صحة وعافية وسعادة ، لا من أجل مصلحة ذاتية ، وإنما سعياً وراء ثواب الله سبحانه وتعالى ، وحسن جزائه . ■■

نصيحة من القلب إلى المدخن المسلم

وتمتد نصيحتنا هذه إلى إخواننا التجار المسلمين ، الذين يقومون باستيراد الدخان والاتجار فيه ، فلربما غاب عن أذهانهم ما يلحق بإخوانهم المدخنين من ضرر مادي وصحي ، علماً بأن مجال الربح الوفير فيما لا يؤذي مسلماً متنوع ومفتوح .

ثم نتوجه بهذه النصيحة أيضاً إلى المسؤولين في كل بلد إسلامي ، مؤكدين أنه لم يزاولنا أدنى شك في إخلاصهم تجاه إخوانهم المواطنين ، وأن أسلوبهم في التوعية الصحية نابع من رغبة أكيدة ، ونيَّة صادقة مخلصة ، ونبرئهم من تهمة القصد في وضوح التناقض بين ما يبذلونه من جهد مشكور في مضمار الارتقاء بالمستوى الصحي لشعوبهم ، في الوقت الذي يقابله تسهيلات جمركية وتجارية جعلت الدخان سهلاً وميسوراً وفي متناول الجميع ، وما يصاحب ذلك من ضررٍ يقين محقق على الفرد والمجتمع .

وقطعاً هو خطأ حسابي غير مقصود حينما يظنون أن حصيلة المال العائد من الضريبة على الدخان هي زيادة في الدخل القومي ، بينما أضعاف أضعاف هذا المال يُفقد بانخفاض الإنتاج العام للدولة بسبب إجازات المدخنين المرضية ، والعجز الواضح الناتج عن أمراض التدخين ، وبزيادة نسبة الوفيات الناشئة عن هذه الأمراض .

وقلما تجد هذه الأيام صحيفة

سيارة ، أو مجلة علمية ، لا تتحدث عن التدخين وأثره على صحة الناس ، سواء المدخن نفسه ، أو عائلته أو أصدقائه أو حتى الجنين في بطن أمه ، كذلك تزخر المكتبات بالمؤلفات عن التدخين وما يتصل به من الفقه والمرض ووسائل الإقلاع عنه ، وطرق العلاج منه .

وليس في نيتي مطلقاً أن يكون حديثي هذا تكراراً لما قيل وما كُتب ، إنما أردت منه أن يكون حديثاً من القلب إلى القلب ، وعندي من الأسباب ما يجعلني أطلب من أخي المدخن الانتباه إلى هذه النصيحة ، وإعطاءها حقها من التمعن والاهتمام :

أولاً : هي من مسلم إلى مسلم .

ثانياً : ليس من ورائها أي مكسب أو مغنم ، سوى محاولة تبصير المدخن بما لم يُحط به خبراً ، وتحذير من يرى في نفسه ميلاً نحو التدخين ، ﴿ **يا قَوْم لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾ (**هود : ٥١**) ﴿ **إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ**

ما اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (هود : ٨٨) .

ثالثاً : إني ـ بحكم عملي ـ أرى من الأهوال والمصائب التي تحل بالمريض بسبب التدخين ، ما يجعلني أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجنِّب كل مسلم ومسلمة على وجه هذه الأرض عواقب وشرور التدخين .

لا بد وأن يعلم إخواننا من بني ملّتنا أن التدخين هو مؤامرة محكمة التدبير ضدنا يريد بها أعداؤنا أن يحيلونا إلى أمّة ذات كيْفٍ ومزاج معين ، تسعى وراء إرضاء كيفها بالتدخين ، وهدفهم من ذلك هو إصابتنا بأعتى الأمراض وأعصاها على العلاج ، صارفين أموالنا على شراء الدخان في البداية ، ثم على محاولة علاج أمراضه في النهاية .

وهذه حقيقة مؤلمة ... فنتيجة لغط الجهات الصحية وجمعيات مكافحة التدخين في بلاد الغرب ، اتخذت الحكومات ومؤسسات الدخان خطوات للحد من انتشار التدخين بين مواطنيها في محاولة للتقليل من أمراضه بينهم ، مثل رفع الضرائب على الدخان ، ووقف الإعلانات عنه ، وخفض نسبة القطران فيه ، وتوعية المواطنين ضد أخطار التدخين ، فنتج عن ذلك انخفاض نسبة المدخنين بشكل ملحوظ[1] ، ولو استمر الوضع على هذا المنوال لانهارت صناعة الدخان في الغرب في وقتٍ ليس بالبعيد .

لكن مؤسسات الدخان ـ بإداراتها اليهودية والاستغلالية ـ استفادت من حرية الاستيراد ، وانعدام الوعي الصحي في بلادنا الإسلامية ، وعدم كفاية القوانين الحامية لصحة الناس فيها ، فغمرت أسواقنا بكل أنواع التبغ الملفوف وغير الملفوف ، وحدث ما هو متوقع :

- تضاعفت كمية المدخنين في ليبيا أضعافاً مضاعفة .
- أصبحت مصر تدخِّن خمسة أضعاف ما تدخنه بريطانيا ، وبلغت نسبة المدخنين فيها ٧٥٪ من مجموع الشعب المصري .
- حصّة المدخن من دول الخليج ثلاثة أضعاف المدخن الأمريكي والأوروبي .

أفبعد هذا يغفل علينا قصدهم ومأربهم ؟ ولماذا هذا السخاء في غمر أسواقنا بالدخان ، بينما يضنون علينا ـ مثلاً ـ بالسلاح للدفاع عن أنفسنا ؟ أو بالطعام ، أو بالأجهزة غير الاستهلاكية ؟

بل إن الجهات الطبية المحايدة في بلاد الغرب هبّت للدفاع عنا ، ومهاجمة شركات الدخان التي تعوّض خسائرها في الدول الغربية بسلب أموال وشعوب دول العالم الثالث ، وتركها تئن وتتوجع ثم تموت تحت ضربات أمراض التدخين التي لا ترحم .

وتعال معي أخي المدخن أخبرك بأهم

مالا يعرفه الناس عن التدخين

هل الى خروج من سبيل ؟

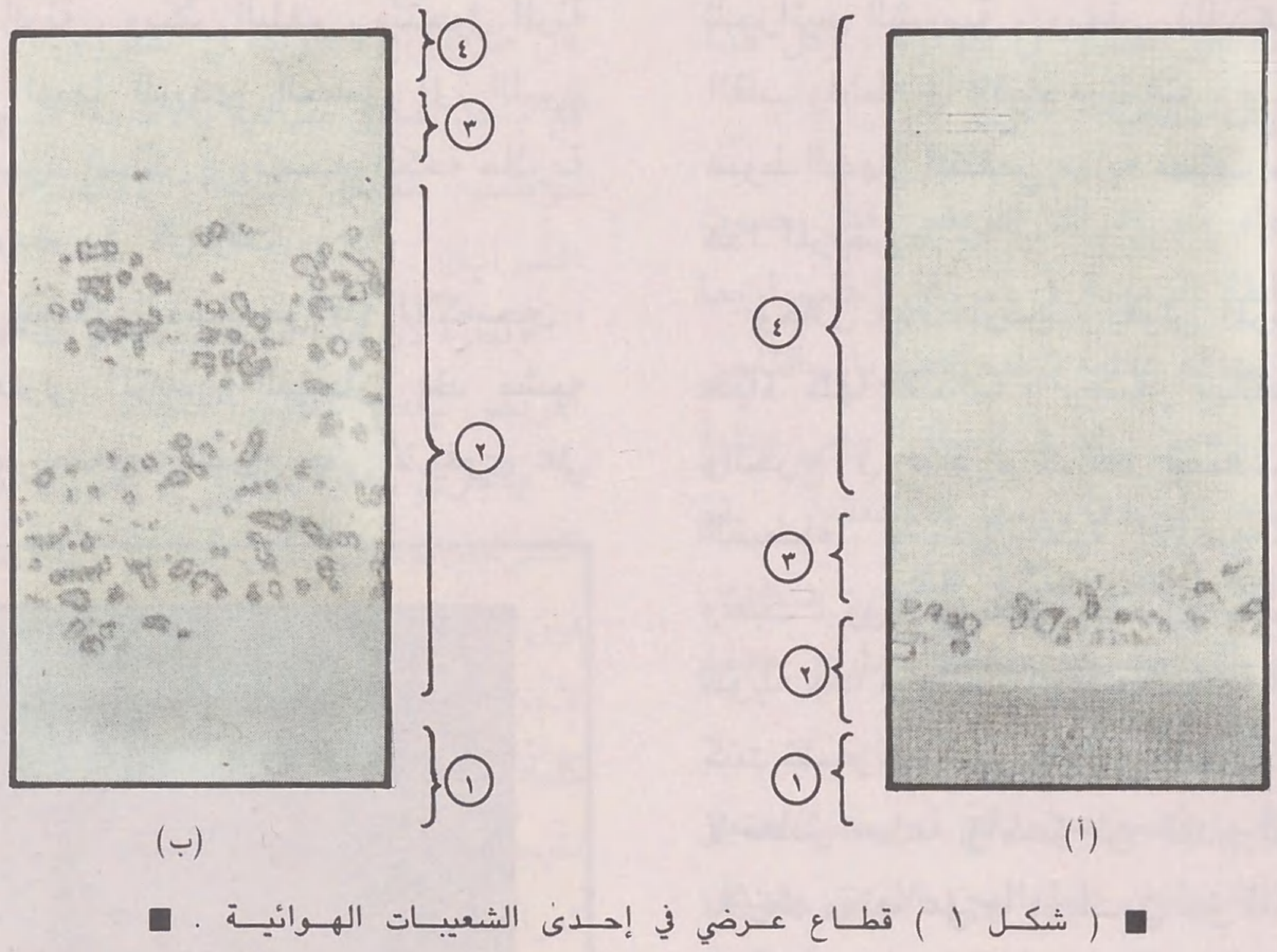

■ (شكل ١) قطاع عرضي في إحدى الشعيبات الهوائية . ■

(أ) : **شعيبة هوائية سليمة** :
١ ـ طبقة الغضروف المحيط بالشعيبة الهوائية من الخارج ، تحمي طريق مرور هواء التنفس من الانسداد بفعل الضغوط الخارجية .
٢ ـ طبقة غدد إفراز البلغم .
٣ ـ طبقة الخلايا الداخلية .
٤ ـ مسلك هواء التنفس .

(ب) : **التهاب الشعيبات الهوائية المزمن** :
١ ـ طبقة الغضروف .
٢ ـ تضخم رهيب في طبقة غدد إفراز البلغم نتيجة لتهيجها بالدخان . ولما كانت طبقة الغضروف هي طبقة صلبة فإن الزيادة في سُمك هذه الطبقة جاء على حساب مجرى هواء التنفس الذي ضاق بصورة واضحة (٤) .

■ من الخطأ الظن أن حصيلة المال العائد من الضريبة على الدخان هي زيادة في الدخل القومي .. إن أضعاف هذا المال يفقد بانخفاض الإنتاج العام للدولة بسبب ما يُحدث التدخين في أجسام العاملين ■

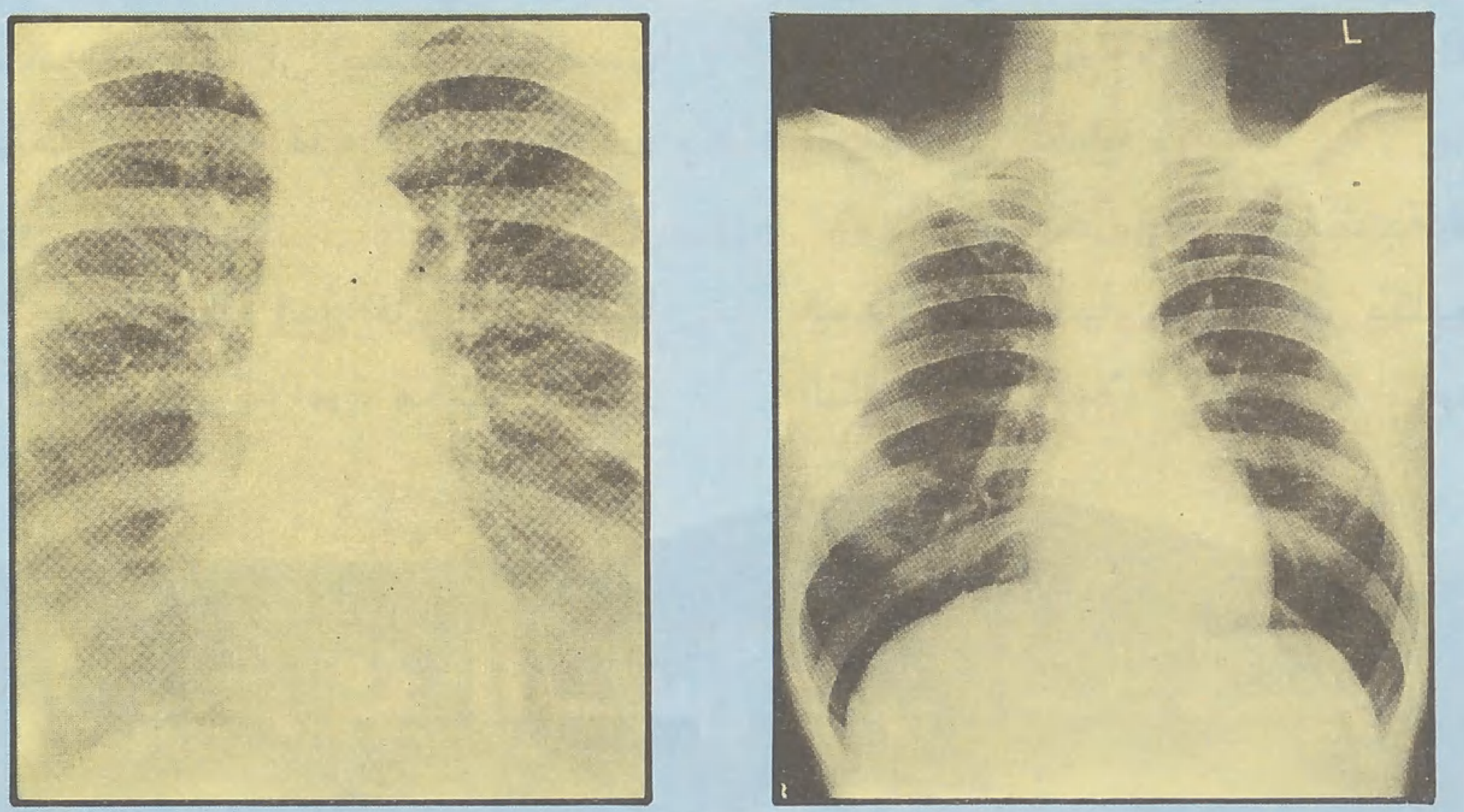

(أ) صـدر سليم (ب) صدر مصاب

■ (شكل ٢) صورة للصدر بالأشعة السينية .. بالتهاب الشعيبات الهوائية المزمن ، ويلاحظ تحوّل الرئتين إلى نسيج ليفي ■

الأمراض التي تنتج عن التدخين المستمر :

١ ـ التهابات الشعيبات الهوائية المزمن :

يعلو التدخين قائمة أسباب حدوثه . وهو مرض تدريجي يخنق المصاب به من الداخل دون أن يضغط على رقبته من الخارج ، وفيه تتضخم الشعيبات الهوائية وتضيق ، ويكثر النسيج الليفي في الرئة ، ويكثر البلغم ، وتتحول الرئة من لونها الوردي الجميل إلى اللون الأسود الداكن ، وتصبح الكحة ملازمة للمريض في كل وقت .

ويشكو الجسم من قلة الأكسجين ، ويعتري المريض النهجان عند مشيه وعند صعوده الدّرج حتى لا يقوى على كليهما ، وتصبح رئتاه مرتعاً خصباً للجراثيم الشرسة ، ويعقب ذلك هبوط القلب وفشله في القيام بوظيفته ، ويكون هبوط الجهاز التنفسي نهاية مطاف حياة هذا المريض .

وخلال هذا المرض ، يعيش المريض حياة كلها عذاب ، ويشعر بالضيق والحرج في صدره كأنَّما يصَّعَّد في السماء ، وتضيق عليه الأرض بما رحبت ؛ ووالذي نفسي بيده إن سنوات طويلة جداً من اللذة الوقتية الكاذبة التي كنت تشعر بها أخي المدخن وأنت تدخن لا تعادل ساعة واحدة من الندم الذي يلازمك وقتها على ما فرَّطت في حق نفسك في الماضي ، والغريب ـ وبعد أن حدث هذا الدمار في صحتك ـ تفكر وقتها في ترك التدخين !!

٢ ـ ضيق الشرايين :

مرة أخرى يترأس التدخين العوامل المسببة له ، وأهم الشرايين التي تتأثر به هي :

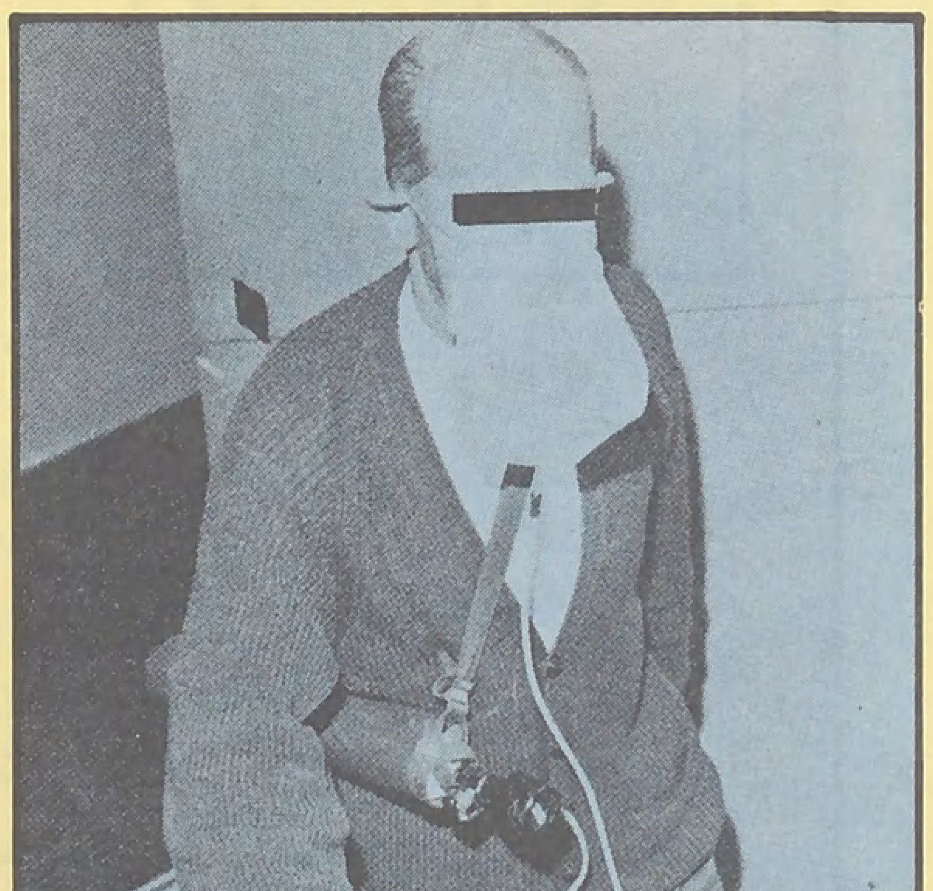

(شكل ٣)

■ مريض بالتهاب الشعيبات الهوائية المزمن يستعين باسطوانة صغيرة للأكسجين وكمامة لمساعدته على الصعود أعلى الدرج ، وبدون ذلك لا يقوى على الصعود أو حتى المشي أفقياً .
إن استعمال الأكسجين في هذه الحالات يحتاج لضبط محكم لكمية جريانه حيث لو زاد الأكسجين عن نسبة معينة فإن تنفس هذا المريض يتوقف ويدخل في غيبوبة نتيجة ارتفاع نسبة ثاني أكسيد الكربون ، ويموت المريض إن لم يتم إنقاذه في دقائق . ■

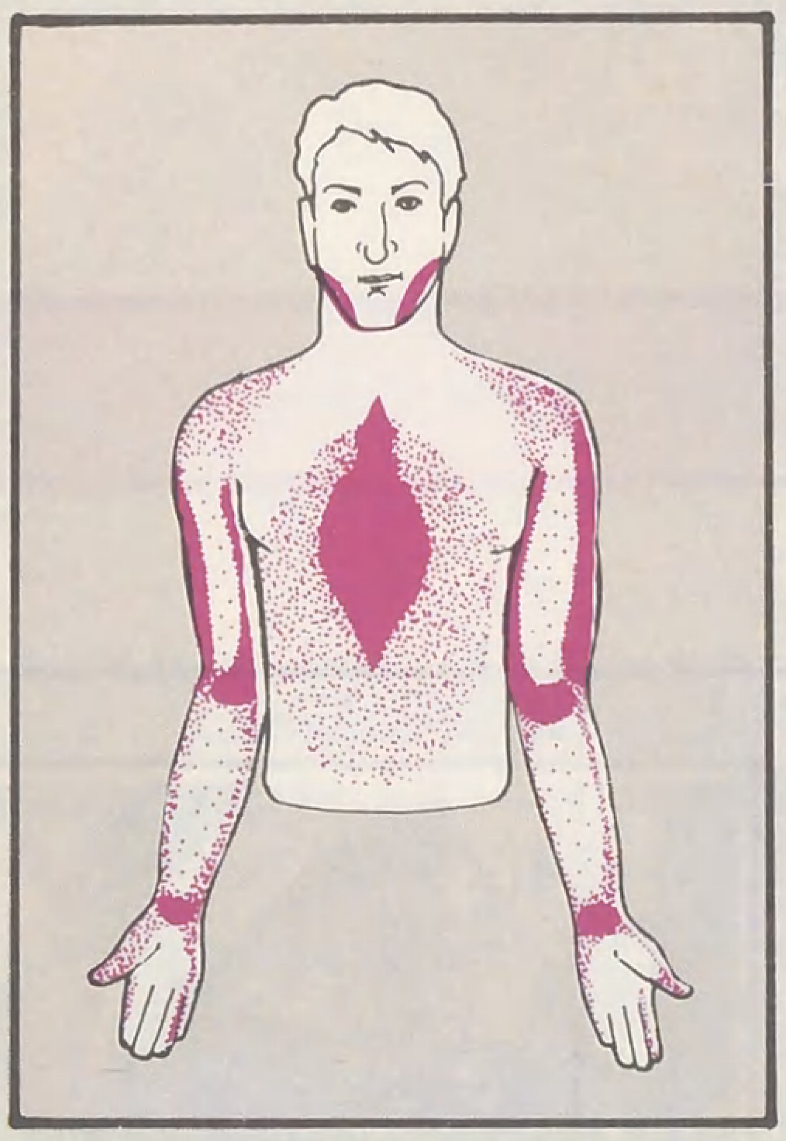

(شـكل ٤)

■ الأماكن التي يشعر مريض الذبحة الصدرية بآلامها .. ■

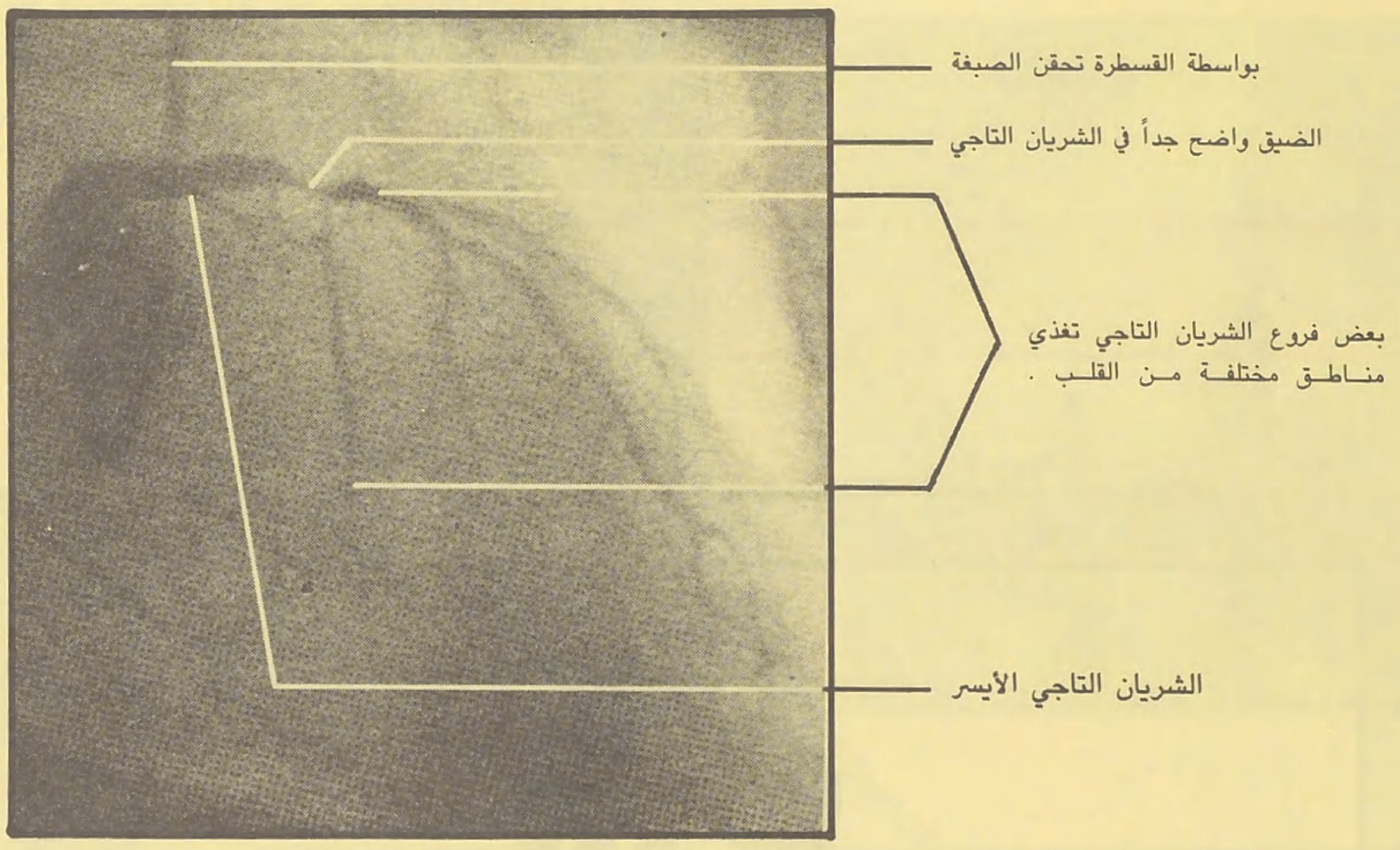

(شـكل ٥)

■ القلب وقد حُقن الشريان التاجي الأيسر بالصبغة ثم أخذت الصورة بالأشعة السينية ■

(أ) **شريان القلب** (الشريان التّاجي) : في البداية يشكو المريض من أعراض الذبحة الصدرية ، وهي آلام شديدة في منطقة الصدر والذراع الأيسر (في معظم الحالات) ، ثم بعد ذلك تحدث الجلطة الدموية بسبب ضيق الشريان ، ويموت الجزء من عضلة القلب الذي يغذيه هذا الشريان ، ثم ما يعقب ذلك من تكرار الجلطة أو هبوط القلب أو انفجار في جداره ، وكل هذا معروف نتائجه : الموت .

ولو تم إدراك المريض قبل حدوث الجلطة الدموية في شريان القلب لربما أجريت له عملية ترقيع الشريان التاجي من جزء من وريدٍ في الساق ، وهي عملية تحتاج إلى دقة ومهارة بالغتين ، يتم خلالها إيقاف عملية القلب ، وتحويل الدم إلى مضخة خاصة خارج جسم المريض .

(ب) **شرايين المخ** : ويحدث ضيق في الشريانين السباتيين اللذين يغذيان المخ بالدم الحامل للأكسجين والسكر ، وبسبب هذا الضيق يتعرض المريض لغياب الوعي المؤقت ، والتصرفات الغريبة ، ويتم تشخيص المرض بحقن هذه الشرايين بالصبغة ، وأخذ صور متعاقبة بالأشعة السينية ، وذلك كله تحت التخدير الكلي ، وتجرى لهما عملية دقيقة وخطيرة في الرقبة لإزالة ما ترسب في جدارهما بفعل التدخين .

(ج) **الشريان الأبهر وشرايين الساقين** : وهذه تكتشف حينما يشكو المدخن من الآلام الحادة في الساقين أثناء المشي ، وتظل الحالة تسوء حتى يشعر بالألم من غير ما حركة ، وتضعف مقدرته الجنسية .

ويتم تشخيص الحالة بحقن الصبغة عنْ طريق إبرة طويلة في الشريان الأبهر ثم بأخذ صور متتالية بالأشعة السينية لتوضيح مكان ودرجة الانسداد في الشرايين .

ونظراً لأن هذا الفحص مؤلم جداً فإن المريض يُعطى تخديراً كلياً .

وتجرى عملية ترقيع أو تحويلة لهذه الشرايين حسب مكان الضيق ، وللأسف فإن معظم هذه الحالات تعود مرَّة أخرى لإجراء عملية إعادة لها أو لبتر الساق كليَّةً بسبب حدوث الأكال (**الغرغرينا**) نتيجة موت الساق عقب انسداد شرايينها .

٣ ـ سرطان الرئة الخبيث :

والتدخين مسؤول عن معظم إصاباته ، ونسبة الوفاة من هذا المرض بين المغالين في التدخين أكثر بثلاثين مرة من غير المدخنين ، وإذا تم تشخيصه مبكراً (وهذا لا يحدث إلَّا في حوالي عشرين بالمائة من الحالات) فإن علاجه هو استئصال جزء أو كل الرئة المصابة ، ولقد ثبت من الإحصائيات أن ثلاثين بالمائة هم الذين يتمون فترة خمس سنوات بعد استئصال الرئة ، والغالبية تموت في خلال سنة واحدة .

وبالإضافة إلى خبث هذا السرطان فإن له خواصاً أخرىٰ غريبة ، ويتمثل في صور أمراض كثيرة جداً ، لا علاقة لها بالرئة مما يؤخر الوصول إلى التشخيص الحقيقي ، يكون السرطان خلالها قد وطّن نفسه في الرئة ، وغزا ما حوله من أنسجة ، بل وأرسل طلائعه تهاجم أعضاء متفرقة من الجسم ، ومن هذه الأعراض الغريبة : الصداع ـ نوبات الصرع ـ تغيرات في شخصية المصاب ـ كسر العظام التلقائي ـ البول الدموي ـ عقد مؤلمة بالجلد ـ تضخم أطراف الأصابع ـ الإفرازات الهرمونية بأشكالها المختلفة ـ ضعف كل عضلات الجسم ، ثم تختتم الصورة بالأعراض العامة النهائية للسرطان الخبيث وهي الإجهاد العام وفقدان الشهية ، والتدهور السريع في وزن الجسم .

٤ ـ الكَمَشُ البصريّ : وهو عمى جزئي يحدث انكماشاً في حقل الرؤية في العينين ، ويسببه الدخان والخمر وسم الزرنيخ .

وكل ما سبق ذكره من بعض أمراض التدخين ، هي أمراض جدّ خطيرة ،

نصيحة من القلب إلى المدخن المسلم

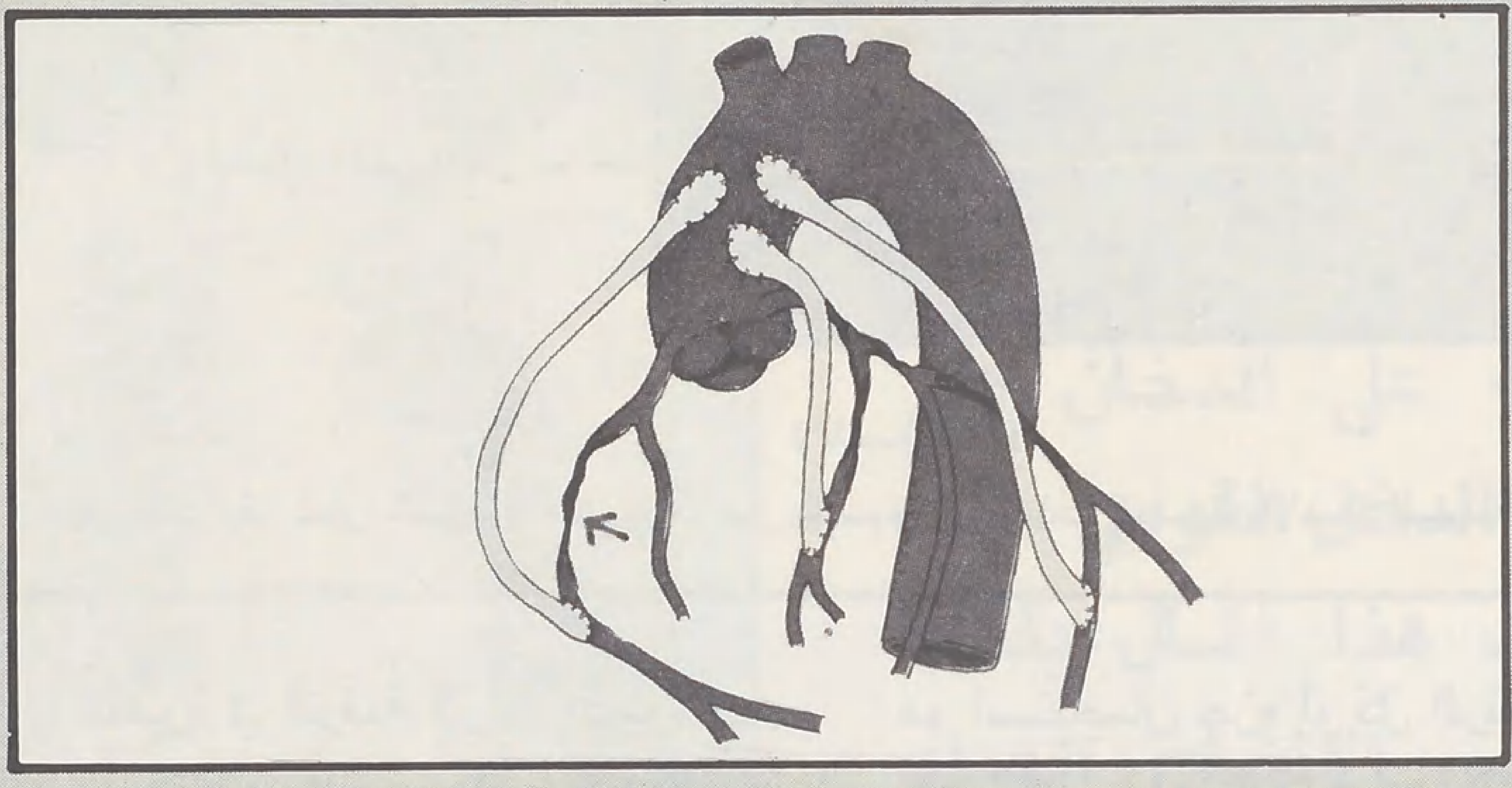

(أ)

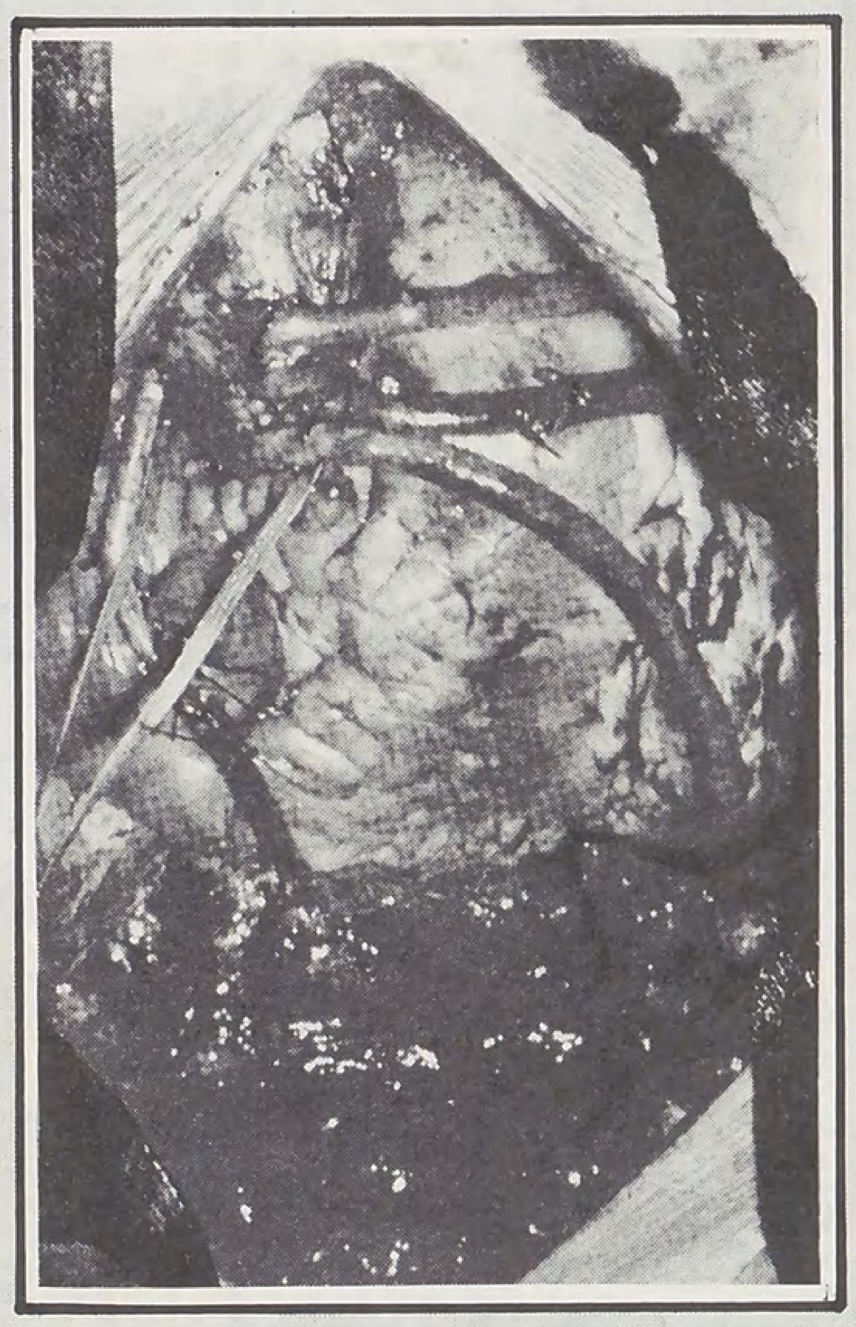

(ب)

(شـــكل ٦)

■ العملية الجراحية لترقيع وتحويل الشريان التاجي للقلب ... (أ) : رسم توضيحي يبين الانسداد في فروع الشريانين التاجيين (مشيراً لواحد منهما بالسهم) ، ويُرى ثلاثة أطوال مختلفة من وريد الساق يقومون بتحويل الدم من الشريان الأبهر إلى ما بعد الانسداد في الشرايين. (ب) : صورة أخذت بعد إتمام عملية التحويل ، وتُرى الأوردة المستعملة بارزة ومنتفخة بالدم على سطح القلب . ■

تعذب المدخن قبل أن تقتله .

ومن فضل الله سبحانه وتعالى ومن كرمه على النساء أن نسبة المصابات منهن بجلطة شريان القلب أو ضيق شرايين الساقين أو بسرطان الرئة الخبيث أقل بكثير من الرجال ، ألا يكفي الحيض والحمل والولادة ورعاية شؤون البيت والأولاد ؟ لكن هذه الحماية من شر تلك الأمراض سرعان ما تنهار بإقدام المرأة على التدخين ، فتصيبها هذه الأمراض في عمر أصغر من عمر إصابة الرجل .

إن ما ينتج عن اشتعال الدخان من مركبات كيماوية يبلغ **أربعة آلاف** مركب ، كلها من السُمِّيَّات ، وهذه السموم وإن كانت بكميات صغيرة داخل اللفافة الواحدة من الدخان ، إلَّا أن معظمها يتراكم في أنسجة وأعضاء الجسم ، ليحدث تأثيره الضَّار والقاتل إن عاجلاً أو آجلاً .

أوليس هذا إضراراً بالنفس نُهينا عنه ؟

والمسلم يحمل لأهله ولأسرته كل الحب والود واللطف ، يحوطهم بعطفه ، ويشملهم بعنايته ، منفذاً لأوامر الله سبحانه وتعالى ، ولأوامر رسوله عليه الصلاة والسلام بصلة الرحم ، ويتحمل مسؤولية عظيمة تجاههم ، ولو تأوَّه واحد منهم من علة أو مرض أسرع يستدعي له الطبيب ، فهل من المعقول أن يكون هو سبباً في إمراضهم وإصابتهم بأخبث الأدواء ، حينما يدخن في بيته أو في سيارته ، فيستنشق من حوله الدخان دون ذنب فعلوه ، بكل ما يحمله من مواد ضارة لجسم الإنسان (وهؤلاء يطلق عليهم المدخنون الأبرياء) ؟

ولقد ثبت أن هؤلاء المدخنين الأبرياء يتعرضون للآتي :

١ - ترتفع نسبة الإصابة بسرطان الرئة بينهم .

٢ - ترتفع نسبة الإصابة بسرطان الثدي في الزوجات .

٣ - نقص وزن الطفل المولود ، وارتفاع نسبة الوفيات بينهم بمقدار ٢٠ - ٣٥٪ على حسب كمية الدخان المستهلكة .

والمسلم - يا أخي المدخن - لا يؤذي ولا يضر مسلماً أبداً ، لا بقول ولا بفعل : « **المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده** » [رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد والدارمي] ، وعن جرير بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يرحمُ الله من لا يرحَمُ الناس** » [متفق عليه] .

إن من يقوم بعمل بحوث تقليل أثر الدخان القاتل على الإنسان ، هي مؤسسات الدخان نفسها ، وأحدث شيء توصلوا إليه هو « **دخان بدون دخان** » ، حيث قاموا بوضع مادة القطران السائلة السامة فيما يشبه لفافة الدخان ، فإذا

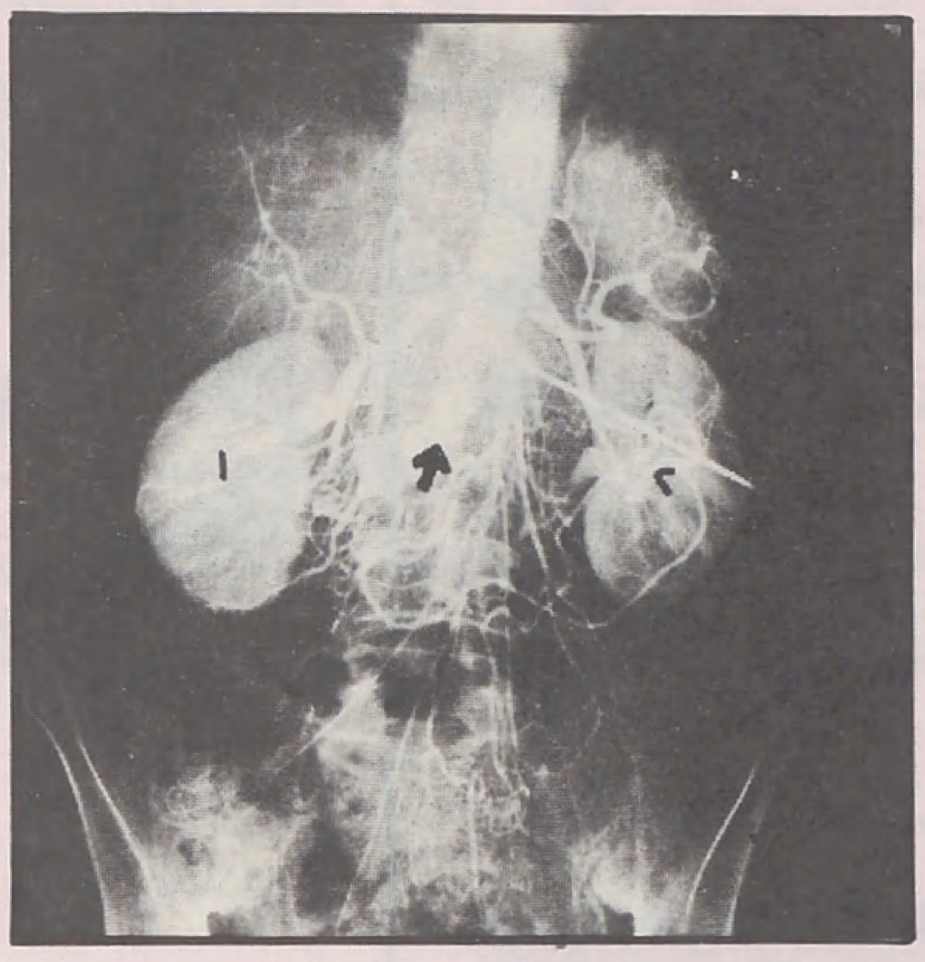

(أ)

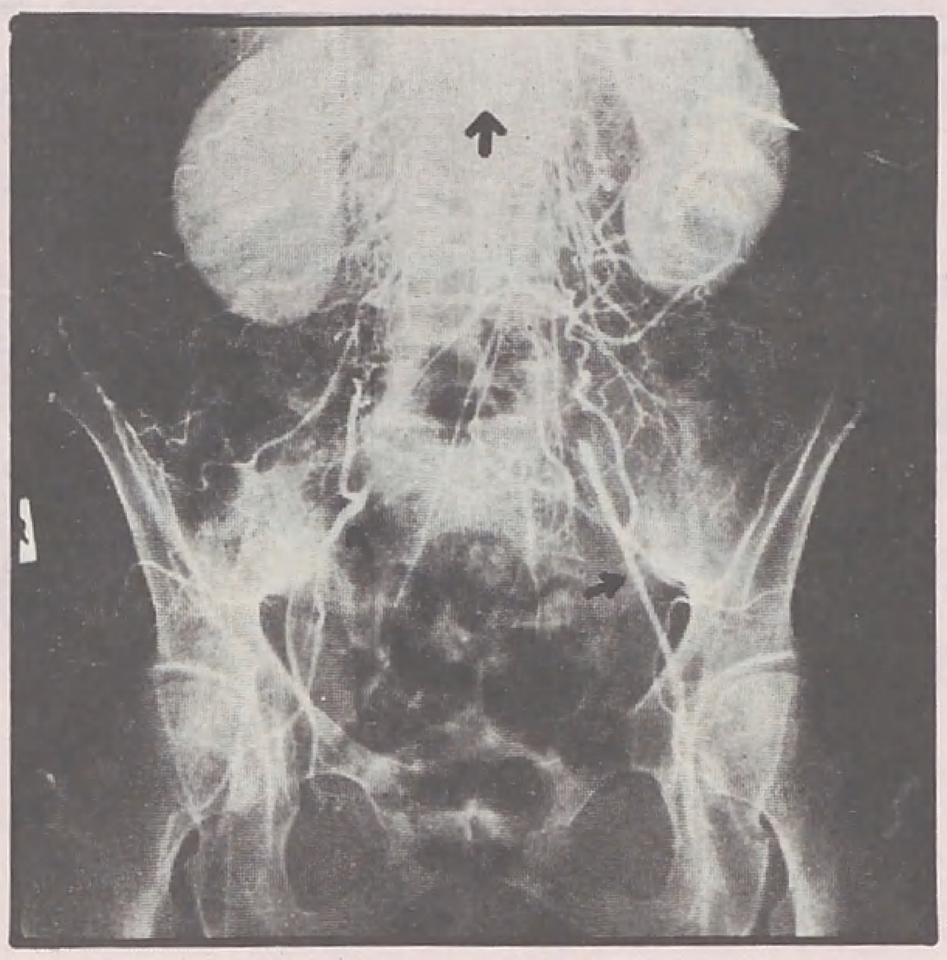

(ب)

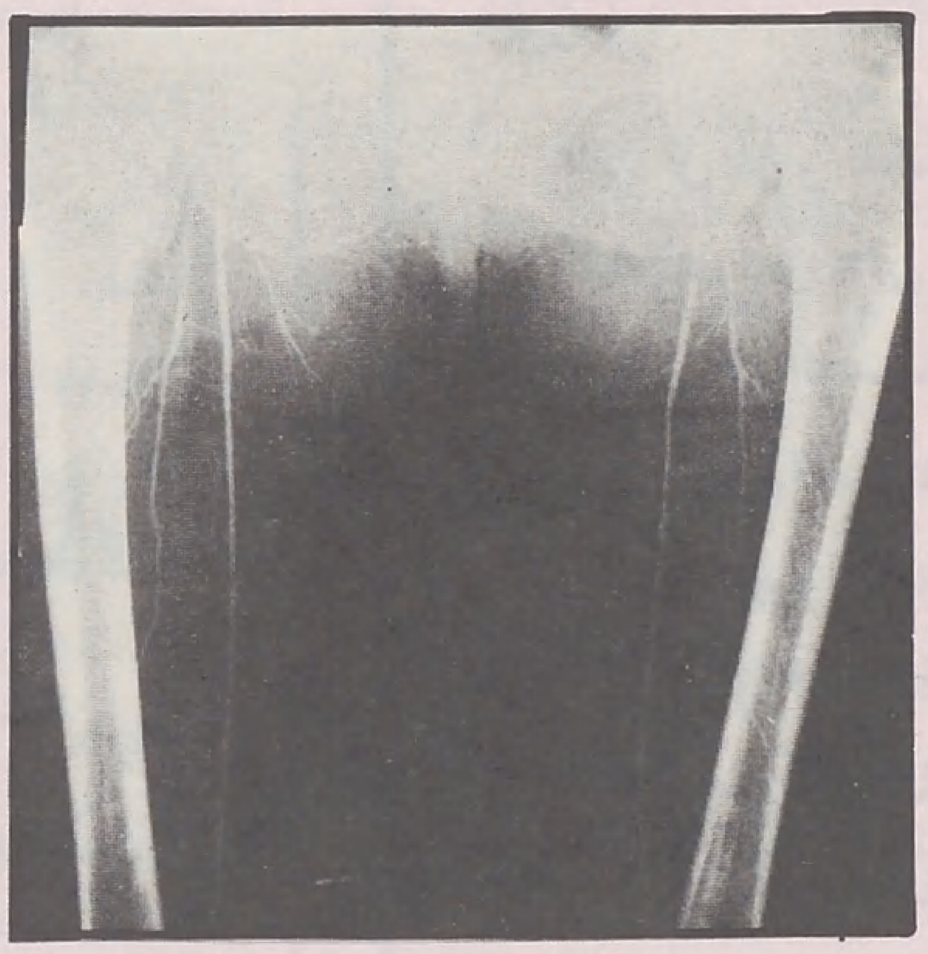

(ج)

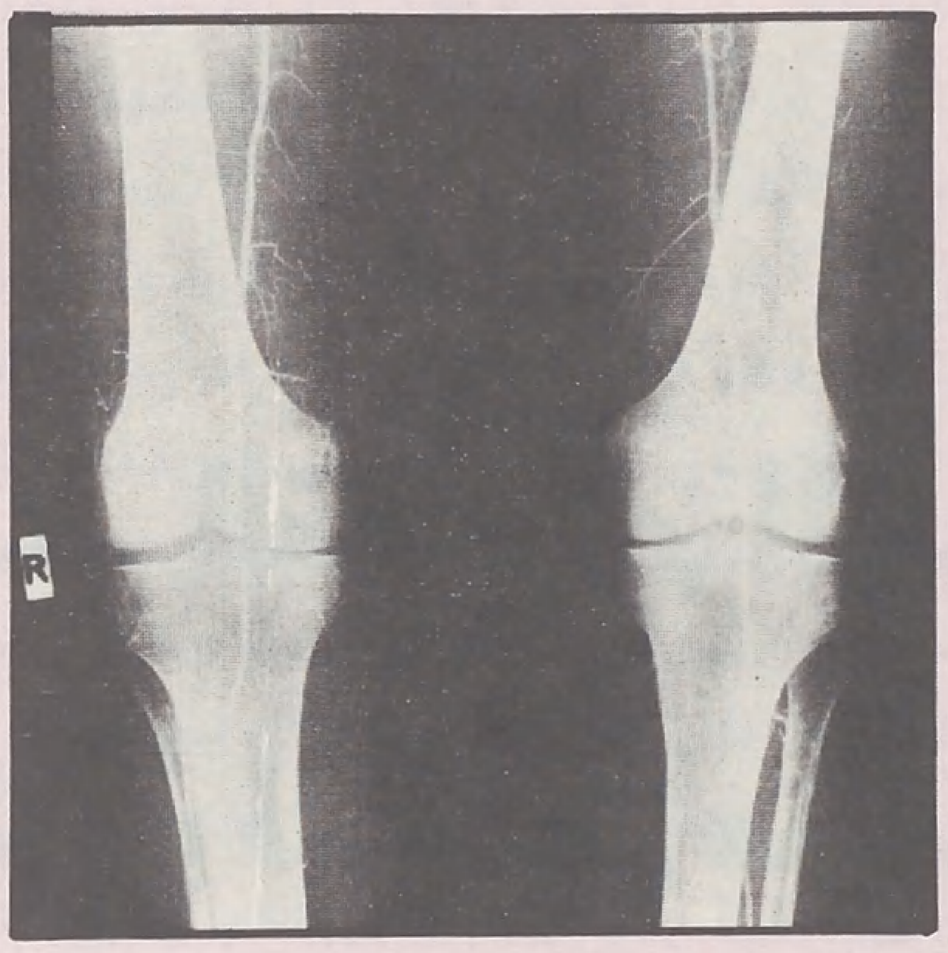

(د)

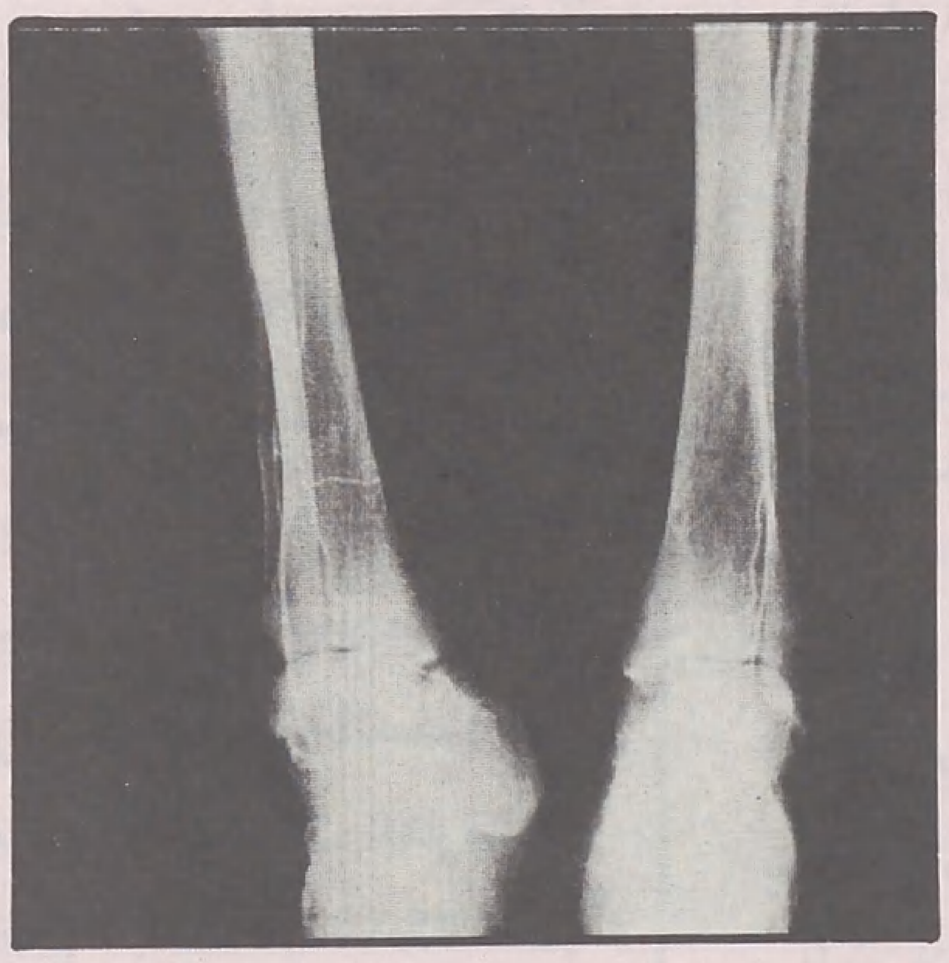

(هـ)

(شكل ٧) (صور بالأشعة السينية)

■ صور مأخوذة من أشعة بالصبغة للشريان الأبهر في البطن عند مستوى الكليتين .. المريض عمره (٣٩) عاماً ، حُذِّر مراراً من أخطار التدخين على جسمه فلم يرعو ، توقف عن العمل بسبب عدم مقدرته المشي أو الوقوف ، يعول أسرة متوسطة العدد ، دخل المستشفى لعمل فحوصات ، فكانت هذه النتيجة المفزعة المدمية . مثل هذه الحالات لم أشاهدها إلَّا في اليهود والمدخنين .

(أ) : لا حول ولا قوة إلَّا بالله . انسداد تام وكامل للشريان الأبهر ، أكبر شرايين الجسم ، بعد أن أعطى فرعين منه لكل كلية (الكلية اليمنى (١) واليسرى (٢)) ، (السهم يشير إلى مكان الانسداد التام) ، لم يشاهد أحد من أصدقائي المدخنين هذه الصورة إلَّا وتوقف عن التدخين التام الفوري . تلاحظ الإبرة الطويلة التي تصل إلى الشريان الأبهر من الناحية اليسرى للبطن .

(ب) : صورة تالية لرقم (أ) لتتبع انسياب الصبغة في الشرايين الخاصة بالحوض والساقين .. الصورة تصدم وتهز كل إنسان . في محاولة لتوصيل الدم للأمعاء ومحتويات الحوض والساقين والأعضاء التناسلية ، فإن الأوعية الدموية الدقيقة التي لا ترىٰ عادة ، أخذت على عاتقها ـ في محاولة يائسة ـ توصيل الدم ، فنتج من ذلك أن امتلأ شريان الساق (مشاراً إليه بسهم واحد على كل جانب) فافتضح قطره الصغير بالنسبة للشريان السليم في غير المدخنين .

هذا النوع من الأشعة لا يُعمل للإنسان العادي نظراً لمشاكل هذا الفحص ، وعلى هذا فلا توجد أشعة منها للإنسان السليم من أجل المقارنة .

(ج ، د ، هـ) : متابعة الصبغة في شرايين الساقين ، حيث يشاهد افتقار الساقين للدم بسبب ضيق وانسداد الشرايين الموصلة للدم لهما . ■

ما استنشقها المدخن تحول السائل القطراني إلى بخار القطران فيدخل في الرئتين ليشبع كيف المدخن ، وهم حالياً يجربونها على المدخنين بولاية تكساس الامريكية استعداداً لغمر أسواق العالم بها .

وتلاحظ هنا أخي المدخن أن مؤسسات الدخان ـ القائمة على الكسب الحرام ـ تريد أن تنفرد بك وتخصك شخصياً بالقتل بأمراض التدخين بعد أن تحوِّلك إلى إنسان ليس له هم سوى إرضاء مزاجه ، ألا ترى ـ أخي المدخن ـ نفسك في الصباح وأنت تندفع على الدخان قبل أن تتناول طعامك الذي هو حيوي لجسمك ؟ وماذا تكون طباعك في نهار رمضان ؟ ثم متى جاء وقت الافطار تسرع للتدخين تلبي رغبة الكيْف من النيكوتين السام قبل أن تُوَفِّيَ حاجة البدن من طيب الطعام .

لقد سمعت مرة أحد المدخنين المسلمين وهو يحمد الله سبحانه وتعالى على نعمتي الخبز والدخان !!

فهل أنت ـ أخي المسلم ـ أدنى عزيمة من هؤلاء الذين انقطعوا عن التدخين بلا رجعة ، وكانوا من المدمنين ؟

---

(١) النصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم لمصالحهم الدينية والدنيوية ـ رواه مسلم وأبو داود .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) يوجد ثمانية ملايين مدخن سابق في بريطانيا وحدها .

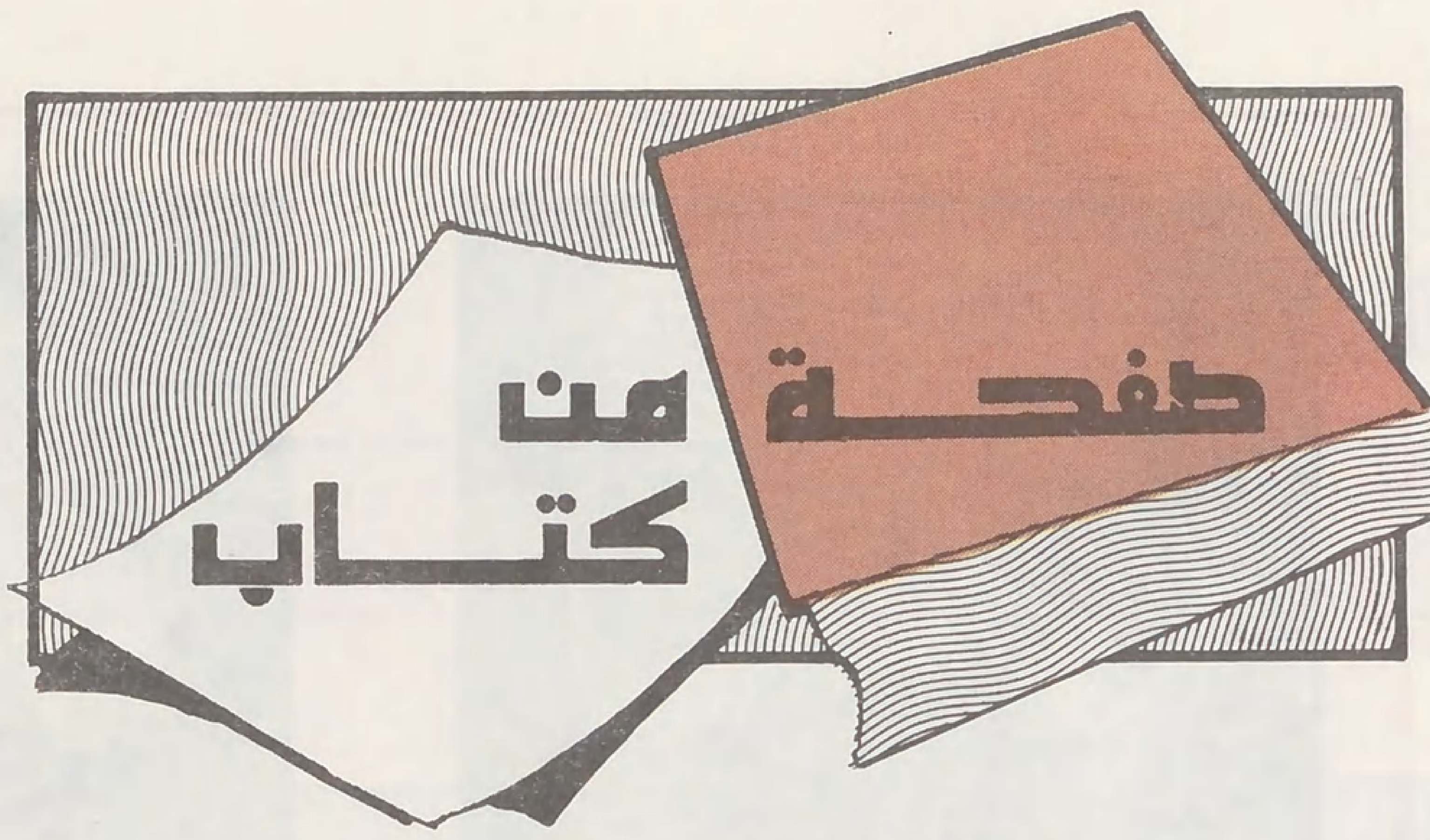

في النظام السياسي للدولة الإسلامية

بقلم : د. محمد سليم العوا

حقيقة قرار الحكمين

على أنه مما يؤيد ما ذهبنا إليه من عدم صحة هذه الرواية أن العلماء المختصين بتصحيح الروايات التاريخية ونقدها ، علماء السنة ، لم يرووا شيئاً عنها في كتبهم ، وإنما وردت هذه الرواية في نصوص لاسند لها حفلت بها كتب التاريخ التي لا يميز أصحابها بين الروايات صحيحها وسقيمها . فقد أخرج عبد الرزاق أن الحكمين قد اتفقا على أن يردا أمر الخلاف إلى الأمة .

وروى الدارقطني بسنده أن الحكمين قد اتفقا على رد « الأمر » إلى النفر الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . وكذلك روى المسعودي قريباً من هذا المعنى .

وليس من شك في أن « الأمر » الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة ، أو إلى النفر الذين تُوفي رسول الله وهو عنهم راض ، ليس إلا أمر « الخلاف » بين علي ومعاوية ، الخلاف حول الامتناع عن بيعة علي ومن ثم حول عدم تنفيذ أوامره وهو الخليفة الشرعي في الشام .

أما الخلاف حول « الخلافة » فلم يكن ـ في تقديرنا ـ قد نشأ عندئذ . ولم يكن معاوية مدعياً للخلافة ، ولا منكراً حق علي فيها ، وإنما كان ممتنعاً عن بيعته وعن تنفيذ أوامره في الشام حيث كان متغلباً على الشام بحكم الواقع ـ لا بحكم القانون ـ مستفيداً من طاعة الناس له بعد أن بقي والياً زهاء عشرين سنة .

وقد سبق إلى نقد هذه الرواية الشائعة عن التحكيم القاضي أبو بكر بن العربي فقال عنها (وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله . وإذا لحظتموه بعين المروءة ـ دون الديانة ـ رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين . وفي الأقل جهل متين) .

على أن قرار الحكمين برد أمر الخلاف بين علي ومعاوية إلى النفر من الصحابة الذين تُوفي رسول الله وهو عنهم راض كي يقرروا فيه رأيهم ، هذا القرار لم ينفذ على الإطلاق . بل لقد كان حادث التحكيم ذاته سبباً مباشراً من أسباب تفرق المسلمين بما أدى إليه من بداية ظهور الأحزاب أو الفرق السياسية .

وكان سبب عدم تنفيذ قرار الحكمين أن طائفة من جيش علي فوجئت بالقرار الذي أصدره الحكمان برد الأمر إلى النفر الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم . أي بقرار لم ينه النزاع بين الطائفتين المتحاربتين بعد ما كان بينهما من قتال مرير ذكرت في شأنه بعض الروايات أنه أدى إلى أن ملّ الناس القتال وتشوقوا لانتهائه . وكان ظن هذه الطائفة أن القرار الذي سيصدره الحكمان سوف يكون في مصلحة علي رضي الله عنه ويعتبرون أنهم بذلك قد حققوا نصرين : نصراً في القتال ، كان هو الذي دفع جيش معاوية إلى طلب تحكيم كتاب الله . ونصراً في القضاء إذ يقرر أن الحق كان مع الخليفة وأن محاربيه كانوا بغاة خارجين على الحاكم الشرعي للدولة الإسلامية .

فلما جاء القرار على غير ما ظنوا ـ أو غير ما أحبوا ـ أعلنوا رفضهم له . بل أعلنوا رفضهم لمبدأ قبول التحكيم في النزاع أصلا . على حين كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بادىء الرأي لا يرى قبول التحكيم ولم يقبله إلا نزولا على إرادة أنصاره وجنده . فما كان من هؤلاء ـ إذ لم يقبلوا قرار الحكمين ـ إلا أن خرجوا على الفريقين جميعاً . فريق علي وفريق معاوية . أي خرجوا على الأمة الإسلامية آنئذ . وتحيزوا في مكان يسمى بالنهروان ، وجرت بينهم وبين علي محاولات لعودتهم إلى حظيرة الجماعة فأبوا ـ أو أبى كثير منهم ـ وعاثوا في الأرض فساداً يقتلون وينهبون أموال المسلمين مستحلين لها بزعم أن من خالفهم فليس بمسلم . وهم سلف المكفرة في هذه الأمة إلى اليوم .

وقد انتهى أمرهم مع علي رضي الله عنه إلى أن قاتلهم فهزمهم هزيمة نكراء . ولكنهم بيتوا أن يقتلوه فما أمكنهم إلا أن يغتالوه ، فاستشهد رضي الله عنه في صلاة الفجر حين طعنه عبد الرحمن بن ملجم الخارجي . وكلف الخوارج من يقتل معاوية وعمرو بن العاص فأخطآهما . وبدأت الفتن تجتاح الأمة الإسلامية والدولة الإسلامية . ولم يعد من سبيل للعودة إلى الطريق القويم الذي أراد الحكمان أن يضعا الأمة عليه ، ويحلا الخلاف بين أصحاب الرسول ﷺ وأنصارهم من خلاله .

بريد الأمة

●● كلما ازداد المسلم وعياً أحسّ بالحاجة والضرورة إلى إعلام إسلامي فاعل ومؤثر .. وتلك في حقيقة الأمر قضية ظلت غائبة زمناً طويلاً .

ولم يدرك المسلمون خطورتها إلَّا بعد أن سقطوا ضحايا للإعلام المعادي وأصبحوا أسرى مناهجه وبرامجه .. وفي ظل الوعي الإسلامي المعاصر ، هل يستمر المسلم في مرحلة الاستسلام ويعيش حالة اليأس والعجز أم لا بد من النزول إلى الساحة واقتحام مجال الإعلام وامتلاك وسائله والتخصص بفنونه ؟ وهل يخضع للواقع باهتماماته وأذواقه التي تشكلت على ضوء الإعلام المعادي أم يستوعب الواقع ومن ثم يحاول الترقي والارتفاع بمستوى الاهتمامات والأذواق ؟ .. وقد يكون المطلوب الآن ـ أكثر من أي وقت مضى ـ أن ننتقل من مرحلة التنظير التي انحبسنا فيها زمناً طويلاً إلى مرحلة الممارسة على قدر استطاعتنا وإمكاناتنا المتاحة ، والله ولي التوفيق .. ●●

رسالة ..

■■ فتاتان مسلمتان حائرتان في واقع المرأة المسلمة اليوم .. وإذا كانت أولاهما قد اقترحت ما تأمل أن يبدد تحقيقه شيئاً من حيرتها إلَّا أن الثانية تظل تبحث عن إجابة لتساؤلها : كيف أخدم ديني ؟

●● تقول رسالة الأخت الأولى :

[... لا تزال المرأة المسلمة غافلة ، نائمة ، بل مستغرقة في نوم عميق يعود لسنين طويلة تمكن المستعمر خلالها أن يحفر لأفكاره ومفاهيمه بدقة في ضمير هذا الجزء الهام من المجتمع المسلم .. ولم يرحل إلَّا بعد أن اطمأن إلى أن المرأة ستكون رهن إشارته ، وستستجيب لكل ما يبعث به إليها مما يشغلها عن أمر دينها وبناء أجيال الغد المصلحين ..

ظلت قضية المرأة المسلمة تشغلني منذ زمن طويل وتلح عليَّ بشكل خاص كلما بدأت عاماً دراسياً جديداً .. حيث أجد نفسي أشعر تارة بالغربة وأخرى بالضياع والذوبان في مجتمع صار بعيداً عن الإسلام .. وما يؤلمني ، إحساسي بأني عاجزة عن انتشال نفسي مما أجد ، وعن إصلاح ما أراه في مجتمعي ووسطي الذي أقضي فيه جُلّ وقتي .. لقد أصبح مألوفاً في جامعاتنا أن تجد فتاة تتحدث إلى فتىً في ركن قصي أو دني من أركان الكلية ، بينما تمزح أخرى مع جماعة من الفتيان وكأنها واحدة منهم .. كل ذلك باسم زمالة الدراسة وتحت عناوين تحرر المرأة وانعتاقها من التقاليد والعادات المتوارثة ..

غير أن أشد ما يؤلمني هو عدم إدراك كثيرات منهنَّ لفقه التعامل الشرعي ولمدلول الزيِّ الإسلامي ..

بل إن بعضهنَّ قد يسئن بأفعالهن وتصرفاتهن للزي ولمن التزمن به عن إيمان وقناعة كاملة .. وعندما أشاهد مثل هؤلاء الفتيات تخيِّم عليَّ سحابة داكنة من الهمِّ والغم وأسأل نفسي :

أهؤلاء هنَّ المسلمات اللائي يُرجى منهنَّ تكوين أمة مسلمة دعامتها رجال أشداء أقوياء بعقولهم وفكرهم واعتزازهم بعقيدتهم ؟ أهذا هو نصف المجتمع الذي ينتظر منه المساهمة بفاعلية في حل مشكلات المجتمع المعقدة وفي حمل تركته الثقيلة ؟

لا أشك ـ كما أسلفت ـ في أن كثيراً من المسلمات لا يزلن غافلات وأنهن يحتجن إلى وقت طويل وجهد كبير ليستيقظن من هذه الغفلة ، ثم جهد آخر ليعين وظيفتهن في المجتمع ورسالتهن السامية لإعداد الأجيال إعداداً صحيحاً .

وإذا كانت هناك فئة من المتعلمات دأبت على مطالعة الصحف والمجلات إلَّا أن مطالعتها تنحصر في صفحات معينة تدور حول بعض اهتمامات المرأة التي ظلت أسيرة لما يُلقى لها وما تُغرى به .

ومن هنا فإني أقترح على المجلات الإسلامية أن تعتمد أساليب جديدة لإغراء المرأة وإقناعها بالاطلاع عليها ، مع ضرورة الأخذ في الاعتبار محور اهتمامات المرأة .. فلماذا لا تخصص المجلات الإسلامية صفحات للمرأة تشتمل على شيء من اهتماماتها بأسلوب يُراعى فيه الخلق والأدب الإسلامي ؟.. ولماذا لا تستغل هذه الصفحات لتقديم المفيد ، وما يجب أن تعرفه المرأة عن الإسلام والمسلمين ومشكلاتهم ، وعن الصحابيات والتابعيات ومساهماتهن في ميادين الحياة المختلفة وعن اللحظة التي يمكن للمرأة المسلمة أن تتقمص فيها شخصية السيدة صفية رضي الله عنها حين يتسلل عدو من الأعداء إلى حصن من حصون المسلمين ؟.. وما أكثر حصوننا المشرعة الأبواب اليوم ، ولعل المرأة هي أخطر تلك الحصون ، فقد دخل إلينا عبرها كثير من الأعداء ، ونحن الآن في حاجة مستعجلة لمعالجة هذا الحصن بصورة جادة وفعالة .. أعانكم الله ووفقكم ..

أختكم (م . ح . أ . أ)] ●●

●● وتقول الأخت الثانية في رسالتها :

[... عرفت الإسلام بعيداً عن الأنموذج التقليدي الذي توارثناه منذ بداية سقوطنا الحضاري ، فحرصت على الالتزام به ، فكراً وسلوكاً ، وعلى تحقيقه في واقعي الخاص على قدر استطاعتي ..

ومنذ خمس سنوات وأنا أجتهد لتعميق معرفتي بالإسلام بالاطلاع على كتب الفكر والثقافة الإسلامية في محاولة للحصول على زاد أواجه به تحديات العصر .. وفي المدرسة كنت أحرص على ألَّا يفوتني شيء ، وكنت أعتبر ذلك عبادة أتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ، كما كنت على يقين بأن كل معلومة أتعلمها يمكن توظيفها لخدمة الإسلام وإعلاء شأن المسلمين ..

وبينما كنت استعد للالتحاق بالجامعة ، جمعتني الأقدار ببعض المسلمات اللائي لمست كثيراً من صدقهن وغيرتهن وحرقتهن .. فتقربت إليهنَّ وخالطتهن ولكن وجدتهن يحملن أفكاراً غريبة ، حِرتُ في أمرها ، إذ دعونني إلى التوقف عن الدراسة وعدم الالتحاق بالكلية لأن ذلك يعرضني لكثير من المعاصي والآثام ، وأن الخير كله في القرار في البيوت حتى يأتي من أرضى خلقه ودينه فأتزوجه !

شغلتني هذه الأفكار زمناً طويلاً ، وملأت عليَّ وقتي وجهدي ، أتأملها .. تارة أرى أنها تنطوي على شيء من الحق ، وأخرى أُحس بأنها غريبة عن مفهوم الإسلام ونظرته للمرأة ودورها في الحياة .. وبين تلك الرؤية وهذا الإحساس أسائل نفسي :

ماذا أفعل ؟ هل أواصل دراستي الجامعية أو أعود إلى البيت ؟ وكيف أخدم دعوتي وعقيدتي في عصر مليء بالتحديات أينما كنتُ ؟ وهل خدمة المرأة لدينا تنحصر في إطار بيتها وزوجها أم تمتد إلى ما وراء ذلك ؟.. باختصار ، كيف يمكن لمثلي أن يخدم دينه ؟

كلي أمل أن أجد إجابة شافية من « الأمة » وقرائها .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أختكم رضا عيسى محمود] . ●●

واحة الإخاء

○ في رسالة موجهة (إلى الشباب) يقول الأخ علال غشليون (المغرب) :

[... عليكم أن توقفوا توجه بعضكم نحو تقليد أيٍّ من إفرازات الظواهر الاجتماعية في بلاد الغرب ..

لا تأخذوا عن الأوروبيين طريقة لبسهم ومشيتهم وما إلى ذلك ولكن خذوا عنهم علومهم وتقنيتهم ، ووظفوها لتطوير مجتمعاتكم ..

وهناك أمر لا بد من إدراكه جيداً ، فإذا كان الأوروبيون لا يزالون يعيشون في العالم الإسلامي كمستعمرين ؛ وإن رحل الاستعمار بوجهه السياسي ، إلَّا أن نظرتهم للمسلمين المقيمين في بلادهم تبقى كما هي : أبناء المستعمرات .. وما أكثر الشواهد الواقعية التي تؤكد ذلك ..

○ « وأخيراً بكت البندقية » عنوات لكلمات قصيرة كتبها الأخ حسن إبراهيم فؤاد « الأردن » :

[... وبكت البندقية ! فقلت لها : ما يبكيك ؟ ..

قالت : أبكي عليكم .. قلت : ولماذا ؟ قالت : لأني ما وجدت فيكم عُمر وسعداً وخالداً وصلاح الدين ..

أبكي لأن اليد التي تضغط على زنادي ما عرفت الوضوء .. ولأن العين التي ترصد العدو من خلالي ما بكت يوماً من خشية الله .. سأبكي حتى يحملني من يكون شعاره « لا إلـه إلَّا الله » وأمنيته : « الموت في سبيل الله » ..] ..

ردود خاصة

■ الأخ نور الدين أحمد حمَّاد (السودان) ..

●● نعتقد بأنَّا قد أجبنا عملياً على رسالتك من خلال أعدادنا الماضية ..

■ الأخ القيمي عمر (المغرب) .. والأخ حسن كمارا (ليبيريا) ..

●● يمكن أن تكتبا إلى « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » على العنوان التالي :

ص . ب ٥٧١٨ ـ الصفاة ـ الكويت .

هاتف : ٤٢٣١٨١ / ٢٥١٥٨٢٨ / ٢٤٤٠١٣٢ .

وبهذه المناسبة فقد تم فتح حساب للهيئة في :

١ ـ الكويت ، بيت المال الكويتي ، تحت الرقم : ٣/٢٣ (للتبرعات والهبات) ورقم ٥/٩ (للزكوات) .

٢ ـ قطر ، مصرف قطر الإسلامي ، تحت الرقم ٧١٧ .

■ الأخ محمد المقالح (اليمن) ، والأخ سمار محمد (المغرب) ..

●● نشكركم على رسائلكم ونتمنى أن نكون دائماً عند حسن الظنِّ ..

أصداء

● حول ما ينشر تحت عنوان (كلمة الأمة) ، كتب الأخ عبد الله هاشم السياني (مجلة « الإرشاد » الإسلامية بالجمهورية العربية اليمنية) :

[... لا شك أن هذه المقالات لها أثر كبير في نفوسنا ، وبشكل خاص ما كان منها لمعالجة قضايا ومشكلات العمل الإسلامي والحركات الإسلامية . فجزاكم الله خيراً وسدد خطاكم . ونرجو أن يأخذ هذا الجانب جلّ اهتمامكم فهو بلا شك سيعيد بناء العَقلية الإسلامية ، وليس ترتيبها فحسب ، وسيحدث ثورة فكرية تأخذ بأيدي العاملين للإسلام إلى الأمام] ..

● ماكتبه الأخ الدكتور محسن عبد الحميد تحت عنوان : (أين الخلل ؟.. حول العمل الإسلامي ، مراجعة وتقويم) ونشر بالعدد التاسع والأربعين ، ترددت أصداؤه في أكثر من ساحة من ساحات العمل الإسلامي ، وانفعلت به أقلام عديدة ..

● فمن السعودية كتب الأخ حسن خليل شطا :

[... كان الدكتور محسن عبد الحميد موفقاً في تحليله العميق للأدواء التي ما انفكت تصيب العمل الإسلامي بالشلل وتعوقه عن الانطلاق الفاعل المنبعث من روح الإسلام .

وكلمات الدكتور محسن جديرة بأن يتأملها أولئك الذين حُرموا نعمة التأمل في سنن الله ، فانطلقوا من فراغ ليتحركوا من ثَمَّ في فراغ ..

ومن خلال ما كتبه الدكتور محسن أتوجه إلى المحسوبين على العمل الإسلامي في كل مكان :

أما آن لكم أن تتنحوا عن الساحة وتريحوا أنفسكم من عناء البحث عن الزعامات والقيادات ؟ لقد أصبح الأمر على غير ما تشتهون ، فالوعي بدأ يدب وسط كثير من الغافلين وأصبحت الساحة تكشف كل يوم عن خبثٍ كان مندساً في جزء منها .. وسقط كثير من الشعارات الجوفاء ، ولم تعد الخطب النارية لها الأثر ذاته ـ السابق ـ في تحريك العواطف باتجاه قضايا غير مدروسة ووجهة غير معروفة ..

وإن كان لي من مأخذ على ما طرحه الدكتور محسن : فهو عدم تعرضه لأخطر قضايا العمل الإسلامي وهي « تعددية المحاور » الإسلامية وتنافرها وتناحرها .. وقد يكون تبريره لذلك عدم الولوج في الجراحات الغائرة في جسد العمل الإسلامي خشية تفسخها ونشر ما بها ، إلَّا أنني أعتقد أن المصارحة والوضوح والنقد والمناصحة أولى .. ولعل ذلك مكمن الخلل] .

● وكتب الأخ أحمد عبد العاطي البهي (مصر) يقول :

[... وإن كنت أتفق مع الدكتور محسن عبد الحميد في مضمون ما كتب حول القضية موضوع النقاش : « أين الخلل ؟ » إلَّا أن هناك بعض النقاط وردت في مقالته تحتاج إلى

مقترحـــات

● يقترح الأخ عادل محمد عبد الحميد (مصر) أن نفرد صفحة [لما هو متعارف عليه في الصحف والمجلات الأخرى بـ « الكلمات المتقاطعة » على أن تكون المعلومات المطلوبة ، مستقاة من موضوعات التاريخ الإسلامي والفقه والتراجم وما إلى ذلك .. فإنها تشد القارىء وتدفعه للبحث والاطلاع أكثر مما تفعل المسابقة ..] ..

● ويقول الأخ جمال الشوادفي (مصر) في مقترحه :
[... نأمل أن نرى جريدة يومية إسلامية تخرج إلى حيِّز الوجود لتنقل لنا الأخبار وتراقب وترصد الأحداث دون تزييف أو مواربة .. وقد تحدثتم من قبل حول هذا الأمر ولم نر بعد شيئاً .. أملنا أن يهتم المسلمون جميعاً بذلك] .

● ويأمل الأخ الريكع الحبيب (المغرب) أن نصدر ملفاً خاصاً يتابع الهجمات الفردية والمنظمة على تراث الأمة الإسلامية ولغتها العربية بشكل خاص ..

● أما الأخت حبيبة السريج (المغرب) فذهبت في مقترحاتها إلى القول بـ :
[١ ـ ضرورة إصدار سلسلة « كتاب الأمة » باللغتين الإنجليزية والفرنسية ، مساهمة من « الأمة » في نشر الوعي الإسلامي بين من لا يتحدثون العربية من المسلمين .
٢ ـ محاورة من يعتنقون الإسلام إشعاراً لهم بأن هناك صحافة ورأياً عاماً إسلامياً يهتم بهم] ..

● ويتساءل الأخ أسامة أحمد علي (مصر) :
[لماذا لا تُلغى عبارة : (ما يُنشر في المجلة يعبِّر عن رأي كاتبه) والتي نطالعها في الصفحة الأولى من كل عدد ؟ فالكاتب مسلم ، وما يكتبه لا يخرج عن دائرة الفكر الإسلامي ، ولو كان غير ذلك لما اخترتموه وانتقيتموه من بين كثير مما يصلكم من مقالات وموضوعات .. ولذلك فإني أعتقد أن ما ينشر في المجلة لا يعبر عن رأي كاتبه فقط وإنما عن رأي المجلة وآراء من صدرت المجلة من أجلهم] .

● وبشيء من العتاب يقترح الأخ أحمد شهير مراد البلوشي (عُمَان) ، أن نهتم ويهتم كل المسلمين بإخوانهم في بلوشستان ، (فهم في محنة منذ عام ١٩٤٧م) .

● ويقترح الأخ سيف الدين منصور (تونس) إضافة شريط إخباري إلى شؤون المسلمين يتضمن أبرز الأحداث السياسية على مستوى العالم في شهر .

● أما الأخ صادق موسى العجمي (تونس) فهو مع إقراره بأن [ماتنشره « الأمة » من استطلاعات مصورة وما تطرحه من قضايا معاصرة يُعدّ مساهمة إيجابية في تمتين الروابط الإسلامية على امتداد العالم الإسلامي وتنوير المسلمين بشيء من واقعهم] ، إلَّا أنه يعتقد أن ذلك يتضاءل كثيراً أمام الإعلام الصليبي والتنصيري الموجه ضد الأمة الإسلامية .. ويقترح ، بكثير من التفاؤل :
[أن ترصد « الأمة » ما يجري على الساحة الإعلامية عالمياً خاصة في المجال السياسي وتبصير المسلمين بما وراء ما يقرؤه أو يسمعه أو يشاهده من وسائل الإعلام] .

مزيد من الإيضاح ..

فقد ورد في الصفحة (١٠) العمود الأول ما نصُّه :

(... إن الصحوة الإسلامية في هذا العصر لم تمر بالعهد المكي تربوياً وإنما قفزت بسرعة فائقة من محاولة تصحيح عقائد المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية سليمة واعية ، إلى المطالبة الصريحة بتطبيق حدود الإسلام والتمكين لأحكام شريعته في جميع مجالات الحياة ، دون أن تكون هناك قاعدة جماهيرية عريضة تؤمن بذلك وتدعو له ، بل تفرضه بالطرق العصرية المعروفة على واجهات الحياة كلها) .

فهل معنى ذلك أن الجماهير المسلمة اليوم ، لا تؤمن بتطبيق حدود الإسلام والتمكين لأحكام شريعته ؟.. إن كان الدكتور محسن يقصد ذلك ، فأنا أختلف معه ، والواقع لا يؤيد ما ذهب إليه .. فقد أُجري ـ في السنوات الأخيرة ـ استفتاء بإحدى البلاد الإسلامية لمعرفة رأي الجماهير في تطبيق الشريعة ، فكانت النتيجة أن الجماهير المسلمة تكاد تجمع على تطبيق الشريعة ..

ولمحت من بين الأسطر دعوة للتكاسل والتراخي ونحن نسير باتجاه تحقيق الإسلام وبسطه على واقعنا ، كما لمحت تثبيطاً للهمم حين قرأت : (... وقد يقول قائل : إن هذا طريق طويل قد يستغرق قرناً أو أكثر . أقول : ليستغرق ما يستغرق ...) !

وإني لأتساءل : إلى متى نظل نتراخى ونركن إلى الدعوات القائلة ببناء القاعدة العريضة ـ إن لم تكن قد بُنيت بعد ـ بينما الباطل يستشري ودعاته ينشطون في كل مجال من مجالات الحياة ؟ .. حتى متى نبقى في مرحلة بناء القاعدة العريضة وحملات التنصير والتغريب وغيرها تقتحم علينا دورنا وتصدمنا أينما ذهبنا ؟

وإذا كان اليهود قد استطاعوا في خلال فترة لا تتجاوز ثلاثين عاماً أن يقيموا كياناً لهم ـ في قلب العالم الإسلامي ـ فلماذا لا يتفاءل كاتبنا بأن نصلح ـ وليس نقيم ـ دولة الإسلام في مثل تلك السنين ؟

أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه] .

● ومن الرسائل التي تعد صدىً لما نشر بالعدد الرابع والأربعين ، ثلاث رسائل : اثنتان منها حول نتائج استطلاع الرأي .. تقول الرسالة الأولى وهي من الأخ محمد زكريا محمد (كيرالا ـ الهند) :

[... طالعت نتيجة استطلاع الرأي بدقة وتمعن .. ودهشت لهذا الكم الهائل الذي وصلكم من الردود والإجابات . وهو إن دلَّ على شيء فإنما يدل على سعة انتشار « الأمة » والقبول الذي وجدته لدى القارىء المسلم .. وفقكم الله لما يحب ويرضى] ..

باقلام القراء

الأمـــل

بعض الناس يسأل : ما هو الحل فيما يواجهه العالم الإسلامي من كوارث وحروب .. ما هو الحل في حرب الإبادة التي تشنها إسرائيل في لبنان ، والاتحاد السوفييتي في أفغانستان .. وهل هناك بارقة من الأمل للخروج من هذا كله ؟

نعم فالله سبحانه وتعالى علمنا أن مع العسر يسراً ومع الضيق فرجاً ، وانه إذا أقفل باباً من أبواب رحمته فإنه يفتح أبواباً أخرى أوسع وأرحب .

والإنسان المؤمن عندما تصيبه المحن والكروب يلتجىء إلى الله .. ولقد مرّت الأمة الإسلامية في تاريخها بمحن وكروب ، بل إنه في عهد الرسول ﷺ كان المسلمون مستضعفين في مكة .. يعذبون ولا أحد يجرؤ على الدفاع عنهم ويقتّلون ولا ناصر لهم ولكن اتباعهم لمنهج الله جعلهم أعزّة بعد الإذلال .

ولقد أراد الله تعالى أن يبتلينا لعلنا نصحو مما نحن فيه .. فنلجأ إليه ثانية .. تائبين .. نادمين .. مستغفرين .

إن المصائب مهما تعاظمت ، والأحداث ـ مهما كبرت ـ لا يمكن أن تسلبنا جزءاً هاماً من ديننا ، وهو الأمل .. لأنه لا ييأس من روح الله إلّا الكافرون] .

بهاء لطفي عبد المجيد قابيل [مصر]

ذكـــرى

المـــولد

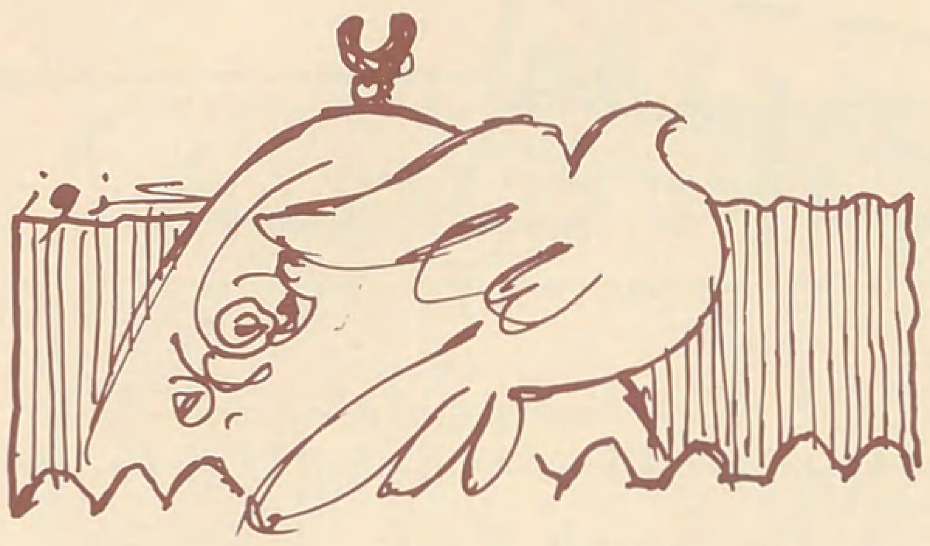

حَيِّ الرَّسُولَ وَحَيِّ ذِكْرىٰ المَوْلِدِ ... وَأَعِدْ مَدِيحَكَ فِي عُلاهُ وَرَدِّدِ

قَدْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُعَانِي قَبْلَهُ ... فَوْضَىٰ سَرَتْ فِي شَمْلِهَا المُتَبَدِّدِ..

حَتَّىٰ إذا اسْتَشْرَىٰ الفَسَادُ تَطَلَّعَتْ ... عَيْنُ الزَّمَانِ إِلىٰ النَّبِيِّ المُرْشِدِ..

وَرَنَتْ إِلى نُورِ النَّبِيِّ كَمَا رَنَتْ ... نَحْوَ الضِّيَاءِ العَذْبِ عَيْنُ الأَرْمَدِ..

فَإذا صَبَاحُ الحَقِّ يُشْرِقُ نُورُهُ ... وَإِذَا بَشَائِرُهُ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

يَا أَفْضَلَ الرُّسْلِ الكِرَامِ تَحِيَّةً ... مِنْ شَاعِرٍ بِجَلَالِ هٰذا المَوْلِدِ..

قَدْ كَانَ مِيلَادَ السَّلَامِ ، فَهَلْ تُرىٰ ... تَأْتِي لَنَا ذِكْرَاهُ بِالسِّلْمِ النَّدي؟!

[يوسف زاهر]

﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

أَبَـوَيَّ ماذا لو جُعِلت فداكُما ... أو هِمْتُ طولَ العُمر في ذِكراكما ؟

قد كُنْتُ نَهباً للضياع ولم أزَل ... في وحشةٍ بين الورىٰ لَولاكما

رَبَّيتُماني في رِحابِ فضيلة ... وَجَعلتماني قائِداً ومكرّما

إن أنتما إلَّا رياض فضائلٍ ... غنَّاءة الأرجاء ؛ طال بقاكما

****

ما في الورىٰ مُتَقَلِّبٌ في نعمة ... قد نالها إلَّا بِفَضل رضاكما

واللّهُ في التَّنْزيلِ وَصَّىٰ أن نبرّ ... كُما وَنُحْسِنُ في الدُّنا مثواكما

أَبُنَيّ إنْ أَتَياكَ يوماً فاخْفِضْ ... لَهُما جَناح مذلَّةٍ فعساهُما

أن يمنحاكَ رضاً ، وإنَّكَ إنْ تقل ... أُفٍ فقد بالغت في إيذاهُما

لِنْ في الخطاب ولا تَكُنْ فظّاً وَقُلْ ... قولًا كريماً طيِّعاً لِهواهُما

أَبُنَيَّ واهْجر كُلَّ واشٍ مُفتَرٍ ... يَسعىٰ بإفسادٍ وَلا تَنْهَرهُما

قد رَبَّياكَ وَأَنْتَ طفلٌ عاجزٌ ... من غير حولٍ فاذكُرَنَّ عَناهما

سَهِرا الدُّجىٰ ، جادا بِكُلِّ نفيسةٍ ... لِتنامَ ؛ لَكِنْ لم تَنَم عَيناهما

عارف الشيخ عبد الله الحسن [دبي]

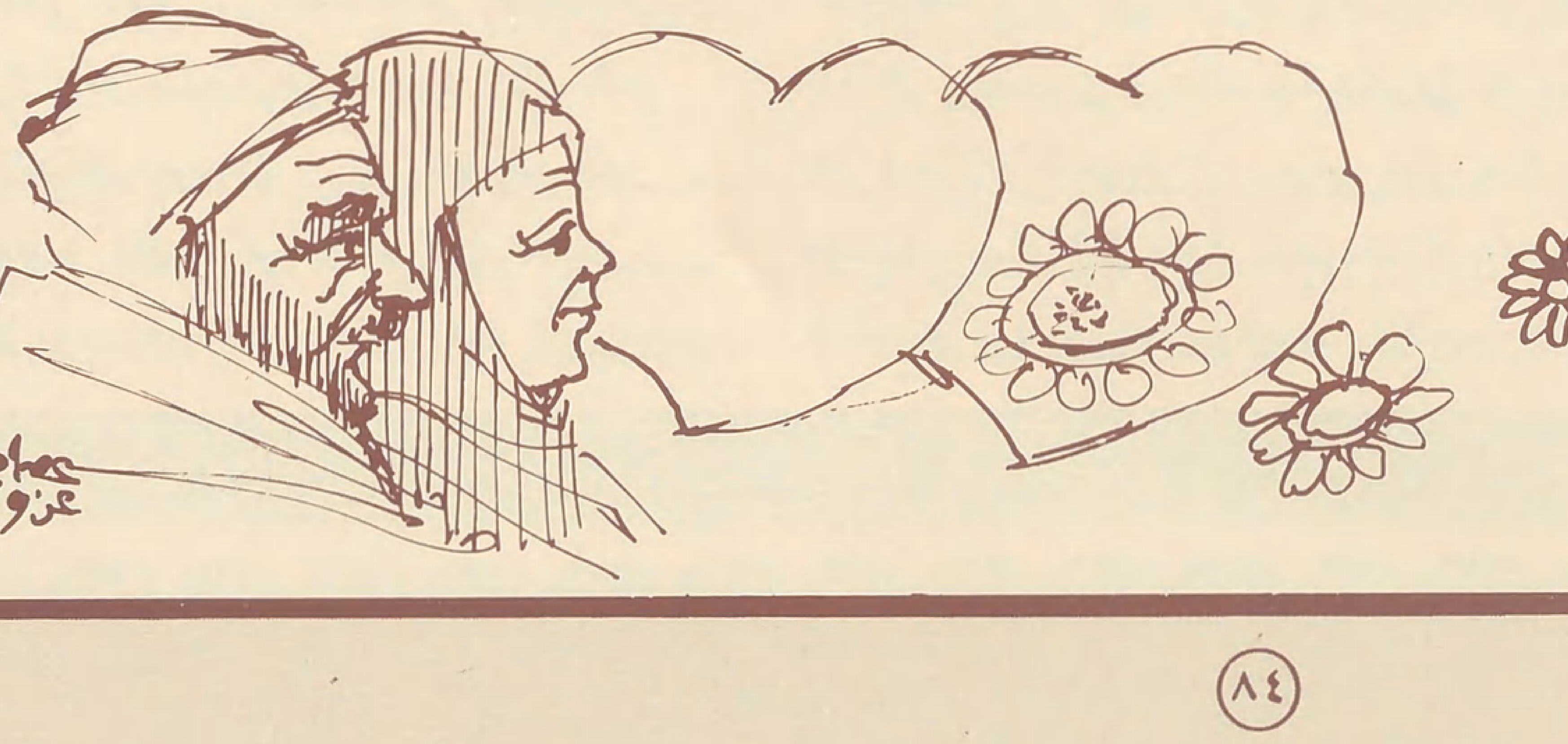

يوم الخريجين في جامعة قطـر

■■ احتفلت جامعة قطر بتخريج الدفعة الثامنة من أبنائها هذا العام، وقد مر على إنشائها أحد عشر عاماً، وبهذه المناسبة ألقى صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر والرئيس الأعلى للجامعة كلمة قال فيها:

[إذا كانت الجامعات في عصرنا الحديث قد غدت معقد الآمال في بناء الأجيال، فإن جامعة قطر تستمد وجودها الحقيقي من هذا المعنى، مستلهمة تعاليم ديننا الحنيف السامية التي تدعو إلى تكريم الإنسان بتزويده بالعلم الوفير، والخلق القويم اللذين يهيئانه لأداء رسالته الإنسانية الخيرة النبيلة].

وحول أهمية التفاعل بين مراكز البحث العلمي والمجتمع قال: [إن البحث العلمي أصبح اليوم أساس كل تطور حضاري، ومراكز البحوث تمثل التفاعل بين العلم والمجتمع، حيث تتحول دراسات مراكز البحوث العلمية إلى أعمال مجدية، كما أن إسهام مركز البحوث التربوية، ومركز الدراسات الإنسانية، ومركز السيرة والسنة النبوية يعد إنجازاً هاماً على طريق بناء الإنسان القطري والخليجي والعربي والمسلم].

ومن المعروف أن جامعة قطر قد أنشئت في (٢٢ فبراير [شباط] ١٩٧٣م) لتكون في خدمة أبناء قطر وأبناء العالم الإسلامي الذين توفر لهم الجامعة البعثات الدراسية والمنح - وكان من بين خريجيها هذا العام طلبة من إحدى وعشرين دولة إسلامية - وقد اتخذت الجامعة الآية الكريمة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ شعاراً لها.

وكانت الجامعة قد ابتدأت خطواتها بكليات محدودة، أما اليوم فتضم خمس كليات بأقسامها المختلفة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية التربية، كلية العلوم، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، كلية الهندسة.. وتعد هذه الكليات بما توفره من خريجين وخريجات خطوة هامة في طريق التنمية الشاملة إذ تؤمن حاجة الدولة من التخصصات المختلفة مما يحقق الاكتفاء الذاتي لها في المستقبل.. خاصة وأن الدفعة الأولى من كلية الهندسة سوف تتخرج في نهاية هذا العام، مما يسد فراغاً هاماً في هذا المجال.

ولعل أهم ما يميز الجامعة من بين جامعات أخرى في المنطقة هو ما اهتمت به من إنشاء مراكز للبحوث العلمية في التخصصات المختلفة، وتهدف من ذلك إلى تطويع النظريات والأبحاث العلمية للأغراض التطبيقية خدمة للصالح العام للمجتمع، وهذه المراكز هي: مركز بحوث السيرة والسنة النبوية، مركز البحوث التربوية، مركز البحوث العلمية والتطبيقية، ومركز الوثائق والدراسات الإنسانية.

ويعد احتفال جامعة قطر هذا العام

بخريجيها - الذين بلغ عددهم في الدفعة الثامنة (٧٠٢) خريجاً وخريجة - هو الاحتفال الأخير الذي يقام بمبنى الجامعة المؤقت، إذ بدأت كليات الجامعة هذا العام في الانتقال للمبنى الدائم للجامعة، والذي قارب على الانتهاء، حيث روعي في تصميمه ما يمكن أن يحقق للعملية التعليمية والتدريبية كامل احتياجاتها وذلك بما احتوى عليه من مخابر ومعامل وقاعات للدرس والحاسب الآلي وغير ذلك من الاحتياجات.. مما يساعد الجامعة على زيادة نشاطاتها واتساع تخصصاتها، وتنوع كلياتها، لتكون قادرة على أداء رسالتها وتحقيق الشعار الذي رفعته منذ انطلاقها. ■■

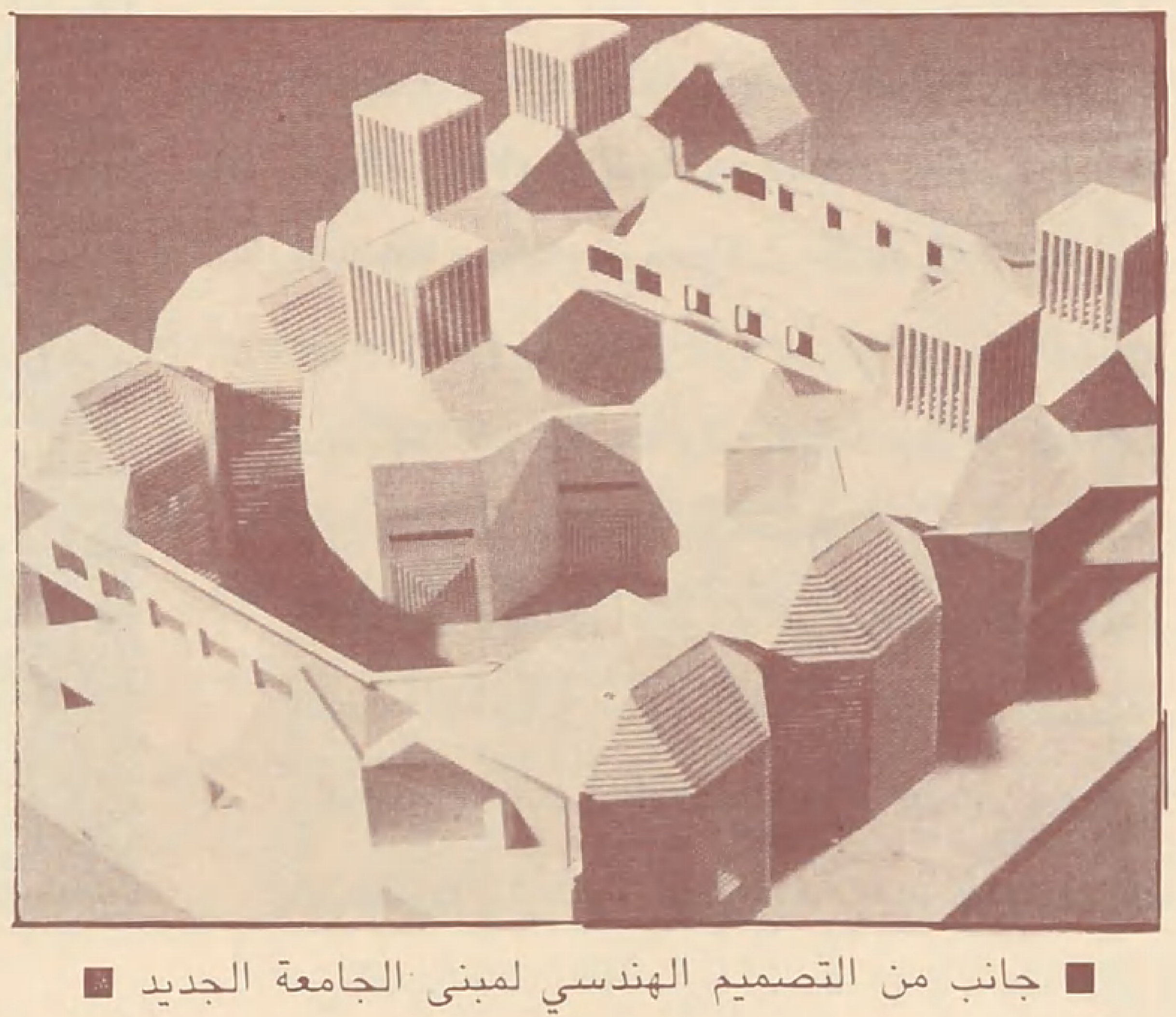

■ جانب من التصميم الهندسي لمبنى الجامعة الجديد ■

الصـــــراع
على أرض الخالصين

■■ تطالب طائفة « السيخ » بالحكم الذاتي في إقليم « البنجاب » الذي تتجمع فيه تلك الطائفة وتأسيس دولة « خالصتان » ، وهذا المطلب قد رفضته حكومة السيدة أنديرا غاندي فأدى ذلك إلى موجة من العنف والشغب في الإقليم من قبل المتطرفين من أفراد وقيادات الطائفة ، ثم اعتصامهم بالمعبد الذهبي بمدينة « أمريتسار » ، وتعطيل حركة المواصلات في الإقليم الذي يربط الطرق الرئيسة بين الهند وباكستان ، الأمر الذي اعتبرته السيدة أنديرا غاندي مبرراً لاقتحام المعبد الذهبي (يونيو [حزيران] ١٩٨٤م) بالاستعانة بقوات الجيش ، ثم دخول وحدات منها المعبد ، الذي يعتبر أهم مقدسات الطائفة ، بعد قتال راح ضحيته حوالي ألف من المتطرفين ومائتين من رجال الجيش ، وزعيم حركة المطالبة بالحكم الذاتي « سانت جارنيل سينج بهيذرانوالي » ـ الذي كان قد رفع علم الطائفة على الحصن الأحمر في دلهي ـ وأخيراً دفعت الثمن السيدة أنديرا غاندي نفسها ، فقد اغتالها اثنان من السيخ من حرس الأمن الخاص بها ، عند مرورها الأخير بممر حديقة يربط بين مكتبها ومقر إقامتها (٣١ أكتوبر [تشرين الأول] ١٩٨٤م) ...

وكلمة « خالصتان » الاسم الذي يطلقه « السيخ » على دولتهم التي يعملون لتأسيسها معناها بالعربية : أرض لخالصين ، والخالصون عند « السيخ » هم أفراد طائفتهم دون غيرهم .. وقد ظهرت هذه الطائفة على خريطة الهند الطائفية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، عندما خرج

■ كتاب « جرانت » المقدس ، لا يجوز الترنم بأشعاره إلَّا بعد التطهر في مياه بحيرة « أمريتسار » المقدسة عند السيخ ■

■ التبرعات التي تصل إلى المعبد الذهبي ، مصدر تمويل دولة « خالصتان » . ■

أحد الكهنة الهندوك ـ يُدعى « جورو ناناك » (١٤٦٩م ـ ١٥٣٨م) ـ ببعض الأفكار التي تدعو للمساواة وتعتبر العمل القيمةَ الحقيقية للإنسان ، فلقيت هذه الأفكار قبولاً لدى طائفة « التشودري » الذين يشتغلون بالزراعة وينتشرون في إقليم البنجاب ، حيث وجدوا في دعوة « جورو ناناك » ما يحررهم من التمييز الطائفي ، ويحترم عملهم اليدوي ، ثم أطلق على كل واحد منهم اسم « سيخ » ومعناها تابع أو مريد بالسنسكريتية ..

ولم تكن فكرة إقامة دولة مستقلة لطائفة السيخ فكرة جديدة ، فهي تعتبر إنعاشاً لفكرة انفصالية ، قدر لها في فترة تاريخية سابقة أن تترجم إلى وجود سياسي ، عندما عملت قيادة الطائفة ـ من بعد جورو ناناك ـ على استكمال المقومات السياسية لمجتمعهم الجديد ، وزاد اهتمامهم بأن يكون لهم أرض تخضع لهم في إطار السيادة العامة للحكومة المركزية ، ونجح « جورو رام داس » زعيم الطائفة (١٥٧٥م ـ ١٥٨١م) في إقناع السلطان المغولي « أكبر » أن يمنحه قطعة أرض تطل على بحيرة « أمريتسار » وتحولت إلى مركز يتجمع فيه الأتباع ليترنموا بأشعار ألَّفها جورو ناناك وبعض زعماء الطائفة ، وأصبح الكتاب الذي يضم هذه الأشعار يعرف باسم « جرانت GRANTH » ـ وهو الكتاب المقدس للطائفة ـ ولا يجوز الترنم بأشعاره إلَّا بعد التطهر في مياه بحيرة « أمريتسار » المقدسة أيضاً لديهم .. وهذا التطور النسبي في كيان السيخ ، جعل أحد زعمائهم ـ « جورو أرجون مال » ـ يقيم حكماً ذاتياً مستقلاً ؛ اعتُمدت له مصادر مالية من الهبات ثم تحولت إلى ضرائب تُفرض على الأتباع وتحدد مقاديرها بقانون ..

وعندما قوي نفوذ « أرجون مال » ؛ باتت تطلعاته السياسية تدفعه للتمرد على السلطة المركزية ، الأمر الذي جعل السلطان المسلم « سليم المغولي » يأمر بقتله ، فأصبح في نظر السيخ بطلاً ، وتحولت الطائفة ـ على يد ابنه ـ من جماعة من المزارعين يباشرون حياتهم الاجتماعية والعقيدية بحرية كاملة في ظل حكم السلاطين المسلمين ، إلى جماعة من المقاتلين تهاجم القرى الإسلامية وتحاول إجبار المسلمين على اعتناق عقيدة السيخ ، وكان أن رد الحكام المسلمون عليهم وصدّوا هجماتهم وأوقفوا عدوانهم ، مما خلّف ميراثاً من العداء بين السيخ والمسلمين في شبه القارة الهندية حتى اليوم ..

■ زعيم السيخ « جارنيل سينج » الذي قتل أثناء اقتحام الجيش الهندي للمعبد الذهبي ، يحمل في يده الههم الفضي رمز السلاح عند السيخ . ■

وحول هذه القضية ، ترى مجلة « السياسة الدولية » - التي تصدر بالقاهرة - أن سبب ظهور فكرة « خالصتان » مرة أخرى واقترانها بالعنف يكمن في المسلك السلبي الذي تسلكه الحكومة الهندية وخضوعها لضغط بعض الطوائف العرقية من أجل مطالب تتخذ في ظاهرها طابعاً عرقياً أو لغوياً ، بينما هي في الحقيقة تتحرك بدوافع دينية وتخفي طموحات سياسية واقتصادية ، مثل تحرك سكان ولاية « آسام » من الهندوك المتطرفين لطرد المسلمين من أصل بنغالي بزعم أنهم دخلاء على الولاية ، ومن ثم لا بد أن يعودوا ؛ إما إلى بنجلاديش أو إلى ولاية غرب البنغال الهندية ، ولم تقف الدولة موقفاً حاسماً من قضية « آسام » ؛ الأمر الذي شجع السيخ على أن يمارسوا الموقف نفسه ..

ونحن نرى هنا أن هذا الزعم يخفي وراءه - بالدرجة الأولى - حقداً وتعصباً ضد المسلمين من جانب الهندوك أكثر مما يخفي من طموحات سياسية ، وذلك حسب التقارير والاستطلاعات التي نشرتها وأذاعتها مصادر محايدة ، والأمر على هذا النحو قد أغرى طائفة السيخ منذ أوائل العام الماضي بأن تثير مطالبها بحكم ذاتي لإقليم البنجاب - الذي يضم ولايتي البنجاب وهاريانا - والأخيرة تحيط بالعاصمة نيودلهي على شكل يشبه حدوة الحصان ، وأن تكون مدينة « تشانديجرة » عاصمة الإقليم .. وتشدد السيخ في مطالبهم ، وتحركت قياداتهم في الخارج في كندا والولايات المتحدة وبريطانيا وقابل هذا التحرك الرمزي ممارسات عنيفة في الداخل .. وكان من الصعب القول : بأن حادث المعبد الذهبي قد وضع نهاية للعنف والصراع والتطرف .. كما أنه من الصعب أيضاً القول بأن اغتيال أنديرا غاندي قد يضع نهاية له .. ■■

الرئيس ريجان

ملامح شخصية

■ رونالد ويلسون ريجان (٧٣ عاماً) ، الرئيس الأمريكي لفترة رئاسية ثانية مدتها أربع سنوات تبدأ من ٦ نوفمبر [تشرين الثاني] ١٩٨٤م ، وهو الرئيس الأربعون للولايات المتحدة الأمريكية منذ يناير [كانون الثاني] ١٩٨١م .. ولد في ٦ فبراير [شباط] عام ١٩١١م في مدينة تامبيكو - بولاية الينوي - والده كاثوليكي من أصل أيرلندي وأمه بروتستانتية من اسكتلندة ، تزوج مرتين وأنجب ثلاثة أولاد وتبنى واحدة ، درس في كلية نصرانية صغيرة اسمها « أوريكا كوليج » بولاية الينوي ، وتخرج فيها عام ١٩٣٢م ليعمل معلقاً رياضياً بإحدى إذاعات ولاية « أيوا » ، ثم احترف التمثيل عام ١٩٣٧م وشغل منصب رئيس نقابة ممثلي السينما عام ١٩٤٧م - ١٩٥٣م .. وبعد ذلك عمل موظفاً بالعلاقات العامة بشركة « جنرال إليكتريك » عام ١٩٥٤م - ١٩٦٢م ، ثم انتخب حاكماً لولاية كاليفورنيا - كبرى الولايات الأمريكية - في نوفمبر [تشرين الثاني] ١٩٦٦م وأعيد انتخابه في ١٩٧٠م .. وحاول أن يكون مرشح الحزب الجمهوري في انتخابات الرئاسة الأمريكية وفشل مرتين ، في عام ١٩٦٨م و ١٩٧٦م ، وفاز أخيراً برئاسة الولايات المتحدة في ٤ نوفمبر [تشرين الثاني] ١٩٨٠م بأغلبية ٧٥ر٥٠٪ مقابل ٢ر٤٠٪ لمنافسه الديمقراطي آنذاك « جيمي كارتر » .. يصفه بعض المحللين السياسيين بأنه أكثر الرؤساء الأمريكيين دعماً لإسرائيل : فقد حصلت إبّان فترة رئاسته الأولى على الامتيازات التي طلبتها من حكومته بشأن إعادة تصدير التكنولوجيا الأمريكية إليها ، كما كانت إسرائيل تتلقى بانتظام جميع أنواع الأسلحة المتطورة ، وقد وقع ريجان مع إسرائيل اتفاقية التعاون الاستراتيجي ، والأمر الجدير بالملاحظة هنا أن هذا الدعم غير المحدود لإسرائيل ينطلق من رؤية لاهوتية توراتية ، فقد أعلن ريجان أكثر من مرة بأن حلول جميع المشكلات تكمن في « الكتاب المقدس » وأن « النصارى واليهود هم أبناء يعقوب » ، وأن « فلسطين يهودية » ، وصرح بأن قيام إسرائيل هو إنجاز وتحقيق لحلم دام (٢٠٠٠) سنة ، وأن اليهود أصبحوا يعيشون الآن بحرية في دولة يهودية .. وبطبيعة الحال فإن هذه الرؤية تتفق مع استراتيجيته السياسية ، حيث يرى أن : « إسرائيل وأمريكا مرتبطتان برباط حديدي » ، وأن : « إسرائيل هي الرصيد الاستراتيجي للولايات المتحدة » كما تتحكم هذه الرؤية بمضمون القرار السياسي الأمريكي وبطبيعة العلاقات الدولية خاصة مع العرب ، حيث يرى أن « سعي إسرائيل من أجل الأمن والسلام في خطر مستمر من قبل الذين يدفعهم الحقد والعنف .. ولإسرائيل صديق هو الولايات المتحدة ، والأصدقاء المخلصون يقفون دائماً متحدين » ..

معبد لليهود في فالي ستريم - نيويورك

■ قبعة اليهود على رأسي ■

وعلى صعيد آخر ، فإن سياسة الرئيس الأمريكي رونالد ريجان تقوم على أساس ضرورة التعامل مع الاتحاد السوفييتي من موقع القوة ، وتعتمد لذلك خطة إعادة تسليح أمريكا والتخطيط لحرب الفضاء ووضع برنامج « حرب الكواكب » لحماية أمريكا من أخطار الهجوم النووي ، وبرنامج صواريخ « إم . إكس » التي يحمل كل منها عشر رؤوس نووية ، الأمر الذي جعل موسكو تعلن مؤخراً عن نشر صواريخ جديدة من طراز « كروز » بعيدة المدى على الطائرات والغواصات .

وفيما يتعلق بالسياسة الاقتصادية ، فإن التحليلات تجمع على أن الوضع الاقتصادي في الولايات المتحدة قد أصبح أكثر إشراقاً خلال العامين الماضيين من حكم الرئيس ريجان ، ولا يدل على ذلك ارتفاع قيمة الدولار عالمياً بالنسبة للعملات الدولية المنافسة فحسب ، وإنما أيضاً ما يعتقده الشعب الأمريكي في الداخل من أن الحالة الاقتصادية قد تحسنت ، ومقياسه في ذلك هبوط نسبة الضرائب ورفع القيود البيروقراطية وهذا ما يلاحظ في سياسة ريجان التي تسعى إلى أن يكون دور الحكومة محدوداً في معظم المجالات .. باستثناء الأمور العسكرية .. ■

قراءة ثقافية

مشكلات التنمية من منظور إسلامي

■■ تعتبر مشكلة التنمية من المشاكل المزمنة في عالم الاقتصاد ، وتنطلق في مبدئها من قلة الإنتاج وزيادة الاستهلاك ، فينشأ العجز عن النمو أو التطوير في الهيكل الاقتصادي .. وهناك وجهات نظر متعددة ومختلفة لمواجهة مشكلات التنمية وسبل معالجتها ، وتحقيق الرفاه لبني الإنسان ..

(مشكلات التنمية من منظور إسلامي) كان عنوان المحاضرة التي ألقاها بالدوحة الأستاذ الدكتور عبد العزيز الخياط عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية ، في إطار الموسم الثقافي السابع الذي تقيمه رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر . ■■

استهل الدكتور عبد العزيز الخياط المحاضرة بالإشارة إلى ان التنمية في الإسلام أساس ، فالإسلام في فجره كان إسلاماً فاعلاً ، حركياً ، يحمل مع عقيدته أنظمة للحياة .. ثم استعرض دور الإسلام في حياة البشرية وواقعها ، وكيف أنه احتوى ما في الأديان الأخرى .. وانه أصبح قوة هائلة من خلال أمة واحدة كانت لها وحدتها الاقتصادية التي تنبع من وحدتها العقيدية ، فكان الدينار الذهبي أو الدرهم الفضي عملة واحدة عليها شعار واحد [لا إلـه إلّا الله ، محمد رسول الله] ، وكان انتقال السلع بين الأقطار الإسلامية لا تحكمه اية حواجز أو عقبات تماماً كانتقال الأفراد .

حقائق وأوهـام

وقبل الحديث عن مشكلات التنمية التي عرض لها المحاضر أوضح بعض الحقائق الاقتصادية الأولية الهامة في العالم الإسلامي ، والتي لا بد من استحضارها في الرؤية الإسلامية لمفهوم الحل في مشكلة التنمية فقال :

« إن رقعة العالم الإسلامي تجعل مصادر الثروة في بلاد المسلمين متنوعة ، وتقدر مساحة البلاد الإسلامية التي تكون الأكثرية فيها إسلامية باحد عشر مليون ميل مربع ، اي اكثر من نصف العالم !.. وتزخر هذه المساحة بالثروة البشرية والطاقة المادية ، ومصادر المياه ، والثروات المعدنية والمساحات الواسعة الصالحة للزراعة ... » وبلغة الأرقام فإن العالم الإسلامي ينتج ما يقرب من نصف إنتاج العالم أو يزيد : القطن (٨٥٪) من قطن العالم ، والنفط (٧٠٪) من نفط العالم ، والمطاط (٧٥٪) من مطاط العالم ، والفوسفات (٤٥٪) من فوسفات العالم وكذلك البوكسيت (٢٧٪) ، والذهب (٥٠٪) ، وزيت النخيل (٧٠٪) ، كما يُنتج اليورانيوم في العالم الإسلامي أيضاً .

لكن هذه الثروات التي يزخر بها العالم الإسلامي لم تفلح في رفع التخلف عنه ، ويرى الدكتور الخياط أن سبب ذلك يعود إلى السيطرة الخارجية من الأمم الأخرى على اقتصاد المسلمين خاصة السيطرة المالية لليهود على الأمة الإسلامية والتي لم يتمكن اليهود منها خلال الف وثلاثمائة عام .. ففي هذه الفترة الماضية كان تاثير الأمة الإسلامية على اقتصاد العالم قوياً .. وكانت الأمة الإسلامية يكفل بعضها بعضاً ضد اية نازلة او كارثة دون تمييز بين بلد وآخر او شعب وشعب ، واستطاعت الأمة أن تجتاز الأزمات الاقتصادية بتجارتها وزراعتها وتخطيطها في ظل العدالة الاقتصادية والاجتماعية .

مفهوم التنمية عند الغربيين

بعد إبراز هذه الحقائق تناول المحاضر مشكلة التنمية الاقتصادية بصورة مباشرة فقال : إنها العمل على النمو والتطوير لما هو افضل .. وفي رؤية الاقتصاديين الغربيين : هي عملية تغيير اقتصادي متعدد الابعاد تتم بتدخل الدولة لإجراء تغييرات جزئية في هيكل الاقتصاد وإحداث نمو أعلى من النسبة الطبيعية ، وينبني على هذه التنمية تغير اجتماعي في القيم والأخلاق ، والعادات ، وفي أنماط السلوك ، وتغير في الاستهلاك ، وهو يؤدي بالتالي إلى استغلال ارتفاع دخل الفرد في الإنفاق والرفاه ، او الادخار المؤدي إلى الكنز ، أو استغلال الدخل في زيادة الإنتاج .

أما التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي فهي كما يرى الدكتور الخياط لا تؤدي إلى تغيير في القيم والعادات والتقاليد ، إلّا في المجتمعات التي لا يضبطها ضابط من عقيدة او قيم .. فالإسلام يرى أن التنمية الاقتصادية جزء من تنمية المجتمع بأبعادها المختلفة ، ولا تقتصر على التنمية المادية فحسب ، لأن الإسلام يسعى لإسعاد الإنسان في الدنيا وفي الآخرة : ولأنها ليست عملية إنتاج فحسب ، بل عملية إنسانية تستهدف الإنسان وتقدمه ورقيه مادياً وروحياً واجتماعياً ..

ومن هنا يرى الإسلام أن المال وكل الأعمال المادية ينبغي أن تكون موجهة بأوامر الله ونواهيه وبما جاء في القرآن والسنة ، والأحكام المستنبطة منهما ، ومن ذلك ما هو ثابت لا يتغير بتغير الأزمان والأمكنة والناس : كالعقيدة الإسلامية والقيم والأخلاق ، مهما اختلفت طرائق معيشتهم ووسائل إنتاجهم ، ومهما ارتقت مفاهيم تفكيرهم في العلم والحياة .. وثبات العقيدة والأخلاق لا ينفي التطور وذلك باستنباط الأحكام الشرعية بطريق الاجتهاد للمشكلات والعلاقات الجديدة ، حسب مفهوم الثابت والمتغير في الإسلام ، طبقاً للقاعدة : « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » ، وبالتالي يجعل العقيدة والقيم والأخلاق ضوابط تضبط التنمية الاقتصادية وتضبط معها الرفاه بحيث لا تنحرف عن الغاية المقصودة منها .

الرفـاه في الإسـلام

وإذا كانت غاية التنمية هي توفير الحاجات وتحقيق مفهوم الرفاه ، فإن للرفاه مفهوماً في الإسلام : يقول الدكتور عبد العزيز الخياط :

الرفـاه في اللغة : من رفه عيشه إذا كان مستريحاً متنعماً ، لين المعيشة ، ومنه ياتي المعنى الاقتصادي وهو : لين العيش والتنعم في الحياة .. وهو معنى يحتاج إلى تضييق عمومه لا تحديده ، لأن التحديد لا يمكن : لاختلاف الناس والبيئات والحاجات ، ولكن تضييق العموم ممكن ، وهذا يرتبط بمعنيين : معنى الفقر وتحديده ، ومعنى الغنى وتحديده .

الفقـر : عدم ملك شيء ، أو ملك اقل القوت ، والفقير على هذا من لا شيء له ، وقد يكون معنى الفقر قلة الدخل ، وكثرة النفقة الضرورية ، اي ان الدخل اقل من النفقة ، ورأى بعض العلماء ان معنى الفقر هو عدم إشباع الحاجات الأساسية إشباعاً كاملاً ، ووردت بعض النصوص في ذلك : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (القصص : ٢٤) أي محتاج ، ﴿ وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (الحج : ٢٨) البؤس شدة الحاجة ، والفقر عدم إشباع الحاجة ، ويفهم من ذلك أن معنى الغنى في حده الادنى هو القدرة على

إشباع الحاجات الضرورية ، وليس له حد أعلى ، والإسلام عمل في احكامه على منع الفقر ، لا منع الغنى .. بخلاف الشيوعية التي منعت الغنى واثبتت الفقر ! وبخلاف الراسمالية التي كثَّرت الفقر وجعلت الغنى بلا ضوابط ! لكن الإسلام حدد الغنى بطريقة الكسب الحلال ، ومنع الكسب الحرام ، واوجب فيه حق الزكاة ، ونـدب إلى الصدقات ، ومنع الإنفاق الحرام .

ما هي الحاجات الضرورية ؟

وتضييقاً لعموم المعنى في الفقر والغنى طرق المحاضر فكرة أساسية في هذا الصدد وهي حدود الحاجات الضرورية التي يعتبر الفقر والغنى على أساس إشباعها ، فذكر أن الضروريات التي لا بد منها لتحقيق مصالح الناس خمس موجزة في : حفظ الدين ، حفظ النفس ، حفظ العقل ، حفظ النسل ، حفظ المال . وكلها تتعلق بالاقتصاد من اكثر من وجه ، وهي أمور رأى الفقهاء توفيرها قديماً ، بناء على ظروف حياة الناس واعرافهم وطرائق معيشتهم ..

لكننا إذا نظرنا إلى اختلاف البيئات ، وطرائق المعيشة وما يستجد من حاجات ، وجدنا أنه لا بدَ من اعتبار توفير الزواج والمواصلات من الأمور الضرورية ، باعتبار مـا يؤدي إلى تأمين هذه الضروريات من الأمـور الضروريـة ؛ أيضاً في الإنتاج .

فإنتاج البسط ، وإنشاء مصنع نسيج ، أمور ضرورية لأننا لا نستطيع الاستغناء عن اللباس ودفع البرد عن البيت ، كذلك مصنع الأدوية لأنه يؤدي لحفظ النفس والنسـل .. لأن مـا لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب .. قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ ﴾ (البقرة : ٢٣٣) ، ﴿ اسْكِنُـوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ من وُجْـدِكُمْ ﴾ (الطلاق : ٦) ، وقال ﷺ : « الا وحقهن عليكم أن تُحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » .

والمسكن الذي يتسع للأسرة جميعاً ضروري ، ولا يكفي المسكن وحده ، بل لا بد له من أثاث يقوم بالحاجة ، كذلك اللباس لا بد أن يكون الساتر والواقي من الحر والبرد .. لذلك يقدر الغنى بما يفضل عن إشباع حاجات الإنسان بالمعروف ، والتمتع المباح الذي تشير إليه الآيات الكريمة ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ (هود : ٣) ﴿ يَـا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَـدِينَ ﴾ (المـائـدة : ٨٧) وقوله ﷺ : « من سعادة المرء المسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيء » .

الدكتور عبد العزيز الخياط

- عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية .
- وزير الأوقاف والمقدسات والشؤون الإسلامية سابقاً .
- أعدّ رسالة الدكتوراه في جامعة الأزهر ١٩٦٩م وكانت بعنوان : « الشركات في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي » .
- من كتبه : « المجتمع المتكافل في ظل الإسلام » .

ضوابط الاستهلاك والإنتاج

إن مؤدى التنمية بعد ذلك بالنسبة للفرد والمجتمع هو إيجاد الرفاه الذي يحقق الحاجات الضرورية للإنسان بما يتناسب وكل عصر . ويرى الدكتور الخياط أن الرفاه إذا أدى إلى استهلاك ثمرات التنمية في الطريق الخطأ أو ادى إلى تعطيل طاقات الإنسان والمال ، فيجب ان يمنع حينئذ الاستهلاك المهدور ، والتعطيل المعوق للتنمية ، وذلك بتحريم السرف والترف والكنز والشح ، وترشيد الرفاه والاستهلاك في طريق وسط بين النقيضين طبقاً لوسطية الإسلام العادلة ..

وفي ختام محاضرته عن التنمية اشار إلى مفهوم المسرف وما يجب ان يقام نحوه . فهو سفيه يجب الحجر عليه ومنعه من التصرف في ماله ، فالترف يعيق التنمية والصلاح والإصلاح وما إلى ذلك من كفران النعمة واستحقاق الهلاك لذهاب الأمن وقلة الإنتاج .

والحل كما يراه هو : المعادلة الوسطية في الإسلام بين الإسراف والتقتير ، والجود والشح ، والتوازن العدل بينهما .. فيكون الاستهلاك وسطاً بينهما ويتم ذلك حسب وفرة الإنتاج وقلته .

الإنتـاج اصلاً موجه لرضوان الله ، وبتعاليم الإسلام لرفعة الأمة وحمل الرسالة ونشرها ﴿ وَمَـا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَـعْبُـدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) فقطع الإنتاج عن هذه الغاية فصل للدين عن الحياة !

وقال الدكتور عبد العزيز الخياط محذراً : إن إجادة الأجيال الجديدة للاستهلاك دون الإنتاج ورفع شعار المشاركة في خدمة المجتمع للدعاية في الجامعات والمدارس أدى إلى كثرة المتخرجين الذين يعملون للاستهلاك ولا يعملون للإنتاج والتنمية .. لقد دخل المخططون لضرب اقتصادنا وجعلنا في دائرة حب الدنيا وكراهية الموت ، ولا نعرف لهم اسماً ولا هوية ، جاؤوا بصورة جديدة لا تحمل طابع دولة مستعمرة بعينها ولا صهيونية بعينها ، دخلوا من ابواب كبيرة وباعداد كبيرة .. إن الاستهلاك يبعدنا عن التنمية الصحيحة والرفاه الصحيح في نظر الإسلام .

إن حب الدنيا الذي انتشر بين المسلمين هو السبب في تداعي الأمم علينا كما اشار إلى ذلك الحديث المعروف « توشك ان تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ... » ، وفيما يراه المحاضر فإن تشبيه الرسول ﷺ الأمر المـادي الاقتصادي بتداعي الأكلة إلى المـائـدة ؛ إلى القصعة ، جاء أدق في التعبير بتداعي الأكلة إلى الطعام ؛ لأن القصعة هي رقعة العالم الإسلامي تمتد إليها الأكلة اليوم .. ويحدث ان نشارك نحن في هذا ، فنساعـد على تمزيق انفسنا ، وتقطيع بلداننا ، وليس ذلـك من قلة ، لا في الطاقة البشرية ، ولا في الموارد المالية ، لكننا للأسف تحولنا إلى افقر شعوب الأرض بتحولنا من أمة عاملة إلى أمة مستهلكة ، وهذه صورة من صور حب الدنيا ، ومثل هذه الرؤية الواعية للنصوص يمكن ان تضيء جوانب هامة في القضايا الاقتصادية المعاصرة ، لـو أُتبعت بمزيد من الدراسات والأبحاث .

إن الوهن الذي يصيب الأمة الإسلامية ويكون سبباً لتداعي الأمم عليها هو حب الدنيا والاستزادة من متعها ولذاتها وكراهية الموت ، وذلك يعني اول مـا يعني القعود عن الإنتاج والاستزادة من الاستهلاك ـ التي يدفع إليها حب الدنيا والعبّ من متعها . ■■

في عالم الاقتصاد

التعاون الاقتصادي بعد التعاون الاستراتيجي

■■ معاهدة اقتصادية جديدة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، يتم بموجبها إقامة منطقة حرة بين البلدين، وإلغاء إجراءات الحماية الجمركية والقيود الضرائبية على المعاملات التجارية بينهما؛ سيجري توقيعها قريباً، حيث انتهت مراحل الإعداد لها دون انتظار نتائج الانتخابات الأمريكية، الأمر الذي يضعها في إطار السياسات الثابتة لكلا البلدين..

وقد صرَّح إيلمر ونتر - رئيس لجنة الكونجرس الأمريكي للعلاقات التجارية، والذي كان يرأس اللجنة اليهودية الأمريكية، إحدى مؤسسات الضغط اليهودية - بأن الاتفاق الجديد سوف يوفر للشركات الأمريكية فرصة فتح أسواق جديدة لها في أوروبا عبر إسرائيل، حيث إن هذه الأسواق تعتبر من أهم الأسواق العالمية التي تستوعب التقنية المتطورة في الوقت الحاضر..

ومن المعروف أن هناك اتفاق تجارة حرة وتعاون اقتصادي بين إسرائيل والسوق الأوروبية المشتركة (مايو [أيار] ١٩٧٥م)، تحصل إسرائيل بموجبه على إعفاء صادراتها إلى أوروبا من الرسوم الجمركية..

ومن ناحية أخرى، كان ضمن قرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي الذي انعقد مؤخراً في عمَّان، أن يكون المحور الرئيس للدورة المقبلة (الثامنة والثلاثين) للمجلس موضوعي: المقاطعة العربية، والمنطقة التجارية الحرة بين الولايات المتحدة وإسرائيل.. ■■

الشركات متعدِّدة الجنسية

■■ برز مسمى «الشركات متعددة الجنسية» خلال السنوات القليلة الماضية بسبب انتشارها وتأثير نفوذها على اقتصاديات كثير من الدول؛ خاصة الدول الفقيرة، وفي تعريف بسيط لهذه الشركات، يمكن أن نعتبرها المؤسسات عابرة الحدود التي تنشأ في الدول الراسمالية وتقوم بنشاطها في أكثر من قطر في العالم بهدف تحقيق الأرباح القصوى.. وهي كبيرة الحجم بالنسبة للسوق، وهذا يعطيها قدرة للهيمنة عليه، ومتعددة النشاط؛ حيث تقوم بأكثر من صناعة واحدة، ابتداء من إنتاج الكهرباء من الطاقة النووية إلى امتلاك المصارف والمشروعات الزراعية والصناعية والسياحية الهائلة..

وقد جاء في دراسة حول هذه الشركات - نشرتها مجلة «المسلم» التي تصدرها «رابطة الطلاب الإسلاميين» في فرنسا - أن إنتاج هذه الشركات قد بلغ أرقاماً هائلة بحيث يجعل منها قوة اقتصادية قادرة على الفعل على مستوى العالم، وإذا ما قورن حجم هذا الإنتاج مع الإنتاج القومي الإجمالي لبعض الدول نجد - على سبيل المثال - أن شركة «جنرال موتورز» تاتي قبل بلجيكا ولكسمبورج والارجنتين وسويسرا، وان شركة «ستاندرد اويل» تاتي قبل باكستان والدانمرك وتركيا والنمسا ورومانيا.. وهذا الامر يوضح - في الحقيقة - مدى التاثير الاقتصادي لهذه الشركات..

وتشير الدراسة إلى أن الشركات «متعددة الجنسية» تسيطر على أكثر من ثلثي إنتاج العالم بطريقة غير مباشرة، وان الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك ما لا يقل عن نسبة ٨٥٪ من هذه الشركات، والباقي تمتلكه الدول الأوروبية واليابان..

وقد قدرت هيئة الأمم المتحدة قيمة الإنتاج الدولي للشركات متعددة الجنسية في مطلع الستينيات بما يزيد عن (٣٣٠) مليار دولار، اي انه يزيد على كل صادرات العالم الراسمالي خلال الفترة نفسها بمقدار (١٨) مليار دولار..

وتقوم هذه الشركات بدور كبير في نشاط التجارة الخارجية الدولية، ويزداد دورها اهمية سنة بعد اخرى، وقد بلغت صادراتها سنة ١٩٧٠م حوالي (١٦١) بليون دولار من حجم صادرات الدول الراسمالية البالغ (٢٧٨) بليون دولار اي بنسبة ٥٨٪، منها (٨٣٫٧) بليون دولار من نصيب الشركات الأمريكية، و(٧٧٫٣٧) بليون دولار لشركات أوروبية ويابانية.. ■■

بنك البنوك الإسلامية

■■ عقد في القاهرة في نوفمبر (تشرين الثاني ١٩٨٤م) المؤتمر الدولي الثالث لخبراء الاستثمار في المصارف الإسلامية لمدة ثلاثة أيام، اشترك فيه (٢٢) مصرفاً ومؤسسة إسلامية من (٢٠) دولة في العالم العربي وأفريقيا وأوروبا وآسيا، وكان المؤتمر الأول قد عقد في جدة بالمملكة العربية السعودية، والمؤتمر الثاني في العاصمة الأردنية العام الماضي..

وقد بحث المؤتمر هذا العام وسائل التعاون بين المصارف الإسلامية في مجال انتقال السيولة النقدية كإحدى أهم المشكلات التي تواجه العمل المصرفي الإسلامي، وكيفية تبادل الخبرات لحل مشكلة تبادل التمويل بين المصارف.. كما جرى بحث كيفية استثمار مدخرات وودائع المصارف الإسلامية؛ بهدف الوصول إلى اتفاق عام حول مبدأ المشاركة في تحمل المخاطر..

وقد أشار رئيس المصرف الإسلامي الدولي للاستثمار والتنمية بجمهورية مصر العربية إلى أن هذا اللقاء الدولي يركز على خطوة اقتصادية هامة، هي تأكيد فاعلية استخدام مبدأ المشاركة في المشروعات كوسيلة تضمن خفض الأسعار ومحاربة التضخم، خاصة في ظل الارتفاع المتزايد لأسعار الفائدة في بنوك العالم المختلفة عند منح القروض، كما يركز أيضاً على كيفية تبادل التمويل والودائع بين المصارف الإسلامية..

ومن ناحية أخرى، قال منسق المصارف بالسعودية: إن المصرف الإسلامي العالمي، أو بنك البنوك الإسلامية سيبدأ نشاطه العام القادم بإذن الله حيث تم توقيع عقد التأسيس برأسمال قدره خمسمائة مليون دولار واشتركت فيه معظم الدول والمصارف الإسلامية..

ومن المعروف أن المصرف العالمي سيقوم بدور المنسق الرئيس لأعمال المصارف الإسلامية التي لا تتاجر بالأموال كسلعة، وإنما تتعامل لتحقيق التنمية في البلدان الإسلامية بالمشاركة في المشروعات الإنتاجية ذات الفائدة في مجال تلبية احتياجات المجتمع وتدعيم اقتصاده.. ■■

التعبير بالصورة

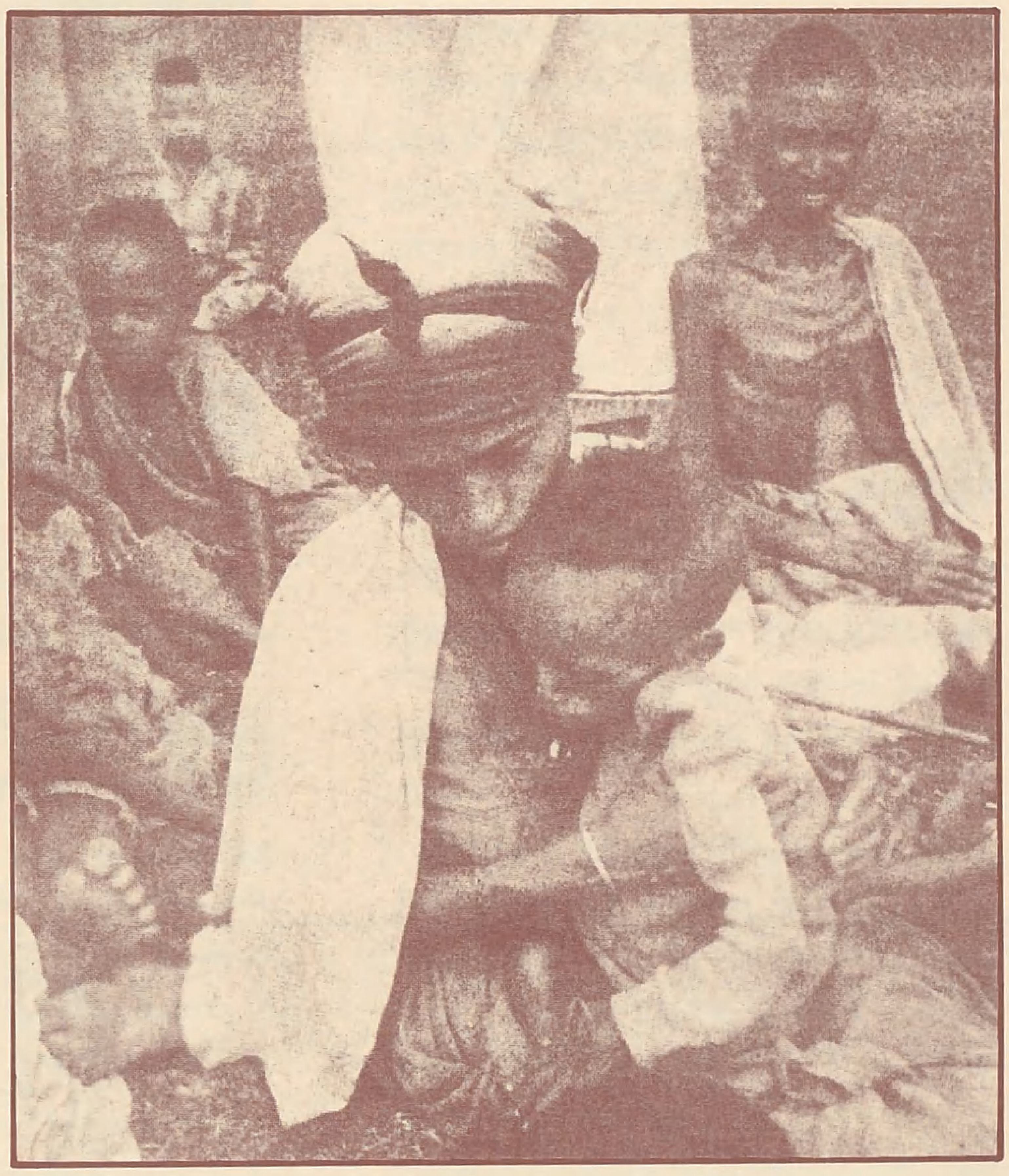

كارثة الجفاف والمجاعة في أفريقيا المسلمة

[منافذ التنصير .. ومداخل الاستعمار الحديث]

أخبار قصيرة

●● عقدت في لندن بمقر رابطة العالم الإسلامي في الثالث والعشرين من شهر المحرم ١٤٠٥هـ الدورة الخامسة للمجلس القاري لمساجد أوروبا بإشراف الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام للرابطة وللمجلس الأعلى العالمي للمساجد ، وقد ضمت ممثلين عن المنظمات الإسلامية في بريطانيا والدول الأوروبية الأخرى ، وفي كلمة الافتتاح أكّد الدكتور عبد الله على أهمية دور المسجد في الإسلام ...

●● تتخذ الاستعدادات لعقد المؤتمر السنوي العام لجمعية الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة ، والذي سيعقد في الفترة ما بين ١٨ إلى ٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٤م تحت شعار « الدولة الإسلامية بين الأمل والواقع » وسيشارك فيه عدد من أعلام الدعاة والعلماء والمفكرين الإسلاميين .

●● تفيد مصادر الأوساط الإعلامية بأن شحنات الحبوب والغذاء التي أرسلتها منظمات الإغاثة الدولية إلى ميناء « عصب » الأريتري قد جرى تعطيلها من قبل السلطات الأثيوبية بسبب إجراءات الاحتفال بالذكرى العاشرة للثورة الشيوعية والذي أقامه نظام الجنرال « منجستو » هذا العام بمظاهر لم يسبق لها مثيل .. ويقول خبراء جمعيات الإغاثة : إن الوقت قد فات لإنقاذ ما يقرب من مليوني أثيوبي مشردٍ في مناطق يصعب الدخول إليها بسبب موجة الجفاف ، وإن اللوم يقع على نظام منجستو الذي ترك المجاعة تصل إلى هذا الحد دون تحرك ..

●● أفادت مصادر دبلوماسية في كابول ـ العاصمة الأفغانية ـ أن تظاهرة جريئة قامت مؤخراً ضد الحكومة الأفغانية بالعاصمة ، دعا فيها المتظاهرون عبر مكبرات للصوت : « أفيقوا وانضموا إلى قتال العدو بصفوف المجاهدين » ..

●● تشير التقارير إلى أن رئيس حكومة إسرائيل « شيمون بيريز » قد خصص جانباً كبيراً من زيارته الرسمية الأخيرة إلى أمريكا لتوسيع نطاق حملة جمع التبرعات لمشاريع الاستيطان ، وأن وزير التجارة « آرييل شارون » يقود تظاهرات المتطرفين اليهود لتأييد حركة الاستيطان وتطبيق سياسة الترهيب لدفع المواطنين العرب إلى الهجرة من قراهم ..

مع الصحافة في العالم

●● قبل أن ينقشع غبار الحملة الانتخابية الأمريكية ، كان العرب يتطلعون إلى ما بعد الانتخابات : ماذا لو فاز « مونديل » ؟ ماذا لو عاد « ريغان » ؟ ولم يخف عدد من العرب تطلعهم إلى فوز ريجان . ولذلك فقد شعر هؤلاء بالابتهاج إزاء نجاحه ، بينما احتفظ آخرون بموقفهم المشكك في قدرة ريغان ، أو نيته ، في العمل من أجل تسوية سلمية للمشكلة الفلسطينية . ●●

الدستور

■■ صحيفة الدستور الأردنية كتبت في عددها رقم (٦١٨٧) تقول :

يطرح الفوز الساحق الذي حققه الرئيس ريغان عدداً من الملاحظات السياسية المتصلة أساساً بمفهوم منطقة الشرق الأوسط بجملة قضاياها المعقدة .

أولى هذه الملاحظات أن ريجان هو أول رئيس أمريكي يتم التجديد لولايته في البيت الأبيض ، وذلك منذ عام ١٩٦٧م ، ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى الرئيس نكسون الذي لم يكمل ولايته الثانية بسبب فضيحة « ووترغيت » .

وثانية هذه الملاحظات أن فوز ريجان الساحق والتاريخي لا يمكن معه لأي من جماعات الضغط في الولايات المتحدة ادعاء فضل إنجاح الرئيس أو عودته إلى البيت الأبيض . وينطبق هذا الأمر بدرجة أساسية وأولى على جماعات الضغط الصهيونية التي كثيراً ما نسبت لنفسها ترجيح كفة هذا الرئيس .

أما ثالثة هذه الملاحظات فهي أن ريجان يكاد يكون أكثر الرؤساء الأمريكيين الذين قدموا لإسرائيل فيضاً من المساعدات والدعم على الأصعدة السياسية والعسكرية ، مما يجعله في وضع يستطيع من خلاله قلب عناصر المعادلة التقليدية ، بجعل إسرائيل في موقع الإحساس بالفضل له ، على نحو لا يستطيع معه أي صهيوني أن يشكك بمواقف الرئيس المنتخب أو كيل التهم له .

ورابعة هذه الملاحظات وأهمها هي أن ريجان يعد أول رئيس أمريكي يقترح إطاراً عاماً لإيجاد تسوية سلمية في الشرق الأوسط ويلزم نفسه عشية الانتخابات بالمضي في المشروع المنسوب إليه . وهو ما يجعلنا نعتقد بأنه يمكن الانطلاق مجدداً لإحياء جهود السلام في المنطقة دون إضاعة كثير من الجهد والوقت لقراءة الملفات وإرسال المبعوثين الخاصين ، مما درج عليه الرؤساء الأمريكيون السابقون .

إننا ونحن نعتقد بأن كل هذه الملاحظات تصب موضوعياً في مصلحة إحقاق العدل والسلام في الشرق الأوسط إذا ما امتلك الرئيس ريجان الحزم والإرادة السياسية ، فإننا في الوقت نفسه نعتقد بضرورة إعادة صياغة الموقف العربي على نحو

■ ريجـــان ■

يمكّن من حمل الرئيس الأمريكي على المبادرة والإقدام وإعادة تقييم الموقف واتخاذ الخطوات السياسية المطلوبة .

وفي مكان آخر من العدد نفسه أعربت الصحيفة عن اعتقادها بأن فشل ريغان في تحقيق تسوية سلمية للمشكلة من شأنه « أن ينهي وإلى الأبد الرهان العربي على الرئاسات الأمريكية التي يقال إن عودتها إلى الحكم مرة ثانية قد تحمل في طياتها الحلول الأمريكية المنتظرة لمشكلات المنطقة » .

وأضافت الصحيفة : « إن أية آمال قد تراود العرب لن تنسيهم ـ ولو للحظة ـ ما قاله « شارون » لـ « ريغان » قبل بضعة أسابيع من أن هناك فواتير كثيرة يجب أن تسددها الولايات المتحدة لإسرائيل . فواتير تصل إلى أكثر من مليار دولار » .

البيان

■■ حذّرت « البيان » الصادرة في « دبي » من التفاؤل غير المبني على أساس ، والذي أصبح ظاهرة ملفتة للنظر في الشرق الأوسط » . وقالت تحت عنوان « البيت الأبيض : لا جديد » ، في عددها رقم (١٦٢١) :

« لقد حسمت الولايات المتحدة موقفها ضد العرب منذ قيام إسرائيل ، وكان دافعها التخوف من قيام كيان عربي قوي قادر على تحدي الأطماع الأجنبية في المنطقة . وقد ساهمت حالة التردي العربية ـ بعد ذلك ـ في تشجيع أمريكا على تقديم المزيد من الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي دون أن تخشى رد فعل عربي يذكر .

وعندما جاء ريجان إلى السلطة قبل أربع سنوات قدّم لإسرائيل ما يساوي أو يزيد عن مجموع المساعدات التي تلقاها الكيان الإسرائيلي من الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٨م . وقد وعدها أثناء الانتخابات بمزيد من الدعم والمنح الاقتصادية والمساعدات العسكرية . وهو يغتنم كل فرصة للتأكيد على دوام اتفاق التحالف الاستراتيجي الأمريكي الإسرائيلي وتهديد كل من يفكر بإيذاء إسرائيل ولو معنوياً .

... إن استعراض هذه الأمور تؤكد شيئاً واحداً فقط هو أن توقع التغيير إلى الأفضل هو مجرد حلم لا تسنده الوقائع . وستكون مرحلة ما بعد الانتخابات حافلة بمحاولات التطويع وعمليات العدوان لمزيد من الضغط على المواقف العربية وصولاً إلى فرض التسوية التي تناسب أمريكا وإسرائيل معاً . وسوف تتوقف النتيجة على ما يريده الموقف العربي الذي لا يزال ممزقاً حتى هذه اللحظة .

القبس

■■ قالت القبس في عددها رقم (٤٤٨٤) :

« الساقطون في الانتخابات الأمريكية بالدرجة الأولى هم العرب ... وتقليد السقوط العربي في الانتخابات الأمريكية تعودنا عليه منذ أن قررت أمريكا الاستيلاء على ميراث بريطانيا في الشرق الأوسط .

فمع كل انتخابات أمريكية كنا ننتظر الرئيس الجديد ، بلهفة يحسدنا عليها الأمريكيون أنفسهم : علّه يكون أكثر تفهماً لقضايانا . وفي كل عهد أمريكي كان الأمل العربي يتبدد ، ونكتشف بأفواه فاغرة أن الجديد أسوأ من القديم ، ونكتفي بانتظار الرئيس التالي .

واليوم تحقق حلم بعض العرب وعاد ريجان إلى البيت الأبيض مدة أربع سنوات أخرى ، ويأمل المتفائلون أمريكياً أن ينصفهم خلالها من إسرائيل .

ويسوق أولئك الحجة التقليدية : ريجان سيكون أقوى قراراً من أصوات اليهود ، ولن يكون ملزماً بإرضاء إسرائيل مهما تمادت في الباطل طمعاً في هذه الأصوات .

وسيزيد هؤلاء بالقول : إن الأصوات اليهودية ذهبت أساساً لمونديل ، ولذلك فإن ريجان مؤهل نفسياً لإغضاب إسرائيل وأصواتها في الولايات المتحدة .

ولكن خيبة الأمل الأولى ستأتي من نائب الرئيس « جورج بوش » ، فالمعلومات تقول : إن ريغان سيوكل إلى نائبه أمور الشرق الأوسط ليتفرغ هو لإدارة الصراع مع السوفييت .

وإذا كان ريجان لم يعد بحاجة إلى أصوات اليهود ، فإن بوش ، الذي يتوقع أن يرشح نفسه للرئاسة عام ١٩٨٨م ، سيكون بحاجة ملحة إليها .

وبوش الذي يتمتع بأخلاقيات خاصة تجاه الدول المستقلة تجعله يؤيد شن غزو أجنبي ضدها إذا اقتضت المصلحة الأمريكية ذلك ، يؤمن أشد الإيمان بأن إسرائيل المسلحة حتى الأسنان هي القادرة على الدفاع عن المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط ، وهو يؤيد بالتالي تحويل إسرائيل إلى حاملة طائرات أمريكية .

وبوش باعتباره رجل مخابرات في المقام الأول ، لا يؤمن إطلاقاً بأخلاقيات مثالية مثل الحقوق الوطنية والسيادة والاستقلال ، إذا كان

مع الصحافة في العالم

الأمر يتعلق بمصالح أمريكا .

فإلى المتفائلين بعودة ريجان إلى البيت الأبيض : طمعاً بتحصيل الحقوق العربية من واشنطون ، نقول : إنكم ستجدون ريجان مشغولاً بغيركم ، وستفاجؤون بـ « بوش » قابعاً في ركن من البيت الأبيض يدافع عن حقوق إسرائيل لديهم ، ولن تكرس الجهود الأمريكية في السنوات الأربع المقبلة سوى تثبيت الغرس الإسرائيلي في الأرض العربية » .

الراية

■■ في عددها رقم (١٥١١) ذكرت « الراية » القطرية « إنجازات » الرئيس ريغان ضد العرب في ولايته الأولى ، ومن تلك الإنجازات :

□ كان ريجان أكثر رؤساء أمريكا إغداقاً للأموال والأسلحة على إسرائيل .

□ ريجان هو الذي أعطى إسرائيل إشارة الضوء الأخضر لضرب المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١م ، ثم لغزو لبنان عام ١٩٨٢م .

□ ريجان هو الذي أرسل « المارينز » إلى لبنان لتقتل الأبرياء باسم حماية السلام .

□ ريجان هو الذي عقد صفقة التحالف الاستراتيجي مع إسرائيل .

□ ريجان هو الذي قرر إنشاء منطقة التجارة الحرة بين الولايات المتحدة وإسرائيل .

وببساطة فإن ريجان هو الذي أوصل الانحياز الأمريكي التقليدي لإسرائيل إلى الذروة .

وتساءلت الصحيفة موجهة كلامها إلى ريجان : فهل يا سيادة الرئيس ستجدد ذروة أخرى من الانحياز ضد مصالحنا العربية لتعتليها في السنوات الأربع القادمة ؟! .

The Middle East

■■ مجلة ميدل إيست الصادرة في لندن ، أكدت في عددها رقم (١٢١) أن هناك تغيرات طرات على الموقف الأمريكي تجاه قضية الشرق الأوسط ، وأن هناك قوى ضغط سياسية واقتصادية أمريكية تضغط على الولايات المتحدة من أجل التوصل إلى تسوية سلمية للقضية ، وقد رسمت المجلة في تحليلها المطول ، أكثر من سيناريو للتحركات الأمريكية المقبلة .

إلَّا أن المجلة حذرت من أمرين :

— إن إسرائيل أصبحت مطمئنة لدعم الجمهوريين في البيت الأبيض ، خاصة بعد زيارة « بيريز » لواشنطون . ولذلك فهي أقل حرصاً على تقديم التنازلات .

— إن سقف المبادرة الأمريكية لا يتجاوز إقامة كيان ذاتي فلسطيني مرتبط بالأردن ، وإن الموقف الأمريكي لا يزال يعارض إقامة دولة فلسطينية مستقلة ، ما لم تقبل بذلك إسرائيل نفسها . ■■

صحافة الحرية

■■ هل الصحافي العربي دائماً ملتزم بأخلاقيات المهنة الصحفية كما يجب أن تكون عليه هذه الأخلاقيات ؟ هل الصحافي العربي دائماً واعٍ لأهمية ما ينشر ويكتب إلى درجة تمحيصه وتدقيقه ومراجعته ؟ وهل المهنة ، في ذاتها ، أكبر لديه من أي إغراء آخر ، حتى إذا تعارضت أخلاقيات المهنة مع إغراء أو إرهاب آخر فضَّل ترك المهنة على الخضوع لأي من الافتراضين الآخرين ؟

لنستعرض بعض القيم التي رسخت في مهنة الصحافة في العالم ، ولكنها في واقعنا العربي لا تزال بحاجة إلى مثابرة لتأكيدها .

الموضوعية : هل الموضوعية ، حتى لو كانت نسبية ، موجودة لدى قطاع واسع من الصحافة العربية ؟ نعتقد أنها لا تزال بعيدة عن متناول اليد في صحافتنا العربية ، فنحن نجد - في المجال السياسي - أوصافاً لذلك الزعيم الفرد الذي لا يخطىء ، وإن كان هناك خطأ ما في سياسة البلد ، فهو خطأ أحد أو مجموعة من معاونيه الذين يجب أن يعاقبوا . وفي اتجاه آخر نجد الزعيم الخائن العميل ... إلى آخر ما يمكن أن يمدح به زعيم أو يُذم .

ويجري في وصف الأوطان والجماعات السياسية المختلفة وكذلك الأفراد ، ما يجري

في وصف الزعماء . وتكون الضحية الأولى الموضوعية الصحافية ، التي تقود إلى ضحية ثانية هي القارىء ، الذي سرعان ما يمل فتكون الضحية الثالثة فَقْدَ معظم القراء العرب لاحترامهم لتلك الصحافة ، وبالتالي تفقد الصحافة أهميتها ومصداقية تأثيرها على الناس ودورها في تشكيل وجهة نظر ورأي عام مستنير .

لا نعني بذلك أن على الصحفي ألَّا يتفق أو يختلف مع الآخرين ، ولكن ما نشدد عليه هو الموضوعية في متابعة الأحداث وتحليلها وتفسيرها وإعطاء الأطراف المختلفة حقها ، لأن الخيار الآخر فقدان رسالة الصحافة .

القيمة الثانية : العلمية ، وهي تختلف عن الموضوعية النسبية بكونها محددة واضحة المعالم ، نجد صحافياً يذهب إلى مؤتمر ما - سياسي أو غير سياسي - فلا يحضر إلَّا بعضاً منه ثم يخرج بتقرير يعرض فيه سير المؤتمر بتعميمات عامة . كما نجد صحافياً آخر لا يكلف نفسه تقصي أطراف الموضوع الذي يريد الكتابة فيه ، ولا يقرأ حوله قراءات تساعده على معالجة الموضوع بالدقة اللازمة ، وإن سمع بموضوع نقله على علاّته دون مراعاة أبسط قواعد العمل الصحافي الصحيح ، أي مراجعة الموضوع في مصادر أخرى لتبيان الحقائق ، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى الضيق وهدر الثقة وتشويه السمعة .

ثم نأتي إلى القيمة الثالثة : وهي أخلاقيات الصحافة ، حيث نجد الوقوف أمام أبواب المسؤولين والتمسح بالحجَّاب والتابعين وانتظار كرم الكرام ، مما يحوِّل الصحفي إلى مجرد جامع إعلانات أو إعانات بدلًا من استقلالية وسلطة الصحافة التي مهمتها الرقابة وتصحيح الأخطاء ودفع التجارب ذات المردود الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في المجتمع إلى الأمام ، كل ذلك في إطار صالح المجتمع والجماعة وصالح الأمة .

كل ذلك يطرح بشدة قضية صحافة الحرية ، بمعنى الصحافة الملتزمة بالأخلاقيات العامة لمهنة الصحافة ، إنها صحافة المجتمع الحر . وذلك لا يتاتى إلَّا بصحفيين أحرار ، موضوعيين علميين أخلاقيين ، يضعون رسالة الصحافة وقيادة الرأي العام واستنارته في الموضع الأجلّ عندما يمارسون نشاطهم اليومي ، ونعتقد أنه لن تكون لدينا حرية صحافة ، ما لم يتوفر لدينا صحفيون أحرار ، يحترمون رسالتهم ، ويتمسكون بقيمها . ■■

[العدد الرابع]

مسابقة الأمة

الجوائز

• الفائز الأول
خمسمائة ريال قطري

• الفائز الثاني
ثلاثمائة ريال قطري

• الفائز الثالث
مائتا ريال قطري

• الفائز الرابع حتى العاشر
اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة

■ ترسل الإجابات إلى
مجلة الأمة
ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :
مسابقة الأمة
ورقم العدد

حل مسابقة العدد ٤٩

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآيـة :

○ غَدَقاً : كثيراً .
﴿ وَأَلَّو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ﴾ (الجن : ١٦)

○ تَقَطَّعُوا : اختلفوا .
﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ (الأنبياء : ٩٣) .

○ أَكْبَرْنَهُ : أعظمنه .
﴿ ... فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف : ٣١)

○ وَجْهَ النَّهَارِ : أوّل النهار .
﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران : ٧٢)

○ كَالْعِهْنِ : كالصوف المصبوغ .
﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ (المعارج : ٨ ـ ٩)

٢ ـ الغزوة هي غزوة الغابة .. ويقال : غزاة ذي قَرَد (بفتحتين) وذي قُرُد (بضمتين) ..
سببها أن عبد الرحمن بن عُيَيْنَة بن حصن أغار في أربعين فارساً من بني عبد الله بن غطفان على لِقاح رسول الله ﷺ وعددها عشرين لقحة ، فأخذوها وقتلوا ابن أبي ذرّ الغفاري .. وكان يحمل راية رسول الله ﷺ (العُقَاب) سعدُ بن زيد الأشهلي .

٣ ـ أوس بن خَوَلي رضي الله عنه .

٤ ـ أبو الطيب المتنبي ..

٥ ـ [المؤلف] : أبو حنيفة ، أحمد بن داود بن وَنَنْد الدِّينَوَري .
[الكتاب] : الأخبار الطوال .

٦ ـ يبتلع الدجاج الحصى والرمل لطحن الحبوب التي يلتقطها تسهيلاً لعملية الهضم .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٤٩

الفائز الأول :
● زياد سليمان سلوم (إسبانيا)

الفائز الثاني :
● أسامة محمد السيد حسين (مصر)

الفائز الثالث :
● محمد أحمد محجوب (السعودية)

الفائز الرابع :
● وائل برهم (تركيا)

الفائز الخامس :
● سعيد أحمد (باكستان)

الفائز السادس :
● مرح محمد مروان (سوريا)

الفائز السابع :
● نور الدين كُمرشو (الجزائر)

الفائز الثامن :
● أيمن عبد الكريم الحياري (الأردن)

الفائز التاسع :
● صلاح الدين العبيدي (تونس)

الفائز العاشر :
● محمد محفوظ بن أحمد (موريتانيا)

مسابقة العدد ٥١ السنة الخامسة

١ ـ قامـــوس المســـابقة :
كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآية التي وردت فيها :

● فِي بِضْعِ سِنِينَ : في ما بين ثلاث إلى تسع سنين / في ما بين عشرة إلى عشرين سنة / في أقل من ثلاث سنين
● انْبَجَسَتْ : انسدت / انفجرت / انكسرت
● حِجَجْ : سنون / دراهم / أيام
● تزاوَرُ : تغرب / تشرق / تميل
● مَسْغَبَةٍ : مؤونة / مجاعة / حاجة

٢ ـ وُلد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ بمكة في دارٍ عُرفت بدار (ابن يوسف) من شِعْب بني هاشم ، يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول .. من عام الفيل .. توفي أبوه وهو في بطن أمه .. أرضعته أمه سبعة أيام ، ثم أرضعته « ثُوَيْبَة » مولاة « أبي لهب » التي أرضعت من قبله عمّه « حمزة » .. ثم أرضعته « أُم كبشة ، حليمة السعدية » وفطمته بعد سنتين .. ثم ردته إلى أمه ..

● ما هي الحادثة التي ردت على أثرها « حليمة » محمداً ﷺ إلى أمّه ؟ وكم كان يبلغ من العمر حينئذٍ ؟ ومن هم إخوته من الرضاعة ؟

٣ ـ مـــن هـــو ؟
● أحد النقباء الإثني عشر ..
● أوّل من تكلم من الأنصار ليلة العقبة ..
● أوّل من استقبل الكعبة (حيّاً وميّتاً) ، قبل أن يوجّهها رسول الله ﷺ فأمره النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو في مكة أن يستقبل بيت المقدس : وذلك قبل تحويل القبلة فأطاع .. قال عندما حضرته الوفاة : وجهوني في قبري نحو القبلة (الكعبة) ..
● أول من صلّى عليه النبي عليه الصلاة والسلام حين قدِم المدينة مهاجراً ..
● أوّل من مات من النقباء ..

٤ ـ مـــن القائـــل ؟ :

رَبِّ لِلإِسْلامِ قَدْ هَدَيْتَني ... رَبِّ مِن نُورِكَ قَد آتَيْتَني
فَعَليَّ العَهْدُ ما أَحْيَيْتَني ... أَحْرُسُ الكَنْزَ الَذي وَهَبْتَني
أو أَموتُ دونه مَوْتَ البَطَلْ ... ثابتاً أَحيا بِقَلْبٍ مِنْ جَبَلْ
نَيِّراً أَحْيا بِرُوحٍ مِن شُعَلْ ... جاهِداً أَحيا بِجِسْمٍ مِنْ عَضَلْ

(أ) إبراهيم طوقان (ب) مصطفى صادق الرافعي (ج) يوسف العظم

٥ ـ مؤلـــف وكتـــاب :
[المؤلـــف] :
● ولد بالقاهرة في ذي القعدة ٧٠٨هـ (١٣٠٩م) وتوفي بها في ذي القعدة ٧٦١هـ (١٣٦٠م) .
● درس ديوان « زهير بن أبي سلمى » على النحوي الأندلسي أبي حيان ..
● كان شافعي المذهب وأصبح بهذه الصفة مدرساً لعلم التفسير بالقبة المنصورية بالقاهرة .. ثم انتقل إلى المذهب الحنبلي قبل وفاته بخمس سنين لينال منصب معلم بالمدرسة الحنبلية بالقاهرة ، وحفظ لذلك ـ عن ظهر قلب ـ كتاب « المختصر » للخِرَقي في أقل من أربعة شهور .
● قال عنه « ابن خلدون » : (... على علم جم يشهد بعلو قدره في صناعة النحو ، وكان ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر « ابن جنّي » واتبعوا مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشيء عجيب ، دال على قوة ملكته واطلاعه) .
● خلّف ما يقارب عشرين مصنفاً ، معظمها في النحو والأدب .

[الكتـــاب] :
● من أجلّ كتب المؤلف ، ومن أوفى كتب العربية لمباحث النحو ، ومن أكثرها فائدة ..
● ومن أبرز ما يميزه ، أسلوب المؤلف الخاص في تأليفه والذي تجاوز به ما ألِفَهُ الناس في تأليف الكتب النحوية .. حيث قسم الكتاب إلى قسمين متقاربين جعل أوّلهما للحروف والأدوات ، وأفرد لكل حرف ولكل أداة باباً خاصاً جمع فيه كل ما يتصل بها من قواعد وأحكام وعمل وما يمثل لها من شواهد ، ورتب هذه الأدوات بحسب الترتيب المعجمي .. أما القسم الثاني فقد جعله لضروب من القضايا النحوية ليست هي ممّا توليها كتب النحو الاهتمام الأكبر ، فتحدث عن الجمل وأشباه الجمل واستوفى كل ما يتصل بها كما تحدث عن أصول توجيه الإعراب .
● اتصل الكتاب بأكثر من علم من علوم العربية .. ولقي اهتماماً كبيراً من العلماء وكثرت حوله الشروح والحواشي والتعليقات .

٦ ـ من المقصود بأبيات حافظ إبراهيم التي قال فيها :

خَرَجْتَ تبغي أذاها في (محمّدها) ... وللحنيفة جبّار يواليها
فلم تكد تسمع الآيات بالغةً ... حتّى انكفأتَ تناوي من يناويها
ويوم أسلمتَ عزَّ الحقُّ وارتفعت ... عن كاهل الدِّين أثقالٌ يعانيها
وصاح فيه بلالٌ صيحة خشعَتْ ... لها القلوب ولبَّت أمرَ باريها

اقرأ في الأعداد القادمة

□ نزّهوا حرية الرأي عن هذا العبث بالعلم واللغة والدين
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

□ الفكر المعاصر .. وسوق الشعارات
الدكتور نجيب الكيلاني

□ العالم الثالث وظاهرة تعاطي المخدرات
الدكتور نبيل سليم علي

□ النقد الموضوعي .. منهج قرآني
السيدة حنان لحام

□ الإسلام ومتغيرات الأدب العربي الحديث
الدكتور عبد الباسط بدر

□ (استطلاع) :
تركيا : التاريخ والمستقبل
التواصل الثقافي عبر المؤسسات القرآنية

□ أكثر من حوار .. حول قضية أفغانستان
أفغانستان : التوازن الدولي واقتسام مناطق النفوذ

حاجتنا إلى دعاة قادرين..

□□ ليس عجيباً أن قام الإسلام على يد نبي أعزل وقوم من الضعاف لا جاه لهم ولا مال، وليس عجيباً ولا مستغرباً أن يكون الإسلام قد عانى في بدايته كل هذه المعاناة، بل كان العجب كل العجب لو كان غير ما كان.

وإذا تساءلنا أو سئلنا. إذا لم يكن دعاتنا في حاجة إلى القوى المادية ولم تكن هي من الوسائل التي قام عليها الإسلام، فما الذي ينقصنا، وما الذي نحن في حاجة إليه؟

ميدان الدعوة الأول هو ميدان الضمائر والقلوب، وأول إصلاح يجب أن نتجه إليه هو إصلاح النفوس، وأول ما سلّح الله به نبيه هو الإيمان وحسن العبادة وترتيل القرآن. قبل أن يأمر الله محمداً بإعلان دعوته أهاب به ﴿ يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً، إِنَّاسَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ... ﴾ والقول الثقيل هو أعباء التبليغ ومشقات الجهاد، ولم يأمره أن يستعد لهذا القول الثقيل بإعداد الأسلحة وإيجاف الخيل والركاب، وإنما أمره بقيام الليل وترتيل القرآن. فإذا كنا نرى أننا في جاهلية كالجاهلية الأولى، وأننا نواجه عديداً من الأعداء، وألواناً من الكيد للإسلام فلنذكر أن الإسلام في نشأته عانى أكثر من ذلك، وأن بيننا الآن من يمكن أن يصغي للمنطق، ومن لديه من الثقافة وحسن التعقل ما يمكن أن يتفحص به حقائق الإسلام، وقد قال القرآن لمن هم أقل من ذلك ثقافة وقدرة على التدبر: ﴿ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾.

إن موجة العداء التي يواجهها الإسلام الآن ليست هينة، ولكنها ليست الأولى في تاريخ الإسلام، وليست عجيبة في تاريخ الأديان، بل هي أمر لا بد أن يكون، بها يتميز المجاهد الصامد من الواهن المتواني.. وكما قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ... ﴾.

أيها الدعاة إن نصر الله قريب، ولكن علينا، أن نسعى إليه بإصلاح أنفسنا، عندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: «كان خلقه القرآن». ونحن الآن أضعنا القرآن دستور أخلاقنا، والأساس الذي كانت عليه أخلاق نبينا صلى الله عليه وسلم.

وأخطر ما تعاني الدعوة الإسلامية الآن هو قلة الدعاة، وفقر هذه القلة من الثقافة الإسلامية ومن القرآن، إن أعداءنا يفطنون إلى ذلك بل فطنوا إليه من زمن بعيد، وقد عملوا على إضعاف الروح الإسلامية وقتل حمية الإسلام بطرق عدة أكثرها فاعلية هو إضعاف القرآن وإضعاف آثاره في نفوس الناس، وحصاد هذا الغرس الآن هو ضياع القرآن إلا من صدور المحترفين الذين يتعيشون به، وهم في جملتهم لا يزيدون على كونهم نسخاً مطبوعة، فآثارهم ضئيلة الأقدار، ولا فاعلية لديهم.

وأول ما ينبغي أن يتجه إليه المعنيون بدعوة الإسلام هو العمل على إيجاد دعاة ذوي وعي إسلامي، وأن يكون لهم تكوين إسلامي يقوم على المنهج الذي كوّن الله عليه رسوله ﷺ، وكوّن الرسول ﷺ عليه صحابته، وكون الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم عليه أئمة الإسلام والدعاة اليه.

إن الإسلام يعاني الآن فقراً روحياً وفقراً ثقافياً معاً، وهذا ما ينذر بالخطر البالغ والشر المستطير، ولا منقذ له من هذه العواقب إلا علاج هذا الفقر المدقع في كلا الجانبين.

أخشى أن أقول: إن أعداء الإسلام قرأوا منه أكثر مما قرأنا، ودرسوا من مصادره أكثر مما درسنا، وكثيراً ما يعجزون عن فهم الأسلوب العربي وما فيه من دقائق وأسرار، ولكنه يؤول دائماً في صالحهم وضد الإسلام، وفي كل يوم تصدر كتب ومقالات وبحوث تنال من الإسلام، ودعاةُ الإسلام في غفلة وسبات عميق، وقلما نجد من يرد ما تشيعه أقلام الأعداء.

إنه لا يجدي على الإسلام صيحات الصائحين بغير علم، والدعوة التي لا يسندها غذاء ثقافي، ولا ترتكن على مدد ومعين روحي هي دعوة قليلة الجهد ضعيفة التأثير قصيرة العمر، وطريقنا الوحيد هو البحث عن هذا العنصر الفعال.

فليكن لنا عبر التاريخ، وسيرة رسول الله ﷺ، وتوجيه القرآن الكريم ما ينير أمامنا طريق دعوتنا، ويبعث في نفوسنا روح الأمل ويشد عزائمنا لاستئناف الجهاد.. □□

بقلم: الدكتور عبد الجليل شلبي

صدر:

كتاب
الأمة
Al Ummah

(٨)

نظرات في
مسيرة العمل الإسلامي

عمر عبيد حسنة

■ لقد كان الأولى بالذين يخافون ويخوفون من تطبيق أحكام الشريعة - تحت عنوان الغيرة على الإسلام، أو مصالح الناس، أو حماية الاقليات التي ما طبقت الشريعة إلا وضمنت لهم العدل والمساواة - أن ينكروا ويستنكروا الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي، والأنظمة الجبرية والأحكام الاستثنائية وقوانين الطوارىء، التي تطبق في كثير من بلدان العالم الإسلامي، حيث تلغى إنسانية الإنسان وتطارد الحرية وتصادر باسم مواجهة المحتل واسترداد الأرض. الأمر الذي أضاع الحرية والأرض معا..

■ مهما ارتفعت أصواتنا في استدعاء «صلاح الدين» جديد، واشتدت معارك الشعارات على أرضنا، فلا سبيل إلى التحرير واسترداد بيت المقدس دون إعداد جيل التحرير.. الوليد الشرعي لعقيدة الأمة ووجودها التاريخي..

■ قد يكون صحيحاً أن الإنسان في مراحل التخلف ومناخ التخلف يصبح عاجزاً عن الإبصار والاعتبار، ولكن من المحقق أيضاً أن التحدي الثقافي والحضاري والانكسار العسكري يوقظ الحس ويلهب المشاعر ويذكي الروح ويجدد الانتماء ويدفع إلى الالتزام ويجمع الطاقات النفسية والمادية لتبدأ عملية الإقلاع من جديد...

■ حينما ندعو إلى تحديد موقع العمل الإسلامي الفاعل من خلال الإمكانات المتاحة والظروف المحيطة؛ فإن ذلك لايعني - بحال من الأحوال - عملية تقطيع للإسلام ووقوع في النظرة الجزئية التي تؤدي إلى النمو غير الطبيعي في بعض أطراف الجسم الإسلامي.. وإنما الذي نريد له أن يكون واضحاً هو أننا ونحن نعيش الإسلام في الموقع المتاح لنؤدي مسؤوليتنا كاملة، لانعدم القدرة على إبصار الساحة الكاملة التي يجب أن يملأها الإسلام وأن يرتادها العاملون والدعاة إلى الله..

يطلب من وكلاء توزيع الأمة Al Ummah في العالم

■■ يقول الحاج محمد يونس إمام المسلمين في المسجد الكبير في مدينة « شيان » بالصين :

« أوضاعنا الآن في تحسن : المساجد أعيد فتحها ، والدولة اعترفت بنا كائنة ووعاظ ، وأصبحت حياتنا مستقرة نوعاً ما .. نعلم أولادنا أمور الدين في المساجد بعد صلاة العشاء وفي يوم الجمعة بعد الصلاة .. نحتفل بصوم رمضان وبالعيدين .. الجيل القديم يعلم الجيل الجديد ، والأب يعلم أولاده وبذلك نضمن استمرار تعاليم الإسلام . نشعر أن المسلمين نسوا أن هناك (١٣) مليون مسلم في الصين يحافظون على دينهم وسط ظروف صعبة .. » ■■

مجلة الأمة - Al Ummah

العدد ٥١ السنة الخامسة ربيع الأول ١٤٠٥هـ